الحصاد

AL-HASAD Issue No: 179 / August 2026 | العدد ١٧٩ / آب ٢٠٢٦ | مجلة شهرية تُعنى بقضايا الوطن العربي والعالم

إسدال الستار على مونديال 2026
وسط أجواء جدلية...
وإنفانتينو أمام فوهة المدفع

إسبانيا تنتصر لكرة القدم

الحصاد

AL-HASAD

Issue No: 179 - August 2026 .العدد ١٧٩. آب ٢٠٢٦

مجلة شهرية، تجعل من قضايا الوطن العربي والعالم محط اهتمامها، ماضياً، حاضراً ومستقبلاً

تصدر في لندن عن شركة Candour Communications Ltd.

رئيسة مجلس الإدارة ورئيسة التحرير:

إبتسام محمد سعيد أوجي

أعضاء مجلس الإدارة:

د. مازن الرمضاني

أمين الغفاري

المدير الفني:

حسين حمّود

ثمن النسخة :

٣ جنيهات سترلينية او ما يعادلها

الاشتراك السنوي :

٣٠ جنيهاً سترلينياً

لإعلاناتكم على صفحات «الحصاد»

E-mail: hussein@hhammoud.com

"Al-Hasad" Head Office:

Lincoln House,
137-143 Hammersmith Road,
London W14 0QL (UK)
Telephone: 00 44 (0) 2076027055
00 44 (0) 7956229072
Fax: 00 44 (0) 2076035533
E-mail: info@alhasad.co.uk
Website: www.alhasad.co.uk

في هذا العدد ص

قضايا سياسية ٤

أردوغان يعتبر حلب ودمشق وبيروت جزءا من دفاعات بلاده

مستقبلات ٢٠

كوابح الثقافة العربية والانحياز للمستقبل

قضايا أدبية ٢٤

حوار مع الروائية والمترجمة رنا حايك

موضوع الغلاف ٣٨

إسبانيا تنتصر لكرة القدم

مهرجانات ٤٦

مهرجانات الصيف الموسيقية بالمغرب... إشعاع ونجاعة

كلمة «الحصاد»

أسئلة تبحث عن إجابة

أسئلة كثيرة يتم تداولها يومياً ولا نجد لها حلولاً شافية، وكأنّ البشرية في إمتحانٍ مفتوح ليس له نهاية، فكيف نجد حلولاً لكل المسائل يرضي جميع الأطراف في حين أنّ كل حلٍ يُناقض ما قبله وما بعده؟ وهل سيبقى السؤال الأكبرُ والأهم بالنسبة لنا (العربَ) متعلّقاً بالمنطقة العربية وما جاورها؟ أم من الممكن أن تتوزع الاسئلة لتشمل بلداناً أخرى؟ وهل مرّ زمنٌ على البشرية في عصورها الغابرة والحاضرة يدعى (زمن الأمن والسلام)؟ الجواب قطعاً لا. (غير أننا في «الحصاد») نحاول جاهدين أن نضعَ أيدينا بأيادي المخلصين للإنسانية والحق للوصول لمجتمعات أقلّ ظلماً وأوسع صدراً تعطي فسحة أمل تهيئ لأجيال قادمةً حياةً أفضل.

بلادنا ممزّقة، ولسنا سعداءَ بهذا، ودولُ الجوار كلٌّ يعمل لتحقيق طموحاته، وقد يجور على جيرانه بسبب أو بآخر، وقد يتمّ الإستسلام من هذا القطر أو ذاك بالتّهديد أو المساومة أو الإغراء، وبالتأكيد أنّ ذلك لا يخدم الشعب العربيّ ولا يزيده إلّا تمزقاً وتجزئة.

ويبقى السؤال الأهم لأمّتنا (فلسطين) .

القضية الفلسطينية تراوح مكانها منذ مئة عام، والفرق اليوم أنّ الصهيونية العالمية المتمثلة بإسرائيل آزدادت شراسة وكشّرت عن أنياب الوحش الذي ظلّ مخبئاً زمناً تحت غطاء (المظلومية اليهودية والنازية الألمانية) وإن كانت فلسطين والعرب جميعاً لا ذنب لهم بها بل قرار القوى الإستعمارية في دفع الثمن على حساب فلسطين والعرب أجمعين، حتى كشف مناضلو غزة وفلسطين وشهداؤها بشاعتهم أمام العالم وهم يمارسون ابشعَ جريمة إبادة جماعية وتهجيرٍ قسري لأهل غزةَ والضفةَ الغربية. وستلحقها عاجلاً أم آجلاً بقاعٌ أخرى من الوطن العربيّ تريد إسرائيل ابتلاعها كما ابتلعت جنوب لبنان وجنوب سوريا وكما حرّضت أكراد العراق وسوريا على الإنفصال عن باقي البلدين واهلها بعد أن عاشوا دهوراً كثيرة متساوين بالحقوق والواجبات دون مساومة أو تفريط.

ألقضية الفلسطينية هي عربية بإمتياز ومَن لم يُدرك ذلك فسيخسر بقعة الارض من موطنه الذي وُلد وأجداده فيه، أو يرتضي أن يكون عبداً لقوى الإستعمار التي خلقت (إسرائيل) وما زالت تدعمها بكل إمكانياتها، رغم أنّها تدّعي أنّها تحاول أن تساعدهم في إحلال السلام، كما الثعلب الذي غرّر بصغار المعزة حتى أسلموه أمهم ثم أكلهم واحداً بعد الآخر. ■

إبتسام

الحصاد

عزيزي القارئ

تفتح مجلة الحصاد ابوابها لأستقبال اجتهاداتكم وأرائكم واقتراحاتكم الفكرية والسياسية والأدبية وكذلك تعقيباتكم على الآراء التي تنشر على صفحاتها وإن كان ذلك يتطلب مراعاة الأعتبارات التالية:

- أن تكون لغة التحرير هي اللغة العربية التي تصدر بها المجلة وان يراعى في الكتابة الوضوح وسلامة النص.
- ان تتصف المقالات والدراسات بالموضوعية.
- يجوز للمجلة مراجعة الكاتب ان تضمن المقال بعض الأشارات الملتبسة أو التي لاتتفق وأهداف المجلة.
- ترحب المجلة بالحوارات الموضوعية والتعقيبات التي تنشر بها وكذلك بأي ردود فكرية او تصويب وهي فضلا عن ذلك ترحب بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات التي تعقد هنا او هناك.
- المقالات والدراسات المنشورة تعبر عن رأي اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

زوروا موقعنا على الرابط:

www.alhasad.co.uk

أردوغان: حلب ودمشق وبيروت جزء من أمننا

أردوغان يعتبر حلب ودمشق وبيروت جزءا من دفاعات بلاده

تركيا: عقائد الأمن الجديدة

لندن: محمد قواص*

تدافعت في الآونة الأخيرة، المواقف والتصريحات التي أدلى بها الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ضد إسرائيل، معتبرا أنها ترقى إلى مستوى العداء. وأطلّ أردوغان على مسألة الأمن، مشيرا إلى أهمية دول المنطقة في مفهوم الأمن الاستراتيجي لتركيا. أتت التصريحات أيضا قبل انعقاد قمة الناتو في شهر تموز (يوليو) الماضي في تركيا بحضور الرئيس الأميركي دونالد ترامب، على نحو طرح أسئلة بشأن ما ينتظر المنطقة على ضوء مذكرة التفاهم بين الولايات المتحدة وإيران، مع احتمال نجاحها أو فشلها في إنتاج اتفاق نهائي.

الأمن العابر للمدن

في 10 حزيران (يونيو) 2026، ألقى أردوغان كلمة أمام نواب حزب العدالة والتنمية في البرلمان التركي، مؤكداً أن "هجمات نتنياهو وشبكته الإجرامية على لبنان وسوريا وصلت إلى نقطة تهدد تركيا أيضاً". قال حرفياً: "أمن تركيا لا يبدأ من هاتاي فحسب، بل يبدأ من حلب، ويبدأ من دمشق، ويبدأ من بيروت. دمشق وبيروت مدينتان شقيقتان لإسطنبول. ولن نسمح بفرض أمر واقع في بلداننا الشقيقة، ولن نتغاضى عن أي هجمات تستهدفهم». ووصف الهجمات الإسرائيلية بأنها «تهدد البشرية جمعاء» ويجب وقفها فوراً.

وما بين 11 ـ 14 من نفس الشهر، كرر أردوغان ومسؤولون أتراك (بما في ذلك وزير الخارجية حقان فيدان) هذا المعنى في لقاءات إعلامية وتصريحات رسمية، مؤكدين ربط الأمن التركي بالاستقرار في سوريا ولبنان، ورفض أي تقسيم أو تغيير ديموغرافي يخدم «أوهام الأرض الموعودة» الإسرائيلية.

قبل ذلك، في 11 كانون الثاني (يناير) 2026، كان أردوغان قد أكد، خلال اجتماع الكتلة النيابية لحزبه، أن «تركيا لن تقبل بأي كيان انفصالي يهدد أمنها على حدودها الجنوبية مع سوريا»، ودعا إلى (حل دائم) للمسألة الكردية من خلال التكامل الكامل مع الدولة السورية المركزية، محذراً من أي تهديد للوحدة الترابية السورية.

وفي تأكيد تعهداته، شدد أردوغان في كانون الأول (ديسمبر) 2025، على أن إسرائيل هي «العقبة الرئيسية أمام استقرار سوريا». وتعهد بدعم الحكومة الانتقالية في دمشق، مع رفض أي تعاون أميركي مع قوات كردية يُنظر إليها كتهديد.

وقبل ذلك بعام، وبالتحديد في كانون الأول (ديسمبر) 2024، بعد سقوط نظام بشار الأسد في سوريا، أعلن أردوغان أن «حماية الوحدة الترابية السورية هي خط أحمر تركي لا يمكن التراجع عنه»، ودعا إلى دعم سوريا «ملكاً للسوريين» مع الحفاظ على وحدتها.

الحوافز والتوقيت

يقول خبراء في الشؤون التركية أن تصريحات أردوغان تعكس التالي:

1- إظهار مفهوم تركي استراتيجي لـ«الأمن القومي العميق».

2- يقوم المفهوم على تجاوز الحدود الجغرافية إلى مناطق النفوذ التاريخي (العثماني).

3- التركيز على منع أي قوى خارجية، خاصة إسرائيل، من فرض واقع جديد في سوريا أو لبنان يهدد المصالح التركية.

4- العمل على مكافحة الجماعات الكردية وإجهاض طموحاتها الانفصالية في كل المنطقة.

من جهته، وفي 10 حزيران (يونيو) 2026، ردّ رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بشدة على تصريحات أردوغان واصفا إياه بـ«الديكتاتور المعادي للسامية الذي يرتكب إبادة جماعية ضد الأكراد، ويدعم حماس، ويقمع شعبه». وأكد أن إسرائيل «ستواصل عملياتها ضد إيران وحلفائها». واعتبر معلقون أن إسرائيل ترى التصريحات التركية دعماً لـ «محور المقاومة» وتهديداً لمصالحها في الجولان والجنوب السوري، متخوفة من الوجود التركي في شمال سوريا.

بالمقابل، في 10 من نفس الشهر، أشاد ترامب بأردوغان كـ«صديق جيد وقائد قوي»، وقلل من احتمال صدام تركي ـ إسرائيلي مباشر، قائلاً إنه «لن يحدث طالما أنا رئيس» بفضل العلاقات الشخصية. وأبدى استعداداً للتوسط.

وتتساءل أوساط تركية مراقبة بشأن توقيت مواقف أردوغان. بعضها يرى أنها تعود إلى موقف تركيا من حربي 2025 ـ 2026 على إيران التي أدانها أردوغان داعيا للحل الدبلوماسي، مقترحا تركيا وسيطا. وبعضها الآخر تلفت إلى أن توقيت تصريحات أردوغان التصعيدية ضد إسرائيل كحديثة عن أمن قومي مرتبط بدول المنطقة سبق قمة الناتو في أنقرة في 7 ـ 8 من شهر تموز (يوليو) الماضي.

وتعتبر المصادر أن القمة والمواقف التي تسبقها تهدف إلى تعزيز موقف أردوغان كلاعب مركزي، وتوجيه رسائل للحلفاء (خاصة الولايات المتحدة) بضرورة مراعاة المصالح التركية في أي ترتيبات سورية ـ لبنانية.

وترى مصادر دبلوماسية أن تصعيد أردوغان يقوم على:

1- استغلال تراجع قوة إيران لتوسيع النفوذ التركي لا سيما من خلال دعم دمشق وإقامة قواعد عسكرية.

2- رفض أي حراك انفصالي كردي في المنطقة وخصوصا ذلك الذي يحظى بدعم إسرائيل.

3- تعزيز قاعدته الانتخابية من خلال رفع أسقف الانتقاد لإسرائيل والتحذير من مخاطرها.

ويستبعد المحللون الصدام المباشر بين تركيا وإسرائيل بسبب عضوية تركيا في حلف الناتو مع ما يعنيه ذلك من تفعيل للمادة الخامسة لدستور الحلف التي تطلق الدفاع الجماعي المشترك. كما أن علاقة البلدين وزعيمي البلدين مع ترامب من شأنها منع ذلك الصدام. ومع ذلك تحذر مصادر مما قد يحمله التصعيد من مخاطر غير مباشرة في سوريا، لجهة تحوّل الصراع إلى الوكلاء من خلال مواجهات في جنوب البلاد أو من خلال وكلاء.

ويكمن التخوّف في تفاقم حالة الانقسام في سوريا بسبب التوتر بين تركيا وإسرائيل، بحيث تسيطر تركيا على شمال البلاد بينما تسعى إسرائيل لإقامة منطقة عازلة في الجنوب. وتضيف المصادر أن أردوغان تقصّد ذكر بيروت كمدينة تشملها العقيدة التركية للامن القومي، من ضمن قراءة تركية تعتبر أن أي توسّع إسرائيلي داخل لبنان يشكل تهديداً للتوازن.

عقيدة العمق الاستراتيجي

رَسَمَ أردوغان خريطة أمنية جديدة لتركيا. أبلغ مَن يهمّهُ الأمر أن «أمنَ تركيا لا يبدأ من هاتاي فحسب، بل يبدأ من حلب، ويبدأ من دمشق، ويبدأ من بيروت، وأن دمشق وبيروت مدينتان شقيقتان لاسطنبول، واعدا: «لن نسمح بفرض أمر واقع في بُلداننا الشقيقة، ولن نتغاضى عن أيّ هجمات تستهدفها».

تعود الجذور الفكرية إلى كتاب أحمد داوود أوغلو «العمق الاستراتيجي» (2001)، الذي يرى تركيا وريثة الحضارة العثمانية ولها نفوذ طبيعي في مناطق «العمق». لكن داوود أوغلو كان يتحدث عن صفر مشاكل مع الجيران. أما أردوغان فيتحدث هذه الأيام بلغة صلبة تُحدّد العدو بالاسم وتؤطّر التوسع كضرورة دفاعية.

وَسّعَ أردوغان مفهوم الأمن القومي التركي خارج الحدود الجغرافية، وحدّد إسرائيل بوصفها المهدّد الرئيس لهذا الأمن. وصف الهجمات الإسرائيلية بأنها «تُهدّد البشرية جمعاء» ويجب وقفها فورا.

وقد أتت التصريحات في سياق إقليمي متوتر ثلاثي الأضلاع:

1- تحوّلات ما بعد سقوط نظام الأسد في سوريا.

2- تراجع قوة إيران بعد الحرب الأخيرة.

3- مذكرة التفاهم الأميركية ـ الإيرانية التي تعيد رسم التوازنات.

وبما أنه تسبق التصريحات قمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) في أنقرة ، أراد أردوغان أن يدخل القمة وهو يحمل أعلى سقف تفاوضي ممكن. لسان حاله يقول إنّ أيّ ترتيبات سورية ـ لبنانية لن تكون مستدامة إلّا إذا أخذت المصالح التركية في الحسبان.

التموضع والتحالفات

تشكل سوريا قلب هذه العقيدة. في أعراف أردوغان وعقائده أن الوحدة السورية خط أحمر. والتحدّي الثابت هو الملف الكردي. تنظر أنقرة بقلق شديد إلى أيّ تحريك للورقة الانفصالية، خصوصاً إذا ارتبط ذلك بتنسيق إسرائيلي. في المقابل، تسعى إسرائيل إلى إقامة منطقة عازلة في الجنوب. هكذا تتشكل معادلة نفوذ يصعب التوفيق بين طرفيها. هذا يعني أنّ توسّع النفوذ لأحدهما مرادف لتقلّص الطرف الآخر.

يجد أردوغان نفسه داخل معادلة ملتبسة. تركيا حليف للولايات المتحدة داخل "الناتو". والولايات المتحدة حليف تاريخي لإسرائيل.

ومع ذلك بإمكان أردوغان التعويل على صداقة شخصية تجمعه بالرئيس الأميركي دونالد ترامب. فحين سُئل الأخير عن تصريحات أردوغان التصعيدية قال إنه «الصديق الجيد والقائد القوي». وإذا ما كانت تركيا تعتبر إسرائيل عدوًا، فإسرائيل التي انتشت بسقوط محتمل لإيران تمنّي النفس بأن تكون تركيا الهدف التالي، أو هكذا يخيّل للمتخيلين.

المنطقة في طور التشكّل. والمنطقة برمتها تدافع عن نفسها وتدفع عن نفسها خبث التشكّل. قبل أشهر ظهر تكتل رباعي ضم السعودية ومصر وتركيا وباكستان لإعادة التموضع اتقاء من نذير التحوّلات المرتجلة. تستنتج تركيا فراغًا إيرانيًا محتملًا وربما حتميًا لا سيما إذا ما فشل اتفاق واشنطن ـ طهران الملفّق. فيرسم أردوغان عشية قمة «الناتو» حدودا جديدة لبلاده ويسيج تركيا بحدائق خلفية.

يتحضّر التكتُّل الرباعي لرفع جدار عال على طموحات نتنياهو في جعل الشرق الأوسط جديدًا وفق النسخة التي يبشّر بها. لا شيء

نتنياهو : أردوغان ديكتاتور معاد للساميـ

ترامب: أردوغان صديق جيد وقائد قوي

سوريا الجديدة قلب الأمن التركي

نائب رئيس حكومة في أنقرة: استجابة بيروت

نافرًا حتى الآن، غير أنَّ أردوغان يتبرّع بإعطاء أولى واجهات صدّ ضد ما يُرسَم من خرائط.

يدشّن أردوغان عقيدةً أمنية تُعلن تجاوز الحدود الجغرافية إلى مناطق النفوذ التاريخي (العثماني)، وتحدد إسرائيل كتهديد مركزي. لا يعني ذلك أن في الأمر صداما مقبلًا، بل تحذير بلهجة الإنذار، بأن تركيا مُتنبِّهة واعية لما قد يُخطط حزب له.

ولئن يكرر ترامب دعوة سوريا، حديقة تركيا الخلفية، للتدخُّل في لبنان ضد حزب الله، فإن أردوغان يرى في ذلك العبث الأبجدي ما يستدعي أبجدية مضادة تطلق وابلا من النقاط لوضعها على الحروف. فتغادر تركيا عقيدة «صفر مشاكل» وتعلن الانخراط في علم الحساب، بحيث تصير مدن المنطقة أرقاما تركية يُحسَب لها حساب.

لبنان يتحرك صوب أنقرة

في أعقاب تصريحات أردوغان التي اعتبر فيها بيروت (ومدنًا عربية أخرى) جزءًا من أمن تركيا الاستراتيجية، بعثت بيروت بنائب رئيس الحكومة نحو أنقرة في زيارة تطرح أسئلة بشأن طبيعة علاقات لبنان وتركيا لا سيما في ملفات خلافية مسكوت عنها، إضافة إلى موقف أنقرة من تحديات أمام حكومة لبنان مرتبطة بحرب إيران، وتحولات سوريا، والحرب الإسرائيلية ضد حزب الله. تطرح المسألة وجوه سياسة تركيا صوب لبنان في ظل حساسية قد تكبح ذهاب أنقرة بعيدًا في مدّ نفوذها صوب لبنان.

ففي 17 حزيران (يونيو) 2026، زار نائب رئيس الحكومة اللبنانية طارق متري العاصمة التركية أنقرة، حيث استقبله نائب الرئيس التركي جودت يلماز في المجمع الرئاسي. ناقش الجانبان تعزيز التعاون الثنائي في مجالات الاقتصاد والطاقة والدفاع، بالإضافة إلى التضامن الإقليمي ضد السياسات التوسعية الإسرائيلية. أكد يلماز أن "تعزيز التضامن الإقليمي ضد سياسات إسرائيل التوسعية يحمل أهمية كبيرة"، وشدّد على أن أي اعتداء على سيادة لبنان أو وحدة أراضيه يشكل انتهاكا واضحًا للقانون الدولي. كما أعرب عن التزام تركيا بدعم أمن لبنان واستقراره وتنميته الاقتصادية، مع الإشارة إلى استمرار المساعدات الإنسانية عبر وكالة التعاون والتنسيق التركية (تيكا) وإدارة الكوارث والطوارئ (أفاد) والهلال الأحمر التركي.

تأتي زيارة موفد بيروت رغم أن هناك ملف خلافات مع أنقرة لا سيما ملف ترسيم الحدود البحرية مع قبرص. ففي 26 تشرين الثاني (نوفمبر) 2025، وقّع لبنان وقبرص اتفاقية لترسيم المنطقة الاقتصادية الخالصة، وهي خطوة طال انتظارها وفتحت الباب أمام استكشاف حقول الغاز البحرية وتعزيز التعاون الطاقي. لكن هذه الاتفاقية أثارت غضب تركيا بشكل واضح، حيث اعتبرت أنقرة أن الاتفاق ينتهك حقوق القبارصة الأتراك ويتجاهل وجودهم كشريك أساسي في الجزيرة.

ويقوم موقف تركيا على واقع أنها لا تعترف باتفاقيات المنطقة الاقتصادية الخالصة التي وقّعتها جمهورية قبرص مع دول أخرى (مصر وإسرائيل ولبنان)، معتبرة أن الجمهورية القبرصية لا تمثل الجزيرة ككل في ظل الانقسام القائم. وقد حاولت تركيا في الماضي استخدام نفوذها لعرقلة مثل هذه الاتفاقيات، وردّت على توقيع 2025 بإدانة صريحة.

ويضع هذا الملف لبنان في موقف دقيق بين الضغوط القبرصية ـ الأوروبية من جهة، والموقف التركي من جهة أخرى، التي ترفض اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار بشكل كامل وتفضل مبدأ (الإنصاف) في ترسيم الحدود. ووفقًا لذلك قد ترى تركيا في الاتفاق اللبناني ـ القبرصي تعزيزًا للموقف اليوناني في شرق المتوسط، مما يؤثر سلبًا على مطالبها الخاصة بالتنقيب عن الغاز. ومع ذلك، لم يؤدِ هذا الخلاف إلى تجميد العلاقات الثنائية مع بيروت، إذ تستمر أنقرة في السعي لتعاون اقتصادي وأمني مع لبنان، ربما كوسيلة لموازنة النفوذ الأوروبي أو لفتح قنوات بديلة في مجال الطاقة.

بيروت بين دمشق وحزب الله

تكتسب تركيا أهمية استثنائية كداعم رئيسي للحكومة السورية الجديدة بقيادة أحمد الشرع. وتستطيع أنقرة تسهيل الحوار بين بيروت ودمشق حول ملفات الحدود، الأمن المشترك، التجارة، وإعادة اللاجئين. وكان رئيس الحكومة اللبنانية نواف سلام زار دمشق في أيار (مايو) 2026 لبحث هذه الملفات، فيما لعبت تركيا دورًا في تشجيع مثل هذا التنسيق لمنع أي فراغ أمني قد يستغل من قبل جهات معادية. كما تسعى تركيا والسعودية معًا إلى تنسيق لبناني ـ سوري يعزز الاستقرار ويقلل من النفوذ الإيراني في المنطقة.

من جهة أخرى ترى تركيا في حزب الله فاعلًا سياسيًا يمكن أن يشارك في الحياة اللبنانية ضمن إطار الدولة، لكنها تنتقد بشدة دوره العسكري خارج سيطرة المؤسسات الشرعية وتورطه السابق في الحرب السورية ضد المعارضة التي كانت تدعمها أنقرة. وتدعم تركيا حصر السلاح بيد الدولة اللبنانية وتعزيز دور الجيش كمؤسسة وطنية وحيدة. ومع ذلك، تحافظ أنقرة على سياسة براغماتية تتمثل في إبقاء قنوات اتصال مفتوحة مع مختلف الأطراف، بما في ذلك محاولات الوساطة في أبريل 2026 لترتيب تفاهم أميركي ـ لبناني بشأن الحزب.

تركيا والموقف من تهديد حكومة سلام

ويعتقد مراقبون أتراك أن الموقف الرسمي التركي داعم للشرعية الدستورية، وترفض أنقرة أي محاولة من قبل ميليشيا مسلحة لإسقاط حكومة منتخبة دستورياً، معتبرة ذلك تدخلاً غير مقبول في الشؤون الداخلية وتقويضًا لسيادة الدولة. كما يؤكدون أن تركيا تدعم تعزيز مؤسسات الدولة اللبنانية ومسار الإصلاح الذي يتبناه نواف سلام. ويضيف المراقبون أن أنقرة تفضل الحلول السياسية والدبلوماسية على أي تصعيد داخلي قد يؤدي إلى فوضى أو حرب أهلية جديدة.

ويرى خبراء في الشؤون التركية أن موقف حكومة أردوغان تجاه لبنان وحكومته ومؤسساته ينسجم مع سياستها العامة في المنطقة، حيث تفضل الاستقرار والحكومات القوية القادرة على فرض سيادتها على الأراضي كلها، بدلاً من استمرار «دولة داخل الدولة».

*صحافي وكاتب سياسي

النص الكامل على موقعنا الإلكتروني

معن بشور*

دروس المونديال وفوز إسبانيا: عالم يتغير

حين كنا صغاراً كانوا يقولون لنا «العقل السليم في الجسم السليم».

وحين بتنا شباباً وكهولاً لاحظنا ان هناك سعياً مشبوهاً لكي تصبح الرياضة سبباً للانصراف عن الهم الوطني، واحياناً لخلق أجواء تثير الفتن داخل الشعب الواحد، ومرة ثالثة لكي تلهي الشعوب عن قضاياها كما جرى خلال المونديال عام 1982 حين كانت بيروت محاصرة.

لكن في السنوات الأخيرة بدأت ملاعب الرياضة، لا سيّما ملاعب كرة القدم، منابر تعبر الشعوب من خلالها عن مشاعرها الحقيقية... وهذا ما شهدناه قبل أربع سنوات في مونديال قطر حيث بدت فلسطين الحاضر الابرز في الدوحة. وحيث شهد مونديال 2026 في كندا والمكسيك، وفي الولايات المتحدة خصوصاً، حماسة للفرق العربية المشاركة، لا سيّما مصر والمغرب ثم الحماسة الهائلة لإسبانيا، خصوصاً لدى جماهير بلاد العرب والمسلمين، حيث ابدت امتنا العربية ومعها احرار العالم كل امتنان للفريق الاسباني على مواقف حكومته الداعمة لفلسطين ولبنان وايران في مواجهتهم للعدوان الصهيو ـ امريكي.

لقد انقلب السحر على الساحر، وتحولت الميادين الرياضية، كما المهرجانات الفنية والادبية، إلى منابر غير عادية للقضايا المحقة للشعوب، خصوصاً لقضايانا العادلة.

وحين اطلقنا من بيروت عام 2015 «المنتدى العربي الدولي من أجل العدالة لفلسطين»، واخترنا الراحل الكبير وزير العدل الاميركي السابق رامزي كلارك رئيساً فخرياً له ، كنا ندرك اننا نواكب مساراً عالمياً كبيراً سيعبر عن نفسه في وقت ليس بعيداً.

كان شعارنا يومها وما يزال «يا احرار العالم اتحدوا» فليس لديكم ما تخسرونه سوى قيود الاستعمار والعنصرية والاستغلال وفظائع الوحشية و الاجرام.

□■□

في مواجهة العدوان المتواصل على بلادنا

■ بين نابلس وقلقيلية والقدس في الضفة الغربية ، وبين غزة المجاهدة حيث تستمر الإبادة الصهيونية كل يوم ، وبين العدوان الصهيوني اليومي المتواصل في جنوب لبنان في مناطق محتلة وغير محتلة، « تجريبية» وغير «تجريبية» ، وصولاً الى ايران حيث العدوان أمريكي والقرار اسرائيلي، وبين مشاركة يمنية باسلة عبر مضيق باب المندب والبحر الأحمر، تتضح ملامح عدوان شبه عالمي على بلادنا العربية الاسلامية في ظل صمت مريب على الصعيد الرسمي العربي والإسلامي، (الاّ فيما ندر)، بما يزيد من مسؤولية القوى المقاومة والشعبية المدعوة إلى تجاوز كل ما يحول دون ردود فعل متكاملة بينها على هذا العدوان المتجدد، وعلى كافة المستويات، بدءاً من انهاء كل أشكال التطبيع الذي تورطت به بعض انظمتنا من المحيط إلى الخليج ، والمرشح للتوسع، وصولاً إلى احتضان عربي واسلامي وعالمي لمقاومة الاحتلال والعدوان على بلادنا، وتجاوز كل الانقسامات الداخلية المشبوهة التي تقدم خدمات مباشرة لدول العدوان، القريبة منها والبعيدة. ولعل التصريحات العنصرية والابادية الصادرة عن رموز العدوان في تل ابيب وواشنطن تستوجب إحالة مطلقيها إلى محاكم العدالة الدولية باعتبارها أدلة بمواجهة العدوان المتواصل على بلادنا في ارتكابهم جرائم ضد الإنسانية.

□■□

قراءة في تجدد المسيرات المليونية في اليمن

■ المليونية التي شهدتها صنعاء والحواضر اليمنية رفضاً للعدوان والحصار ليست جديدة على اليمن الذي أثبت شعبه على مدى 15 سنة انه مفاجأة الأمة لنفسها وانه رغم بعده الجغرافي عن القدس وفلسطين فهو الاقرب نضالياً وعاطفياً لها، والأكثر التزاماً بالمقاومة على طريق فلسطين.

واذا كانت واشنطن ومعها تل ابيب تسعيان بكل الأساليب والوسائل ان تحول عدوانها الثنائي على ايران إلى حروب عربية ـ عربية من المغرب الأقصى إلى الجزيرة العربية وسواحل البحر الاحمر ومضائق باب المندب وهرمز وصولا إلى السودان والصومال.

ولكن يخطئ المخططون في واشنطن وتل ابيب حين يعتقدون ان امتنا العربية والاسلامية هي لقمة سائغة في افواههم ولهم في الصمود الايراني على مدى أربعة أشهر ونيف وعلى مدى الف يوم ونيف في «طوفان الاقصى» وفي معارك وحروب لم تتوقف في لبنان منذ عقود وعلى مفاجآت لم تتوقف في اليمن ما يقض مضاجعهم ويحيي امالنا رغم الأوجاع والآلام والخسائر التي نواجهها.

نحن من مدرسة تؤمن ان تغيير العالم سينطلق من أمة العرب والمسلمين التي تحمل رسالة خالدة، ومن مدرسة كانت تؤمن ان نصراً سيطل بعد عذاب وان نوراً سيشرق بعد ظلام وان نهضة ستبعث بعد سكون.. باذن الله.

* الامين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

بعد عقود طويلة من العداء المعلن والتعاون الخفي

تركيا وإسرائيل... تضارب المصالح واحتمالات المواجهة العسكرية

القاهرة: صفاء عزب*

«إن إسرائيل أصبحت عبئا على الإنسانية كلها.. فهي لا تستطيع العيش دون عدو، ولهذا قد تكون تركيا هي العدوة المقبلة لها».

تصريح على لسان هاكان فيدان وزير الخارجية التركي وهو التصريح الذي أثار غضب إسرائيل ووصفته أنه خطير جدا. والذي جاء في إطار حالة من التراشق السياسي والحرب الكلامية بين تركيا وإسرائيل. فقد كانت هناك تصريحات عدائية على الجانب الآخر أيضا ضد تركيا على لسان مسؤولين إسرائيليين منهم رئيس الوزراء نتنياهو الذي قال: «على أردوغان أن يهدأ.. ما يحدث في تركيا هو نتيجة لتراجع نفوذ إيران..لن نسمح لتركيا بتدمير إسرائيل»،

وعميشاي شيكلي وزير شؤون الشتات الذي قال: «إن عصر (الإمبراطورية الشيعية في إيران) قد انتهى.. هناك محور جديد على خطاه.. إنه محور الإخوان المسلمين المتمثل في تركيا وسوريا وقطر في عهد أردوغان، ومن الأفضل أن تفتحوا أعينكم الآن.. سيناريو إقدام تركيا على عمل عسكري ضد إسرائيل وارد بالتأكيد». وهي تصريحات تعكس درجة من التصعيد في إعلان العداء المتبادل بين البلدين.

هذه التصريحات العدائية والاتهامات المتبادلة بين تركيا وإسرائيل قد تبدو عادية ولكن مع اشتعال الحرب في غزة زادت حدتها بشكل يشي بوجود تصعيد خطير خاصة مع الإعلان مؤخرا عن صفقة الطائرات إف-35 التي ستحصل عليها تركيا من الولايات المتحدة الأمريكية.

تحول خطير

ولم يتوقف الأمر عند التصريحات العدائية بل امتد لسلوكيات أشد عداء من جانب إسرائيل عندما حاولت الأخيرة إحياء التوترات بين اليونان وتركيا بشأن قبرص وشرق المتوسط، وتزويد قبرص بصواريخ الدفاع الجوي باراك إم إكس، إلى جانب الحرص على الحصول على وضع مميز داخل قاعدة بافوس الجوية القبرصية، في إشارة إلى أنها تتحدى تركيا وقوتها البحرية المتنامية في البحر المتوسط.

وتكشف تقارير عبرية أن إسرائيل باتت قلقة من التمدد التركي عبر شرق المتوسط والشرق الأوسط، والقوقاز، والبلقان وإفريقيا وتنظر إليها باعتبارها تمثل تحديا أكبر من إيران، خاصة في ظل إمكانياتها العسكرية وقدراتها الرادارية وطائراتها المسيرة، مما دفع جيلا غاميلي وزيرة الابتكار والعلوم والتكنولوجيا للاعتراف أن "إسرائيل تعد العدة لمواجهة الامبراطورية العثمانية" إشارة إلى تركيا.

واقع الأمر أن تصعيد الأمر إلى هذاالمستوى من العداء المتبادل بين الدولتين يعد مؤشرا خطيرا على حدوث تحول دراماتيكي في العلاقات التركية الإسرائيلية، والتي قد يبدو للبعض أنه ليس بجديد في ظل تظاهر تركيا الدائم بخصومتها مع الكيان الصهيوني وترويجها لصورتها كمناصرة للقضية الفلسطينية أمام العالم وخاصة العرب، ولكن ما يخفى في كواليس سياستها الخارجية تجاه إسرائيل يكشف عن تاريخ طويل من التعاون وتبادل المصالح بشكل يرتقي إلى درجة الصداقة، قبل انقلاب الأوضاع والتحول للعداء اللدود في الأونة الأخيرة.

أول من اعترف بالدولة الصهيونية!

رغم هذه الصورة التي تحاول تركيا أن تصدرها للعالم عن نفسها، إلا أن خفايا وتفاصيل علاقتها بالكيان الصهيوني تبدو مثيرة ومتناقضة مع هذه الصورة وهي علاقة تجاوز عمرها 75 سنة. لقد كانت تركيا أول دولة إسلامية تعترف بإسرائيل عام 1949 وكان بن جوريون مؤسس الكيان الصهيوني حاملا للجنسية العثمانية آنذاك، واستعانت تركيا بالفنيين الإسرائيليين في تحديث الطائرات الحربية التركية. وعلى مدار عقود طويلة كانت العلاقة بينهما جيدة سواء في عهد الحكومات العلمانية، أو مع الحكومات ذات الطابع الإسلامي مثل حكومة عدنان مندريس في حقبة الخمسينيات من القرن الماضي، وحكومة طورغوت أوزال في الثمانينيات، أو في ظل حكم أردوغان ممثل حزب العدالة والتنمية الإسلامي.

وحتى عندما كان يتم اتخاذ مواقف تركية معلنة ضد الاحتلال الإسرائيلي وجرائمه وخاصة في فلسطين، فإن تلك المواقف لم تكن تتجاوز حدود الشعارات وعبارات الشجب والتنديد والتصريحات الإعلامية الاستهلاكية لدغدغة المشاعر الإنسانية دون اتخاذ مواقف أو سلوكيات واقعية عقابية أو رادعة، بل كانت قنوات التواصل الدبلوماسي والاقتصادي وربما الأمني مفتوحة تحت مظلة هذه الشعارات. وحتى في الحالات التي تعرضت فيها العلاقات التركية الإسرائيلية لأزمة لم يكن يحدث انقطاع كامل بل كان التواصل مستمرا في الكواليس والدليل على ذلك أن ما حدث من صدامات كلامية بين تركيا وإسرائيل خلال منتدى دافوس 2009 لم يمنع وجود تبادلات تجارية بلغت قيمتها بالمليارات.

تعاون كبير وخصومة مؤقتة!

على مدار تلك العقود الطويلة منذ نشأة الكيان الصهيوني شهدت علاقة تركيا به تطورات خطيرة بدأت بمرحلة التعاون الاستخباراتي السري والتي امتدت لما يقرب من نصف قرن، قبل أن تتطور إلى مرحلة التعاون الاستراتيجي الرسمي والمعلن 1996- 2002 والذي ارتقى إلى درجة الشراكة الأمنية لمواجهة وتطويق الخطر السوري والإيراني. وبعد فوز حزب العدالة والتنمية الإسلامي والمقرب في مواقفه من المقاومة في فلسطين، لم يحدث تغير جوهري في العلاقة واستمر التعاون العسكري رغم الخلافات السياسية العلنية بين عامي 2002.2008.

وحتى عندما تم طرد السفير الإسرائيلي في تركيا 2010 لم يكن دفاعا عن الفلسطينيين بل ردا على قيام القوات الإسرائيلية بقتل عشرة أتراك في غارة على سفينة كانت تقل نشطاء تهدف إلى كسر الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة، ومع ذلك عادت العلاقات طبيعية عام 2016. تجددت الخصومة عام 2018 بعد قيام إسرائيل بطرد السفير التركي اعتراضا على استضافة بلاده لقياديين من حماس عقب مقتل عشرات الفلسطينيين أثناء مشاركتهم في احتجاجات عنيفة على حدود غزة. وكانت لتركيا مساع لرأب الصدع مع إسرائيل عام 2020 أثمرت عن قيام الرئيس الإسرائيلي إسحق هرتسوج بزيارة تركيا في مارس 2022، وأعقبها تبادل زيارات من وزيري خارجية البلدين. وهو ما يرسم ملامح وطبيعة العلاقة بين تركيا وإسرائيل واستئنافها عقب كل خلاف، لذلك لم تقلق إسرائيل بإعلان تركيا قطع علاقاتها معها العام الماضي لأنها واثقة من عودتها، وهو ما أكدته تصريحات صحفية لمسؤول إسرائيلي قال إن: " تركيا سبق أن أعلنت في الماضي قطع علاقاتها الاقتصادية مع إسرائيل، لكن العلاقات استمرت رغم ذلك!"

بالنظر إلى الوقائع التاريخية التي شكلت ملامح العلاقات التركية الإسرائيلية خاصة في عهد أردوغان، نجد أنه في الوقت الذي كان يقدم نفسه كحامٍ للإسلام وعروبة القدس والمتحدث باسم المسلمين، وممارسته لسلوكيات مظهرية للتعبير عن ذلك كأن يشارك في وقفات لدعم الفلسطينيين ويخطب في المتظاهرين منددا بجرائم إسرائيل، كان في الوقت نفسه يحرص على عدم المساس بالتوازن في علاقته مع إسرائيل بل أحيانا كان يتخذ مواقف عملية على حساب الشعارات التي ينادي بها لاعتبارات المصلحة، حتى لو اضطره الأمر لمطالبة وفد حماس بمغادرة البلاد كما حدث عندما تم ذلك مع إسماعيل هنية والوفد المرافق له في أكتوبر 2023 عقب عملية طوفان الأقصى التي فجرت الأوضاع في المنطقة لاحقا.

ورغم التوتر التركي الإسرائيلي المعلن أمام الناس أثناء حرب غزة، استمرت العلاقات التجارية التركية الإسرائيلية طبيعية مما أثار غضب الشارع التركي وأجبر عمر بولات وزير التجارة التركي لتبرير موقف بلاده والذي دافع عنه بالإشارة إلى أن التبادل التجاري يتم من خلال شركات خاصة وليست حكومية.

وقد شهدت العلاقات التركية الإسرائيلية تصاعدا ملحوظا منذ ظهور أردوغان على الساحة خاصة في مجال الاقتصاد والاستخبارات والنواحي الأمنية. وسجلت الأرقام خلال الفترة من 2002 و2022 ارتفاعا في حجم التجارة بين تركيا وإسرائيل بلغ ستة أضعاف! وهذا الأمر جعل محللين يصفون تركيا بالتلون والتحرك تبعا للظروف وحسابات المصالح.

وبينما كانت المجازر تجري في فلسطين كان التعاون مستمرا ولم تتخذ تركيا موقفا حاسما بقطع العلاقات مع الدولة العبرية إلا في أغسطس 2025 أي بعد ما يقرب من مرور عامين على مذابح غزة.

أمام هذه الوقائع تتكشف حقيقة واحدة هي أن تركيا تعمل في اتجاهين؛ رفع شعارات رنانة تدغدغ المشاعر وتروج لزعامتها العالم الإسلامي، وفي نفس الوقت تتخذ مواقف سياسية تجاه إسرائيل وفق حسابات المصالح ومقتضيات التوازن.

تضارب مصالح ودوائر صراعات!

بعد هذه السنوات الطويلة من التعاون وفق حسابات المصالح واعتبارات التوازن، يبدو أن علاقة تركيا وإسرائيل الحالية تجاوزت هذه المسألة ووصلت لمستوى تضارب المصالح، والذي يفسر لنا التصريحات العدائية الشرسة والمتبادلة بين البلدين مؤخرا.

فقد شهدت الفترة الأخيرة مجموعة من المتغيرات ساهمت في تحول العلاقة من تحالف وشراكة إلى صراع على الهيمنة والنفوذ ومنافذ الطاقة والسيادة الإقليمية. في مقدمتها حرب غزة والحرب على إيران والتي أثارت التساؤل حول من يرث النفوذ الإيراني في المنطقة خاصة

وزير خارجية تركيا... قطع العلاقات الاقتصادية والتجارية مع إسرائيل

تركيا والممر الجديد... تهديد صامت لمكانة إسرائيل

في سوريا ولبنان وغزة.

وتعد سوريا من أهم دوائر الصراع التركي الإسرائيلي بعد سقوط نظام الأسد حيث تسعى تركيا لوجود دولة مركزية في سوريا تحول دون وجود كيان كردي مستقل يهدد وحدتها، بينما تخشى إسرائيل قيام دولة قوية في سوريا وخاصة لو كانت ذات طبيعة إسلامية وذات علاقات قوية مع دولة إسلامية بحجم تركيا. بل تفضل أن تكون دولة غير قوية حتى لا يكون لها جيش يواجه الأطماع الإسرائيلية وفي ذلك تسعى إسرائيل إلى اللعب على وتر الأقليات السورية واستغلالها لبث الفرقة وتقطيع أوصال الدولة السورية.

وتعتبر غزة من بين دوائر الصراع التركي الإسرائيلي حيث تخشى إسرائيل من أي دور تركي في إعادة الإعمار أو الإدارة أو الوساطة، لأنه قد يفتح الباب أمام حضور تركي دائم في الملف الفلسطيني وإن كان ليست بقوة الحضور الإيراني لأن تركيا لا تستطيع فرض ترتيبات ميدانية كما كانت إيران.

وفي لبنان تخشى تركيا أن تفرض إسرائيل ترتيبات أمنية تخل بالتوازن الإقليمي ويمنح الأفضلية لها في رسم قواعد المنطقة بعيدا عن الآخرين.

وتأتي دائرة الصراع التالية في شرق المتوسط حيث التنافس المحموم على الغاز والموانئ وخطوط النقل، والتعاطي مع القضية القبرصية حيث تسعى إسرائيل لترتيبات تثبت موقعها ضمن محور مع مصر واليونان وقبرص وأوروبا في غياب تام لتركيا وهو ما ترفضه الأخيرة خشية إخراجها من معادلة الطاقة. يضاف لذلك الصراع على قضايا الأمن البحري والتحالفات الإقليمية.

كما تعد ممرات التجارة والطاقة من أهم مناطق صراع المصالح بين تركيا وإيران، خاصة بعد أزمة مضيق هرمز وتهديد الحوثيين للملاحة في البحر الأحمر، على خلفية الحرب على إيران، وهو الأمر الذي دفع الجميع للتفكير والبحث عن طرق بديلة. وهنا يزداد القلق الإسرائيلي من التقارب التركي السعودي السوري الهادف إلى إحياء ممرات تجارة تتجاوزها بما يعني ضرب الممر الاقتصادي الإسرائيلي الذي يهدف إلى التواصل بين آسيا وأوروبا في مقتل، لأن تركيا كانت قد دفعت بمشروع طريق التنمية الذي يربطها بميناء الفاو العراقي إلى أوروبا. وأدى تغير النظام في سوريا إلى تحول جديد اتخذته أنقرة متمثلاً في إحياء سكة الحجاز التاريخية وفتح مسار بري بدون الحاجة إلى إسرائيل.

لكل ذلك فإن المرحلة الحالية في العلاقة بين تركيا وإسرائيل ليست كغيرها من المراحل لأنها قائمة على صراع المصالح الذي خلق خصومة وعداء.

هل تقع حرب تركية إسرائيلية؟

هنا يثور التساؤل حول إمكانية الانتقال إلى المواجهة العسكرية في المرحلة التالية فهل نرى حربا جديدة بين تركيا وإسرائيل في المستقبل؟ رغم قوة التصريحات العدائية بينهما، لكن التدافع الاستراتيجي بين البلدين لا يرقى إلى الدفع نحو مواجهة عسكرية مباشرة لوجود عوامل تعمل كالكوابح المانعة للتصعيد نحو الحرب. يأتي في مقدمتها المصالح الإقليمية المشتركة حيث يجمع بين البلدين ملفات حيوية منها ما هو اقتصادي أوسياسي مرتبط باحتواء النفوذ الإيراني.

كما أن عضوية تركيا في حلف الأطلنطي مانعا قويا سياسيا وقانونيا في مواجهة إسرائيل إذا ما فكرت في توجيه ضربات لها، وكذلك تفرض هذه العضوية قيودا صارمة على تركيا لمنعها من التورط في أي مواجهة عسكرية خارج الناتو.

يضاف إلى ذلك المظلة الأمريكية التي تغطي البلدين، فإسرائيل حليفتها، كما أن تركيا أصبحت تتمتع بعلاقات طيبة وهو ما أكدته تصريحات ترمب عن تركيا وأردوغان في قمة الناتو الأخيرة والتي وعد فيها بمد تركيا بصفقة طائرات إف ـ 35 والتلويح بإمكانية رفع العقوبات عن تركيا (فرضتها واشنطن على تركيا عام 2020 بسبب حصولها على منظومات دفاع جوي روسية). ومن ثم فإن كلا الطرفين حليفان استراتيجيان لأمريكا التي ستمنع حتما أي تصعيد عسكري محتمل.

وعليه فإن سيناريو الحرب المباشرة بين تركيا وإسرائيل غير مرجح، ولكنه لايمنع استمرار الخصومة السياسية وتبادل رسائل الصراع في سوريا وشرق المتوسط وربما يصاحبها مناوشات أو احتكاكات جوية وبحرية سريعة يمكن احتواؤها دبلوماسيا.

ولاشك أن طبيعة المرحلة المقبلة والتي تشهد انتخابات ساخنة أمام نتنياهو وأردوغان تؤخذ في الحسبان لأنها تلعب دورها في زيادة حدة التصريحات المتبادلة.

ولكن ماذا عن الدور العربي في هذه الحرب الباردة بين طرفين غير عربيين يسعيان لملء الفراغ الاستراتيجي الذي تركته إيران في محاولة للهيمنة على الشرق الأوسط؟

هل يقف العرب متفرجين أم يكون لهم دور ترجيحي في هذه العلاقة؟

هذا ما ستكشفه تطورات الأحداث. ■

* كاتبة وصحافية مصرية

وجهة نظر

لن تُشرق الشمس من الجنوب

البروفسور نسيم الخوري*

يقدّم التاريخ المطبوع بالتحولات والمتغيرات وخصوصا أمام المؤرخين وأساتذة التاريخ في الأحرام الجامعية، أنماطاً هائلة من الصور النمطية المتشابهة والمتغايرة والتي قد تُقيم كما تتبدّل في الذاكرات والنصوص عند مقاربة التواريخ الدموية كما حصل ويحصل في لبنان.

أطرح أسئلةً من لبنان وجنوبه: كيف شكّلت الصراعات التاريخية صورة فارس في المخيلات؟ يأتينا الجواب من الدروس والعبر التي يحتضنها التاريخ باعتبار العلاقات بين الدول والشعوب تبقى بما يتجاوز المصالح والعلاقات الأممية غير الثابتة التي لم ولن تعرف الثبات. لماذا؟ لأنّ الصور النمطية التي تتكوّن خلال وفي أعقاب الصراعات تستمر بآثارها الدموية طويلًا في الذاكرات الثقافية للشعوب، لكنها لا ولن تعكس بسهولة المتغيرات الدائمة في العلاقات الدولية. قد تتحول الأمم التي عرفت العداء في الماضي تبعاً للحاجات والمصالح إلى التعاون المختار وحتّى المفروض لأسباب اقتصادية صعبة ومصالح مالية كبرى قبل أن تتخمّر وتصير ثقافية.

هنا تبرز أهمية القراءة النقدية للتاريخ في علاقات الدول. إنّ فهم صورة فارس في الأمثال الشعبية، مثلاً، كان لا ينبغي أن يقود إلى تعميمات أو أحكام على شعب كامل، بل يُفهم بوصفه جزءًا

2

من تاريخ طويل حافل بالتنافس المعقّد والصراع الإمبراطوري. يتطلب فهم إيران اليوم النظر إلى مستقبل دورها المُقبل في النظام الدولي وتنوع مجتمعها وثقافتها وتحوّلات تاريخها الذي دمغت وتدمغ فيه تاريخ العرب والعالم. ليست صورة فارس في مخيلة الأمم نتاج لواقع وحيد، بل هي حصيلة قرون من التفاعل بين القوة والذاكرة والتاريخ والحروب وتحولات النظام التي راحت تمطّ أعناقها نحو مستويات الصراعات العالمية الشديدة الخطورة بما كاد يشرّع الأبواب على شبه حرب عالمية ثالثة ومعضلات معقدة لإعادة بناء العلاقات بين الدول والشعوب على أساس التفاهم المتبادل والمصالح المشتركة.

شغل ويشغل تاريخ فارس وقُل إيران، أحد التواريخ الأشدّ تأثيرًا وتعقيدًا في منطقة غرب آسيا. لم تكن مجرد كيان جغرافي، بل كانت مركزًا قديماً لقوة لعبت أدواراً في التاريخ الإقليمي والدولي ممّا جعلها منطبعة في ذاكرات الشعوب المجاورة حتّى في الآداب الشعبية. لماذا؟ لأنّ صورة متحيّرة بقيت في المخيلة التاريخية تتنقّل بين الطموح الإمبراطوري والصراعات المعقّدة. كيف؟ ظهرت قوة منظمة عبر الإمبراطورية الأخمينية في القرن 6 ق.م. وبسطت نفوذها عسكرياً على مساحة شاسعة من آسيا الوسطى حتى شرق البحر المتوسط ممّا جعلها بمواجهة المدن الإغريقية ليتجلّى الصراع الهائل عبر الحروب الفارسية ـ اليونانية التي لعبت الدور الحاسم والنتائج الدموية بتأريخ الأحداث الثابتة التي ترقد آثارها في الذاكرة لتتحوّل صوراً نمطية حية في كتب التاريخ وقصص الشعوب.

3

دخلت فارس بعدها مرحلة جديدة من تاريخها بعد سقوط الدولة الساسانية واندماجها بالعالم الإسلامي إثر التحولات الكبرى في القرن 7م ، وأثبتت الثقافة الفارسية قدرات بالتكيف وإعادة إنتاج حضورها داخل هذا الإطار الحضاري الجديد وفي نسيج الحضارة الإسلامية لتسهم عبر تراثها الفكري والأدبي وخصوصاً الشاعر الفردوسي مؤلف ملحمة الشاهنامة حاضنة التاريخ والأساطير الفارسية في إطار أدبي رفيع. استمرت وتستمرّ إيران في الحروب والتوازنات السياسية الإقليمية لتصبح جزءًا مقيماً وربّما مقلقاً في النظام الدولي المعاصر الذي تشكّل عبر صعود القوى الأوروبية. هكذا وجدت إيران نفسها في القرنين 19–20 في قلب التنافس الجيوسياسي بين روسيا والمملكة المتّحدة التي تضم إنكلترا واسكوتلندا وويلز وإيرلندا الشمالية الواقعة في جزيرة منفصلة، وهذا ما أثّر في تطورها السياسي الداخلي وعلاقاتها بالعالم الخارجي. أما التحول الأبرز في تاريخ إيران المعاصر فقد جاء مع الثورة الإيرانية التي أنهت حكم الشاه لتقيم نظام الجمهورية الإسلامية بقيادة الإمام الخميني. هكذا صارت إيران لاعبًا إقليميًا في الشرق الأوسط، وتداخلت سياساتها بالعديد من العقد مع قضايا بارزة تتعلق بالأمن الإقليمي والطاقة والتحالفات السياسية.

قد تتحول الحروب من مواجهات عسكرية وقتلى وجرحى وخرائب إلى صراع راسخ يقيم في الذاكرات والثقافات. هكذا تنطبع الشعوب التي تعيش تجارب الغزو أو حلبة التنافس الإمبراطوري لتصبح أكثر ميلاً ربّما بصياغة سرديات وثقافات شعبية تتناقلها الأجيال تعبيراً عن خوفها أو رفضها القوي للخصوم أو طموحها الإمبراطوري لألف سبب وسبب إذ نجد في تراث عدد من الأمم الأخرى أمثالًا شعبية باقية عن الفرس. يظهر الفارسي في بعض الأمثال الأوروبية الشرقية، رمزًا للقوة الغازية المدمرة. ويعبّر مثل بلغاري عن فكرة قوية تقول بأن «الأرض التي تدوسها قدم فارسي لا ينبت فيها عشب أخضر». ويظهر مثلٌ آخر في التراث الشعبي الأوكراني ليقارن بين الفرس وغيرهم بصور سلبية مغالية للغاية. وتُنسب إلى الكاتب الفرنسي فكتور هيجو عبارة شهيرة تتردّد في باريس تصف مرور الفارسي في مكان ما بأنه لا يترك خلفه سوى الخرائب. وتجد في التراث اليوناني تحذيرًا رمزيًا يقول «إن حديث الفارسي عن السلام غالباً ما يكون إشارة إلى حرب قادمة».

يبقى أنّ قراءة هذه الأمثال بوعي أكاديمي يكشف الأغطية باعتبار الأمثال الشعبية ليست ولم تكن وثائق تاريخية محايدة، بل هي انعكاس مباشر غالباً لتجارب الحروب والصراعات العسكرية الطويلة بين الشعوب إذ غالبًا ما تُولد الأمثال هذه في فترات الحروب القاسية التي تدفع باللغة الشعبية إلى جعلها وسائل تعبيراً عن الخوف أو المقاومة أو حتى تصفيات للدعاية السياسية.

4

أوردت أخيراً ولماماً هذه الأقوال مع الوعي الأكاديمي التاريخي والعلمي إلى أنّها تعبّر عن علاقات متوترة وقاسية وعامة ممّا لا يمكن وصفه حيال ما نعاينه في جنوبي لبنان ممّا جعلنا نلمس تمسّكاً قويا بالمقاومة ورفضاً للسلام حتى ولو كان واهيا لكأنّ الشمس باتت تشرق من الجنوب اللبناني تحت لحظ العرب ودول العالم. ■

كاتب لبناني وأستاذ مشرف في المعهد العالي للدكتوراه.
* عضو الهيئة العليا للإشراف على الإنتخابات في لبنان
drnassim@hotmail.com

عقبات وعراقيل عسكرية وسياسية امام تنفيذ «اتفاق الاطار»

إنهاء العداء بين لبنان والكيان الاسرائيلي له شروط

بيروت ـ غاصب المختار*

لا شك ان «اتفاق الاطار» الامني - السياسي الذي جرى توقيعه اواخر شهر حزيران الماضي بين لبنان وكيان الاحتلال الاسرائيلي برعاية اميركية مباشرة، سيواجه عقبات ومطبات كثيرة، تبدأ اولاً من رفض كيان الاحتلال الالتزام التام بمضامين الاتفاق، ورفض حزب الله وحركة «امل» والعديد من القوى والاحزاب الحليفة لهما للإتفاق، ولا تنتهي بغموض حول آلية وكيفية تنفيذ العديد من بنوده، سواء العسكرية المتعلقة بمدى التزام قوات الاحتلال بالانسحاب التدريجي، او السياسية اللاحقة المتعلقة بما تناولته بنود الاتفاق من إنهاء حالة العداء بين لبنان وكيان الاحتلال والسعي لإقامة سلام بينهما.

وقد عبّر الاعلام العبري (معاريف ويسرائيل هيوم وغيرهما) عن تقديرات بفشل تنفيذ الاتفاق لأسباب ردها الى الوضع اللبناني الداخلي نتيجة الانقسامات والخلافات حول اتفاق الاطار.. ومن العراقيل ايضا ما ذكره جيش الاحتلال الإسرائيلي إنه «لا قيود في استخدام القوة عند التهديدات الموجهه ضد بلدات الشمال أو قواتنا.. ولا يسمح بعودة السكان أو مسلحي حزب الله إلى المناطق التي باتت تحت سيطرته».

كما نقل إعلام عبري عن مسؤول إسرائيلي: «وتيرة الانسحاب من المناطق التي يسيطر عليها الجيش بجنوب لبنان ستعتمد على النتائج الميدانية وإذا لم ينجح لبنان بمنطقتي الاختبار فلن نواصل الانتقال إلى مناطق أخرى».

وبإنتظار تحقيق ما تم التوصل اليه في مفاوضات روما من اجراءات تنفيذية، ففي الشق العسكري بدا واضحاً من نصوص الاتفاق انه يفتقر الى تحديد آلية واضحة وجدول زمني والضوابط التي يفترض ان يلتزم بها جيش الاحتلال، والضمانات الفعلية لا الكلامية للبنان بعد اعلان قادة الاحتلال السياسيين والعسكريين ان لا انسحاب من المنطقة المسماة امنية ضمن ما يسمى «الخط الاصفر»، وجاء تسريب الاعلام الاسرائيلي بان المنطقتين التجريبيتين للإنسحاب تشملا بلدات زوطر الغربية وفرون والغندورية ليضفي تساؤلات حول طبيعة الانسحاب وكيفية اختيار القرى التي تلائم توجه الاحتلال العسكري والامني، ولا تلبي طلبات لبنان. بحيث ان زوطر الغربية تقع في قضاء النبطية ويسيطر عليها الاحتلال بالنار، وبلدة فرون تقع في قضاء بنت جبيل وهي محررة، والبلدتان متباعدتان عن بعضهما، ولم يُعرف سبب اختيار فرون بدلاً من كفر تبنيت او يحمر الشقيف او جوارهما كما طلب لبنان، علماً ان بلدية فرون اصدرت بياناً اعتبرت فيه انها غير معنية بالكلام عن منطقة تجريبية.

عدا ذلك، لم يقدّم الاحتلال الاسرائيلي اي ضمانة بالتنفيذ الحرفي للإتفاق وابقى الامور معلقة في اي بلدة ينسحب منها، ويتذرع جيش الاحتلال بالبند في الاتفاق الذي يعطيه حق مراقبة التنفيذ، والتدخل في حال لمس اي ثغرة أو تهديد حسب وصفه ووفق حساباته، وحق الاعتراض - «الفيتو» على حجم قوة الجيش وطريقة انتشاره والتدابير التي يمكن ان يتخذها في اي بلدة ينسحب منها الاحتلال. كما ان غياب الجدول الزمني للإنسحاب وعدم التحديد المسبق للمناطق التجريبية الاخرى، وتركه لهيئة الاشراف الثلاثية اللبنانية - الاميركي - الاسرائيلية، يعطي الاحتلال فرصة للمناورة والمماطلة والتأخير وفرض الشروط للتنفيذ، وهو امر اكدته مصادر رئاسة الجمهورية لـ «الحصاد» نتيجة مواقف قادة كيان الاحتلال وممارسته على الارض ومواصلة عدوانه على القرى وخرق الاتفاق. ولكن هذه الامور التقنية متروكة لهيئة التنسيق والمتابعة التي نص الاتفاق على تشكيلها لمتابعة ومراقبة التنفيذ. غير ان مماطلة الاحتلال يمكن ان تُصعّب عمل الهيئة وتُطيل امد الانسحاب النهائي، لأسباب وصفت بانها تقنية وعسكرية.

اما على الارض فلا احد يعرف العراقيل التي يمكن ان تبرز، ومنها وضع عراقيل اسرائيلية امام انتشار الجيش اللبناني بعد ما ذكر الاعلام العبري ان الاحتلال رفض مشاركة ضباط معينين في اي انتشار داخل المنطقة الحدودية. وموضوع عودة اهالي القرى اليها، ووجود عناصر المقاومة في قرى المواجهة ومحيطها، او اعتراض الاهالي في اي بلدة محررة يتم تحديدها ولم تحصل فيها مواجهات عسكرية. كل هذه الامور تطرح اسئلة على المفاوض اللبناني عليه الاجابة عليها او توضيح الملتبس منها خلال إجتماعات هيئة التنسيق.

يبقى انه في الموضوع السياسي برزت انقسامات متوقعة بين موافق على الاتفاق ومعارض له، لا سيما وإنه نصّ على توجهات حولها خلافات عميقة تتعلق بإنهاء حالة العداء لإسرائيل والاعتراف بشرعية الاحتلال وشرعية وجود كيان الاحتلال كدولة، واقامة سلام معه لاحقاً، من دون الاستناد الى عوامل مساعدة على تحقيق ذلك، وثمة اسباب دستورية وقانونية وسياسية كثيرة تمنع إنهاء حالة العداء مع الكيان الاسرائيلي في الوقت الحالي تحتاج الى معالجة سياسية داخلية، والى تنسيق مع الدول العربية التي تنقسم ايضاً بين ذاهب للسلام مع كيان الاحتلال وبين رافض له قبل حل القضية الفلسطينية وانهاء الاحتلالات في فلسطين ولبنان وسوريا، وهي اسباب استند اليها معارضو الاتفاق، بينما استند مؤيدوه الى نص اتفاق الطائف والدستور القاضي ببسط سلطة الدولة على كامل اراضيها بالقوى الشرعية فقط، برغم وجود بند حق الدفاع عن النفس وتحرير الارض سواء في الدستور او في اتفاق تشرين الثاني 2024 او اتفاق الاطار، لكن هل تمكن لبنان الرسمي من الدفاع عن ارضه وحدوده بقواه الذاتية؟.

ثمة مخاطر كثيرة في هذا الاتفاق، لكن الخطر الاكبر والسقطة الكبيرة للبنان الرسمي هي في البنود التي تضمنت اشارات واضحة «بإسقاط حالة العداء لاسرائيل والاعتراف بها كدولة في المنطقة، والتوجه نحو السلام معها لاحقاً، (البند 1 الذي يقول: تؤكد إسرائيل ولبنان حق كل دولة في الوجود بسلام، ورغبتهما المتبادلة في العيش بأمن كدولتين ذاتي سيادة ومتجاورتين. وتعلن إسرائيل ولبنان بموجب هذا الإطار نيتهما إنهاء النزاع بينهما بشكل نهائي، ومعالجة أسبابه الجذرية، وبالتالي إنهاء أي حالة حرب قائمة بينهما بصورة رسمية). وهذا التعهد اللبناني أمر يخالف الدستور اللبناني اولاً، ويخالف مقررات جامعة الدول العربيه ثانياً، ويخالف حق لبنان الطبيعي في مواجهة الاحتلال في حال استمراره على اي موقع في ارض الجنوب.

وثمة مخاطر كثيره تضمنها هذا الاتفاق منها ايضا تكليف الجيش اللبناني موضوع جمع السلاح جنوب نهر الليطاني، وهو امر يعلم الكل ان دونه عقبات وصعوبات، لا سيما انه يرتبط بمشروع فتنة وانقسام خطير حذر منه الرئيس نبيه بري وعدد آخر من السياسيين والاحزاب، واعترف به محلل القناة 13 الاسرائيلية للشؤون العسكرية" بقوله: «إن إسرائيل تدفع بلبنان إلى حرب أهلية، وأن مواجهة بين الحكومة اللبنانية و«حزب الله» قد لا تكون سيئة بالنسبة لإسرائيل، وأن ذلك كان الهدف منذ البداية لتتفرغ إسرائيل للمراقبة من وراء الحدود».

وثمّة خمسة بنود مترابطة (3 و4 و5 و8 و9) تنص على موضوع نزع السلاح واعتبار حزب الله ميليشا غير شرعية، وهو امر سبق ان وقعت به الدولة اللبنانية وتجاوزته المقاومة باستمرار عملياتها ضد قوات الاحتلال جنوبي الليطاني وفي جميع المناطق الاخرى المحتله.

هذا الاتفاق يتضمن ايضا بنوداً خطيرة جداً لعل اسوأها ايضاً، أن يتم لاحقاً إسقاط كل الشكاوى التي تقدم بها لبنان ضد الاعتداءات الاسرائيليه منذ سنوات طويلة وحتى هذه اللحظة. (البند 13 الذي يقول: :وقف جميع الأعمال العدائية أو السلبية في المحافل السياسية أو القانونية الدولية). اما التفاصيل التقنية الاخرى كتشكيل هيئة او لجنة ثلاثية لمراقبة ومتابعة التنفيذ او الاتفاق على مناطق الانسحاب التجريبية، فهي بنود لا تحمل مخاطر كبيرة بقدر ما تؤخر عملية إنهاء الاحتلال أشهراً طويلة، وهو امر يمكن تجاوزه او تسريعه اذا ما تدخل الوسيط الاميركي بقوة كافية لإجبار اسرائيل على تنفيذ المطلوب منها.

هذا في العلن عن بنود الاتفاق، اما في الملحق الامني السرّي، فقد تسربت امور خطيرة ايضاً كشفتها التسريبات الإسرائيلية وتتضمن أبرز بنود هذا الملحق:

- عدم وجود انسحابات تلقائية لقوات الجيش الإسرائيلي، رغم أن إسرائيل لا تزال تخشى من أن ضغوطاً إيرانية عبر المفاوضات مع الولايات المتحدة قد تعرقل تنفيذ الاتفاق.
- وتتضمن المادة الرابعة من الملحق بنداً يمنح الجيش الإسرائيلي حرية العمل ضد التهديدات الناشئة والفورية داخل المنطقة الأمنية، وهو بند تعتبره إسرائيل أولوية قصوى في ظل المخاوف من أن مفاوضات واشنطن وطهران قد تحد من قدرتها على الرد على التهديدات التي تواجه قواتها من حزب الله. كما تنص المادة نفسها على التزام واضح من الطرفين، بعدم تنفيذ أي انسحاب تلقائي أو وفق جداول زمنية محددة، بل أن أي عمليات إعادة انتشار ستتم بناءً على التطورات الميدانية.
- انسحاب مشروط وتدريجي: ربط عمليات انسحاب القوات الإسرائيلية بالتقييم الميداني ونجاح «المناطق التجريبية»، وليس بجدول زمني ثابت.
- تفكيك البنية العسكرية :يتضمن مسارات وآليات لتفكيك البنية التحتية العسكرية ونزع السلاح غير الرسمي.

ولعل عدم تجاوب كيان الاحتلال مع المطلب اللبناني المُحق بوضع الخطوات التنفيذية للإنسحاب المجدول زمنياً والمحدد مناطقياً، يحمل توجهاً بمزيد من المماطلة وكسب الوقت وتعطيل اي خطوة تنفيذية مطلوبة منه على الارض، لتوسيع مناطق الاحتلال في منطقة النبطية بشكل خاص اذا استطاع، لإبتزاز المفاوض اللبناني اكثرفي جلسات التفاوض اللاحقة، لا سيما ان بعض المعلومات افادت ان وفد الاحتلال رفض الكثير من الاقتراحات اللبنانية والاميركية ايضا حول مناطق الانسحاب، وهو الامر الذي ادركه الرئيس نبيه بري بطلب ان تشمل المناطق التجريبية للإنسحاب كل اقضية الجنوب دفعة واحدة، تفادياً للتأخير والمماطلة من قبل العدو، ولتسريع انتشار الجيش وعودة الاهالي الى قراهم.

وكشف مصدر دبلوماسي لبناني أن استهداف النبطية وتأخير الانسحاب من المناطق التجريبية يهدفان إلى استمرار تفريغ الجنوب، لافتاً إلى وجود محاولة إسرائيلية للتفلت من تطبيق هذه المناطق قبل الانتخابات الإسرائيلية. فيما قال مصدر عسكري لبناني مسؤول لـ «الحصاد» ان الكيان الاسرائيلي الذي وصل الى قلعة الشقيف ومحيطها لن ينفّذ اي خطوة قبل انهاء مهمته العسكرية بشكل تام في المنطقة التي يعتبرها خاصرة أمنية حساسة له. لذلك لا ينصاع للضغوط الاميركية، وربما يحظى بغض نظر اميركي عن القيام بعمليات عسكرية محدودة لكن نوعية ومؤثرة في هذه المنطقة للخلاص من مواقع المقاومة لأنه يرى فيها استمراراً للتهديد الامني. ■

* صحافي وكاتب سياسي

خيارات صعبة أمام الفلسطينيين في قطاع غزة

بعد حل حماس حكومتها... ما هو مستقبل القطاع؟

فلسطين: أكرم عطاالله

هل ستخرج غزة من دائرة النار التي دخلتها قبل ما يقارب من ثلاث سنوات؟ بعد أن أقدمت على فعل زلزالي طالت آثاره الإرتدادية كل عواصم الكون ؟ لا زالت تلك العواصم تتحرك في محاولة للخروج من مأزق يتبدى في ظل استعصاءات لا تقل ضراوة عن استعصاءات الحرب نفسها فاللاعبون الرئيسيون والثانويون فيها كثر وكلٌ له مصالحه وشروطه ومتطلباته ومشاريعه التكتيكية والإستراتيجية التي لا تتوقف فإسرائيل التي ترى فيما يحدث فرصة لإقتلاع الغزيين من غزة لم تتراجع عن المشروع برغم العقبات الكبرى التي واجهته فقد عقدت حكومة اسرائيل مطلع الشهر الماضي إجتماعاً خاصاً لتهجير غزة ودراسة ما يلزم لإنجاحه فقامت بتغيير اسم المشروع من «تهجير» ليصبح «مرور حر» في محاولة لتخفيف وطأة الإسم على سبيل كسر الحاجز النفسي للغزيين وتشجيعهم على الهجرة ظناً منها أن الأمر بالنسبة لسكان غزة مجرد حالة نفسية دون إدراك أن هؤلاء اللاجئين الذين تحتضنهم كأكبر كتلة لا مكان لهم سوى غزة وأن لا دول تطوعت لأخذهم كما كانت تريد بل وبذلت ما يكفي من الجهود والإتصالات بعد أن شكلت في مارس من العام الماضي دائرة للهجرة عندما استعر النقاش منذ مطلع الحرب مستغلين السابع من أكتوبر لإنهاء حلم قديم بتفريغ المكان كان جهاز الإستخبارات الإسرائيلي «الموساد» عنصراً فاعلاً حاول أن ينجح فيها.

حماس من ناحيتها باتت تشعر أن المطلوب من المرحلة الثانية من خطة الرئيس الأميركي التي طرحها في أكتوبر الماضي لوقف الحرب في غزة تعني القضاء عليها بتسليم كل ما تملكه من حكم وممكنات قوة سواء حكماً مدنياً كان يوفر لحماس شرعية فرض الضرائب لتأمين جزء من رواتب ومصالح العاملين في المؤسسات الخدماتية العامة وتلك واحدة من ممكنات النفوذ وكذلك وهو الاهم أن تسلم حماس السلاح وهي تدرك أن هذا البند يعني أن تكتب بنفسها شهادة وفاتها كحركة جاءت محمولة على البنادق التي تزين شعارها حين عبأت فراغ الصدام مع الإحتلال كمعادلة طبيعية بعد أن ذهبت الحركة الوطنية الفلسطينية بإتجاه الحل مع اسرائيل من خلال اتفاقية أوسلو التي تمت عام 1993 والتي تضمنت إقامة سلطة وطنية فلسطينية تقوم بالتنسيق مع اسرائيل كانت حركة فتح عمود تلك السلطة .

ولدت حماس عام 1987 في مناخات الصدام في الإنتفاضة الأولى التي اندلعت رداً على دهس شاحنة اسرائيلية لعدد من العمال الفلسطينيين شرق مخيم جباليا حين التقط قادة المجمع الإسلامي آنذاك تلك اللحظة ليعلنوا عن ولادة الحركة الجديدة برئاسة الشيخ أحمد ياسين وتعززت في الإنتفاضة الثانية والتي أظهرت قدراً كبيراً من العمليات العسكرية وتفجير الحافلات في المدن الإسرائيلية خصوصاً بعد أن تنكرت اسرائيل للتسوية وتعثر برنامج حركة فتح ثم خاضت الحركة حروباً مسلحة مع اسرائيل بعد طردها للسلطة اثر صدامات عام 2007 الداخلية بين حركتي فتح وحماس انتهت لصالح الحركة الإسلامية لتنفرد بحكم قطاع غزة وتقيم فيه بنية عسكرية أي أنها ابنة مناخات الصدام والحروب ورغم الخسائر واغتيال قادتها تباعاً كانت الحركة تتعزز أكثر وتصبح اكثر قوة وبات الآن وفقاً لخطة ترامب أن عليها أن تتخلى عن كلمة السر في نموها فالسلاح بالنسبة لحماس هو مسالة وجودية وليس وسيلة فقط حيث يحمل اسمها «حركة المقاومة» المقاومة المسلحة وهو ما أعطى حماس هذا الحضور في المجال العام والآن بات عليها أن تسلمه متنازلة طواعية عن هاذا التراث أو غير مرغمة كما تضغط الخطة التي وافقت عليها الحركة في ظروف معينة ووافق معها من الدول أصدقاء الحركة تركيا وقطر كنتيجة لنهاية حرب لم تكن في صالحها فالخلل في موازين القوى أكبر من أن يمكنها من إحداث ولو قدر من التوازن بحدوده الدنيا .

عندما وافقت حركة حماس على خطة الرئيس الأميركي في أكتوبر الماضي كانت توافق تحت ضغط اللحظة إذ كانت الإبادة مستمرة والطائرات تحرث غزة والجثث تملأ الشوارع والأخطر هو صدور انذار من جيش اسرائيل يطلب من مدينة غزة عاصمة القطاع التي تضم المؤسسات الحكومية والمجلس التشريعي ومقر إدارة غزة إخلاءها نحو الجنوب والمعابر التي تمد غزة بالغذاء مغلقة وحملة التجويع والترويع لا تتوقف، كانت حماس بحاجة لإلتقاط أنفاس على أمل أن تحدث المفاوضات اللاحقة بعض التغيير المهم حينها أن يتوقف الدم وبعد ذلك كما يقال يخلق الله ما لا تعلمون أو لأنها حركة دينية ربما كانت تثق بتدخل القدر في لحظة ما فيقلب معادلة موازين القوى التي لم تكن في صالح حركة استنزف سلاحها وجزء كبير من رجالها ومالها وتعرض مقاتلوها للمجاعة ولم يعد بالإمكان الإستمرار في الصدام أكثر كانت وقفة لم تريدها أو لم تتصورها الحركة أنها ستكون النهاية التي لم تحلم بها في أسوأ كوابيسها .

منذ لقاء شرم الشيخ للإعلان عن المبادرة لم تتوقف الحوارات بين حماس والوسطاء ولم يتم التوصل لنتيجة، أوراق تتقدم ويجري نقلها للطرف الإسرائيلي الآخر ثم تعود محملة بتعديلات وبين التعديلات والإستدراكات قتلت اسرائيل أكثر من ألف فلسطيني وتقدمت أكثر داخل الخط الأصفر الذي رسمته لتبتلع 70% من القطاع وربما ساعة نشر هذا المقال تكون قد تحركت تلك المكعبات الإسمنتية التي أصبحت تتحرك على عجلات لتسيطر على مزيد من المكان وتزيد من حشر السكان واستفحال الأزمة لأن في هذا ما يعود للتذكير بالإستراتيجية الإسرائيلية التي لم تتنازل عنها وعقدت اجتماعاً لها وهي استراتيجية اخلاء قطاع غزة من سكانه.

بدا أن المفاوضات بين الفصائل والوسطاء تتعثر وأن لا حل في الأفق ويزداد الأمر سوء كلما اقتربنا من الإنتخابات الإسرائيلية التي لا يمكن لحكومة يمينية متطرفة أن تقدم تنازلات ربما تطلبها الحركة فقد درجت العادة في اسرائيل على أن تكون الحملات الإنتخابية عبارة عن مزاد لكراهية الفلسطينيين أو بازار لدماء الفلسطينيين وعلى سبيل فتح ثغرة في جدار المفاوضات الصلب قامت حركة حماس بحل اللجنة الحكومية لإدارة غزة والتي تقوم بدور الوزارة التي تشرف على تسيير مؤسسات القطاع بهدف إظهار قدر من المرونة في ظل حديث كان يتصاعد بان نيكولاي ميلادينوف المندوب السامي المعين من قبل مجلس السلام الذي نصت عليه خطة ترامب كان على وشك أن يعلن بأن حماس تعيق المفاوضات والأمر الثاني أن تلقي الكرة في ملعب الأطراف الأخرى على اعتبار أنها حلت تلك اللجنة ولم تعد تدير القطاع وعلى لجنة التكنوقراط الوطنية أن تتسلم مهامها بشكل فوري دون أن تدرك أن الامر أكثر تعقيداً من ذلك فاللعبة هي لعبة موازين قوى ومقدرات وإمكانيات فالسلاح هو الطرف الأقوى الذي يقرر السياسات وشكل الحكم وهو من يدير الإدارة المدنية نفسها لذا بدا أن حل حماس للجنة عملية ليست رئيسية لن تؤدي إلى تحقيق تقدم اعتقدته الحركة .

تأخرت حماس في قرارها هذا وفي السياسة دوماً ما حين يكون القرار في توقيته يحقق النتائج المطلوبة ولكن حين يتأخر فإنه يكون قد أضاع فرصة توقرت فيها عناصر النجاح قبل أن تتلاشى شروط هذا النجاح كان يجب على الحركة أن تبدأ بتطبيق الخطة إذا كانت تسعى لإنجاحها في أكتوبر أو نوفمبر الماضي مستغلة الزخم الذي نشأ حينها وإندفاع الرئيس الأميركي الذي جاء للمنطقة ليحضر الإعلان عن خطته وقبل أن تبدأ حرب ايران والتي أزاحت كل الإهتمام الدولي وكل الإنشغال الأميركي حينها بإعتبارها أحدث ما أنتجته السياسة الأميركية التي كانت فخورة قبلها بنجاحها في وقف أصعب الحروب قبل أن تذهب لفتح حربٍ أخرى كانت أكثر تأثيراً في شرايين الإقتصاد والسياسة العالمية من حرب الإبادة في غزة حيث الضرر الإقتصادي للأولى وصل كل مكان في العالم فتراجع الإهتمام بالوضع الفلسطيني وكانت تلك واحدة من إخفاقات السياسة الفلسطينية. يبدو أن الحسابات التي أضحت ليست الحسابات التي كانت فإسرائيل تضع شروطاً مهينة بالنسبة لحركة دينية تعتبر الشهادة أقرب لها من تلقي الإهانة وكذلك الحركة نفسها ليست مستعدة للتخلي عن سلاحها فالأمر بالنسبة لها جزء من هوية الحركة فالفكرة تموت إذا ما تخلت الحركة عن سلاحها بمحض إرادتها كأنها تعلن فشل المسار الذي قررته ذات يوم عام 1987 حين تشكلت وصاغت هويتها العسكرية ورفعت شعاراتها بالجهاد والمقاومة فماذا سيتبقى من الحركة إذا ما سلمت سلاحها ؟ تلك معضلة كبرى.

بالنسبة لإسرائيل تبدو كل الخيارات مريحة وهي تذهب لإنتخابات مع حكومة متطرفة لكنها تذهب محملة بعار السابع من أكتوبر وتعتقد أن في إظهارها للعنف والكراهية والتطرف ما يمكن أن يتحول إلى أصول انتخابية فسواء وافقت حركة حماس على نزع السلاح أم لم توافق سيمتطي الإسرائيلي أي خيار ويسير به فإن سلمت السلاح هذا يعني انتصار اسرائيل على فكرة الكفاح المسلح ضدها الذي بدأه الفلسطينيون منذ حوالي قرن وتكرّس كبرنامج منتصف ستينات القرن الماضي مع ولادة منظمة التحرير الفلسطينية تحت رعاية الرئيس القومي جمال عبد الناصر أما إذا لم تسلم فتلك توفر لها الذريعة لشن حرب جديدة وخاصة أن الإعلام الإسرائيلي بات يتحدث بكثرة عن إعادة حماس لبناء قوتها المسلحة وهو مؤشر على استعداد اسرائيل للحرب وهنا يكمن مأزق المفارقة حيث تبدو كل الخيارات صعبة أمام الفلسطينيين في قطاع غزة تحاصرهم بجميعها اسرائيل وتحشرهم سياسياً كما تحشرهم جغرافياً في مناطق تضيق أكثر في المنطقة الغربية للقطاع .

تعثر البرنامج الإسرائيلي الذي تعد له منذ عقود والمتمثل بإسقاط النظام ويمكن القول أبعد بعد انكسار الحلم تصبح اسرائيل أكثر عدوانية ومع عدم قدرتها على الإستمرار في ضرب ايران سواء لردود الفعل الإيرانية في الداخل الإسرائيلي أو بسبب الصرامة الأميركية التي أدركت أن الحروب لا تؤخذ بهذه الخفة التي صورها نتنياهو لها محرضاً الرئيس والتي تسببت بإنكشاف ما لنتنياهو أمام جزء من الإدارة الأميركية أبرزهم نائب الرئيس جي دي فانس وأمام هذا الفشل المدوي تصبح اسرائيل اليمينية القومية أكثر شراسة.

وما بين مرونة غير كافية تبديها حركة حماس حيث القصة الأكبر هي قصة السلاح وبين تصلب اسرائيلي ليس مستعداً لإبداء أي قدر من المرونة حتى ولو شكلياً يبقى الوضع في قطاع غزة مفتوحاً على سيناريوهات ليست تفاؤلية فلا حماس مستعدة للذهاب حيث يراد لها ولا الإسرائيلي مستعد لتلقف إي تنازل ليعتبره انجازاً يقدمه للشارع وما بين هذا وذاك وتلك المناخات يخشى الغزيون الذين أصيبوا بالإحباط لأن ثمانية أشهر بعد اتفاق وقف إطلاق النار لم تغير في الواقع بل زاد قسوة ومع اقتراب الإنتخابات يرى الغزيون الذين خبروا حروب اسرائيل الإنتخابية على أجسادهم أن المستقبل القريب لا يحمل الكثير من الأمل .

على هامش المونديال وعروضه

طوفان المشاعر العربية الذي تدفق.. مغزاه وحدة الأمه

لندن: أمين الغفاري*

من كان يصدق انه في وسط طوفان الكوارث التي تحيط بالمنطقة العربيه، من كل جانب في فلسطين وما احدثته اسرائيل على الارض من تخريب وما اجرته من اغتيالات ،ثم مايجري في السودان وحرب اهليه تقوم ،تخرب فيها المدن والقري، ولا يبقى هناك مكان آمن للانسان، وفي لبنان ،وصراع يمتد الأن الى اكثر من خمسين عاما، ومان انتهي،حتى لاحت بذور خلافات جديده ،سرعان مانمت في ظل الصراع مع اسرائيل ثم ما قامت به اسرائيل ذاتها من اغتيالات لقيادات كان لها انجاز وتاريخ ،وتبدو في الافق الآن ملامح ازمات مستحدثه، ندعو الله ان تلتئم،فقد اثخنت الجراح لبنان الذي كان واحة العرب وشمسها الرؤوم .المشاكل تنتشر هنا وهناك ،وتلعب الولايات المتحده واسرائيل دورهما في محاوله لتخليق واقع مختلف في كل المنطقه لكي تلعب فيه اسرائيل دورالمهيمن تحت عناوين (الشرق الأوسط الجديد).

ثم تأتي مباريات كرة القدم في سباق المونديال لكي تصنع ذلك التغير ، ان لم يكن في الواقع السياسي، بشكله الدرامي الذي نتعايش معه منذ اكتوبر عام 2023 على الأقل، وانما في واقع آخرتنتقل فيه الوجوه المكفهره، الى وجوه فرحه، ترتسم على محياها الوان من الرضى.

فتنطق وجوهها بأحلى الخلجات ليس فقط على الوجوه العربيه عموما وإنما خصوصا على وجه الحبيبه العزيزة الغاليه صاحبة الرصيد الأعلى في التضحيات في السنوات القليله الماضيه وهي (غزة) فنراها ضاحكه وجزله ،يفيض نبلها فتشاركنا، رغم مأساتها، بأهازيج الفرحة والسعاده ،كذلك تتاجج المشاعر لدي الشعوب الصديقه وتلتهب في القلوب العطشى لفسحة من الامل،وبصيص من النور، هذه الفرحة العارمه، وهي يقينا لن تكون سرابا، فهذا الصدق في الانفعال يقف وراءه ويترجمه احساس دفين ،طالما راودنا في اوقات المحن.

انه ليس الأنتصار في لعبة الكره ،حتى وان كانت هي الشئ المادي الذي نراه امامنا ولكن ما يكمن وراء الكره هو الاعظم والأجل. انه الشعور بالانتماء للوطن الواحد، بالنسبة للعرب وليس المصريين فحسب انه وراء ذلك الطوفان من المشاعر التي اشتعلت حبا وحماسا وتشجيعا ومؤازرة، ان الشعور بالأنتماء يقف خلف المشاعر التي انهمرت كالطوفان ،تحيط بمصر ومنتخبها لنصر احرزوه في مباراة لكرة القدم مع استراليا ،قبل ان يتم التلاعب به في مباراة تاليه مع الارجنتين. ان تلك الكرة هي الواجهة التي فجرت ذلك الحب العارم لمصر ومنتخبها.

ومرة اخرى وثالثه ورابعه انه النصربانها (الأمة العربيه) التي تنتصر، وواجهتها مصر، ان مصر الصوره ولكن ماوراء الصوره هو الاعمق والاجل. انها وحدة المشاعر العربيه الكامنه داخل مسام الجلد. انها (العروبه) انها وحدة الالم ووحدة الأمل، ووحدة المصير. انه الاحساس العارم بالتوحد، انها التفاعلات المتراكمه عبر سنوات التاريخ .ان الفرحة ليست فرحة شعب ولكنها فرحة امه يشار اليها ب (الأمة العربيه)، وما طوفان المشاعر الا ترجمة بوحدة الانتصار، فمصر لم تنتصر وحدها ،وانما هو انتصار للأمة كلها .انتصار للغة الواحده وللتاريخ الواحد وللمصير الواحد. أقرأوا ماذادوّن الكاتب الفلسطيني (زياد خدّاش) ما يلى (هكذا نحن العرب نولد مصريين ثم نصبح جزائريين وفلسطينيين وسوريين وعراقيين.. نحبك مصر فيلمًا ولهجةً وصعيدًا وعشقًا وتاريخًا وكتابًا وثورةً) وربما يكون فى كلام (خدّاش) كثير من المبالغة، ولكنها مبالغة (حب) والانسان حين يحب باخلاص انما يجد نفسه فيما يحب. و (الحب نوع من التوحد) وهو يتواجد غالبا بين الشعوب،التي تلعب فيها عملية التواصل التاريخي بينها دورا جسدته وعززته وحدة اللغة واالأرض والمصير. وكانت كلمات الشيخ محمد بن راشد رئيس دولة الامارات «حاكم دبي تعبر بحميميه عن سعادة بالغه وهو يزجي التهنئة» ألف مبروك للشعب المصري وقيادته بمناسبة التأهل التاريخي للمنتخب الوطني المصري إلى دور الـ16 في بطولة كأس العالم 2026.ثم اضاف، في منشور على منصة (إكس) (فرحة العرب اليوم مصرية، أداء بطولي، وروح قتالية، ومباراة ممتعة للفراعنة. كل التوفيق لجميع العرب، وكل الفرحة لشعوبنا العربية).

وكتب المحلّل اللبنانى (زياد عيتانى) مقالًا بعنوان (الدنيا من دون مصر اكتئاب)، واستهلّه بالفقرة التالية (ليس فى الأمر مبالغة، فمنذ وعينا على هذه الدنيا ونحن نسمع أن مصر أمّ الدنيا، وأنها ليست دولة عربية كبيرة وحسب، بل حالة حضارية وثقافية وإنسانية لا تشبه سواها، فيها من التاريخ ما يكفى ليمنح الأمم ذاكرة،ومن الفن ما يكفى ليمنح الشعوب وجدانًا، ومن الناس ما يجعل الغريب يشعر أنه بين أهله قبل أن يسأله أحد من أين جاء، نعم الدنيا من دون مصر اكتئاب).

هذا الطوفان من المشاعر.. مامغزاه؟

المغزى واضح وجلي، وهو ان العروبه هويه كامنه، داخل الجسد، تتحصن بالعقل، وتسكن حنايا الوجدان وقد ظن البعض في فترات،اختلفت فيها المسارات، ان الهويه اصبحت في خبر كان،وانها اشبه بالموضه التي لفها النسيان. بل ان كلمة العربي قد رفعت من تعريف الصراع مع اسرائيل،وكان يعرف باسم (الصراع العربي - الاسرائيلي)، واصبحت الاشارة اليه بعد ذلك الصراع (الفلسطيني - الاسرائيلي) ولكن جاءت المطالب (الترامبيه) بعد ذلك لتطلب تهجير اهل (غزة) لتتصدي له الهوية العربيه، وان قضية فلسطين ،وحقوق شعب فلسطين لن تتم لها اي تصفية الا بحصول الفسطينيين على حقوقهم المشروعه، وقد تضمنتها الكثير من قرارات الامم المتحده والمواثيق الدوليه. عادت فلسطين لكي تصبح من جديد القضية العربيه الأم. وترتيبا على كل تلك الصور المتتابعه، ان الهوية العربيه راسخه رغم الشعارات والتصريحات بأن هذا الوطن أو ذاك (أولا). انها مراحل تمت فيها استقطابات سياسية وصعدت فيها نعرات وهويات وطنيه ،بل وحروب اهليه واقليميه، ولكنها كانت مع كل المرارة ازمات مضت وتم استيعاب دروسها. كانت مصر في فترة من الفترات دولة غردت خارج السرب، وتمت مقاطعتها ولكن الأخطاء يتم دائما احتواؤها رغم ما تخلفه بعض الاخطاء من مرارات، والحساب دائما عند الشعوب وليست المواقف الطارئه، نتيجة حسابات سياسية لبعض الحكومات ، بصرف النظر عن وهم من يحكمها. لكن يبقى بعد كل ذلك أن الحس الشعبي القومي هو الحاكم ،وهو المرجع، وقد ظهركل ذلك جليا في بانوراما كرويه رائعه استمتعنا بها جميعا ،لأنها مست جوارحنا والاحساس الاعمق بالعروبه.

المعيار الشعبي وحاكميته

ان المشاهد تتعدد منذ بداية هذه الدورة، من المباريات الرياضيه لكرة القدم المعروفه باسم المونديال والمونديال تعبير ينسب في حروفه تاره الى (الأسبانيه)، واخرى ينطق بالفرنسية وهجائها ويعني (العالميه)، وهو يشير الى مسابقه تقام كل اربع سنوات، وهي تجرى في العاده، بين افضل المنتخبات لهذا الفن من الالعاب (كرة القدم) ،وينظمها الاتحاد الدولي للكرة. ولكونها تعد اهم مسابقه رياضيه للحصول على (كأس العالم)، فقد نالت الكثير من الأهتمامات، وقد وضحت فيها بعض الظواهر من خلال المباريات الاخيره، من هذه الدورة. خصوصا فيما يتعلق بالجمهور العربى، وانفعالاته، وطرق التعبيرعنها. بالأضافة الى ان كرة القدم تعد من اكثر الألعاب شعبية وانتشارا، وبالتالي فهي متابعه، وتحظى بمراقبة دقيقه من الجماهير العاديه،فضلا عن النقاد والكتاب، ثم هي بالتأكيد جديرة بهذا الاهتمام، فهي رياضة لها جمهور عريض يتوزع على انحاء العالم

الشيخ محمد بن راشد
حاكم دولة الامارات

جياني إنفانتينو
رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم

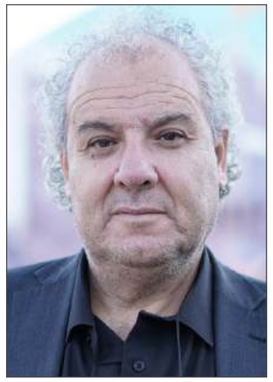

الكاتب الفلسطيني
زياد خداش

ويتخطى تعداده اكثر من خمسة مليارات مشاهد من ابناء الكرة الارضيه، بما فيهم من المهتمين بالقضايا الاجتماعيه والنفسية وبالعوائد الاقتصاديه فضلا عن المهتمين بالسياسه وهموم الشعوب، ولكل ذلك توضع هذه الدورات في بؤرة الاهتمام والمتابعه. وبهذا الكم من الاهتمام الطاغي، ولهذ الامتداد المتسع،ولذلك كانت هناك تلك الملاحظات التي تتعلق بهذه الدوره تحديدا، وقد طرحنا من خلالها ما يعنينا من الدلالات والمعاني،التي تستوقف النظر، وحق لكل متابع ان ينظر اليها بامعان، ويحدد موقفه منها كذلك كما تحكم به قناعاته ورؤاه.

حين يقف الانسان صادقا مع نفسه

نلاحظ على الدوام ،انه في الافراح كما في الاتراح، تتملك الانسان مشاعره الحقيقيه، وقناعاته الأساسيه التي تمسك بزمام عقله ورؤاه الذاتيه ،وتمنيات وهوى وجدانه ومشاعره ،ولا يملك معها سوى التسليم. ومع التعبير الداخلي والتلقائي الذي لا يملك ازاءه اعتراضا يرضخ ويذعن وتتعطل ارادته بالكامل، وتفسح المجال لكي تتعمق مشاعره وتخترق اعماقه الى صميم انفعالاته وتترجمها في الكثير من الأحيان الدموع أو الابتسامات. تطرح الحسابات جانبا، وعلى الأخص الصغيرة منها،وتصعد الى السطح القناعات الحقيقيه، بلا لبس او حسبان، و نقول بالفم المليان ان مشاعرنا بالعروبة ظهرت وتوهجت حيه،نراها بالعين تصرفا وتعبيرا، وان قناعاتنا بالقومية التي تجمعنا قناعة راسخة تملأ جوانحنا وتنصهر داخل مسامنا، ولا ننتبه الى كونها فكره ،او عقيده الا حين تضرب في عنف مخزونها المتراكم من المفاهيم في كل ارهاصات اجسادنا،في ساعات الفرح أو الترح. لقد بدأت المباريات الكرويه في سباق المونديال، وتوالت مشاهدها انسانيه بالمعنى المطلق، فالبشر في سباق متواصل سواء مع الطموح وتطلعاته، ومع الزمن وتقلباته ولكن يبقى الانسان على الدوام مشغولاً بالغد واشكاله وفي عالم الكره تكمن الكثير من الاحتمالات كما تقع العديد من المفاجآت.

وقد كانت المفاجأه ماتحدث عنها اللاعبون، ثم مجموعة الفيديوهات التي اصبحت تملأ وسائل التواصل العربيه والأجتماعيه ويبدون الملاحظات والأنتقادات، وفي الخاتمه يشيدون بالأداء المشرف للمنتخب المصري،بل ان رئيس الفيفا (جياني انفانتينو) ذاته وجه رسالة الى المنتخب المصري كتبها على منصة انستجرام عبر حسابه الشخصى قال فيها (ستظل نسخة كأس العالم هذه تحظى بمكانة خاصة في تاريخ كرة القدم المصرية دائماً! أول ظهور في الأدوار الإقصائية، وأول فوز في كأس العالم بعد مرحلة المجموعات). وأضاف: (لقد كانت رحلة ألهمت المشجعين في الوطن وحول العالم). وتابع: (الذكريات التي صُنعت هذا الصيف ستبقى مع جماهير كرة القدم المصرية لفترة طويلة قادمة).

واخيراً

تمر الشعوب في بعض مراحل التاريخ بالكثير من الوان المحن، وخصوصا مع تقدم انواع السلاح واتساع ادوات الهيمنه والرغبة المتوحشه في الاستيلاء على المواقع الجغرافيه، بالنظر الى محوريتها في اندلاع الحروب وأهميتها كذلك في مدى الاستحواذ والابتلاع للثروات المتنوعه والمتعددة وتحديدا تلك التي تتعلق بمصادر الطاقة مما يجعل الكثير من الدول في مواقع الخطر ان لم تنتبه الى مصادر القوة لديها ايضا لكي تحافظ على ثرواتها، التي تتحصن (بالتأكيد) بمدى قدراتها بالدفاع عن اراضيها وبالتالي عن ثرواتها. وعنوان ذلك كله الاستقلال الحقيقى، وحرية اتخاذ قراراتها وقدراتها التي ترتكن اليها في الحفاظ على استقلالها وحرية قرارها فليس الاستقلال علما ونشيدا ومقعدا في الامم المتحده، وقد كانت مصر حره في تأميم قناة السويس، وحره في رفض الانذار البريطاني والفرنسي ،والتصدى ابان العدوان الثلاثي على مصر ضد الهيمنه الزاحفه ،ووقفت الأمة العربيه بجوار مصر،حتى تم رد العدوان وتأكيد تملك مصر لقناة السويس، ثم كان العدوان عام 67 الاسرائيلي على مصر والاردن وسوريا ووقفت الأمة العربيه بكاملها من جديد متكاتفة في التجهيز للمعركة القادمة لأسترداد الأرض، حتى جاءت معركة العبور العظيم في حرب ازالة اثار العدوان عام 1973 وعادت الأمة ووقفت وقفة رجل واحد ،واستخدم سلاح البترول في عرض عام لحجم المساندة والتأييد.

كانت (الهوية العربيه) بذلك حاضره وفي السراء والضراء. كان الموقف بين الأشقاء تمليه بصدق (الهوية) التي تجمعهم وحدة اللغة و التاريخ والمصير. ثم جاءت فترة اخرى،تصور البعض ان الهويه قد اندثرت، تحت مطرقة المصالح الخاصة (هذا القطر او ذاك أولا) . لكن (الهوية لا تموت) لأن الجغرافيا لا تعرف التنقل فهي ثابته،والتاريخ لا يندثر فهو محفور في ذاكرة المؤرخين واللغة كذلك لا تتهاوى، فالله حافظ لقرأنه،وتأتي مناسبة عابره لكي تتكشف فيها من جديد وبوضوح يشع وهجه تحت لهيب الشمس وهي تتوسط كبد السماء. تأتي المناسبه في مجرد مباراة لها يميزها الثقل الدولي ، لكي تنتفض (الهويه) تحت ضغط المشاعر الفواره وتعلن (انها لم تكن في حالة افول، ولكنها كانت في مرحلة كمون) ثم بعد ذلك وقبله تظل الحبيبه الغالية رمز الأنفه والكبرياء والاعتداد بالنفس (غزة) مضربا لكل الأمثال وعنوانا للحقيقة المؤكده ،انه رغم آلامها التي لا يمكننا ان نصفها، من فرط قسوتها.

تقف (غزة) تزين وجهها الذي يفيض جمالا وروعه، لكي تبتسم وتفرح في فيديوهات مصورة ،تدمع فيها عيوننا من فرط جمال الموقف وروعة الاحساس، وانكار الذات لتشاركنا البهجة. انها الهوية الجامعه العروبه) انها حصن الامان في السلام، وهي درع ورمح الدفاع ان لزم الأمر وفرض القتال. ■

*كاتب وصحافي مصري

تشير تقديرات إلى أن إجمالي الإنفاق على بناء مراكز البيانات حتى عام 2032 سيتجاوز 8 تريليونات دولار

الإنفاق التريليوني على البنية التحتية الرقمية يرفع تكلفة الطاقة

مراكز بيانات الذكاء الاصطناعي...الوقود الجديد للتضخم العالمي

كتب المحرر الإقتصادي

لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد تطبيق ذكي على شاشات هواتفنا أو خوارزمية غير مرئية تُسهل أعمالنا اليومية؛ بل تحوّل في عام 2026 إلى كائن مادي عملاق وهائل، يمتلك شهية لا تشبع لالتهام الأراضي، وخطوط الطاقة، والمعادن الحيوية، ورقاقات الذاكرة. وبينما كان العالم يحتفل بوعود هذه التكنولوجيا الثورية في رفع الإنتاجية وخفض التكاليف، بدأت البنية التحتية الصلبة لهذا "الوحش الرقمي" والمتمثلة في مراكز البيانات الضخمة، تتحول إلى محرك رئيسي ومفاجئ لارتفاع الأسعار، ومحفز لـ«موجة تضخمية ثالثة» تضرب الاقتصاد العالمي من زاوية غير متوقعة.

ولخطورة هذا الأمر على مستقبل الاقتصاد العالمي، لا بد من رصد الصراع الدستوري والنقدي في كواليس المصارف المركزية، وكشف ملامح الجدار الشعبي والبيئي الذي بدأت تصطدم به طموحات وادي السيليكون.

وفي التفاصيل، تخوض شركات التقنية الكبرى عالمياً، أو من يُطلق عليهم «العمالقة الخمسة المستضيفون للبنية التحتية السحابية» Hyperscalers وهم: ألفابت (غوغل)، وأمازون، وميتا، ومايكروسوفت، وأوراكل، سباق تسلح مالي غير مسبوق في التاريخ التكنولوجي.

وتشير التقديرات المالية الصادرة عن مؤسسات رصد الأسواق مثل "فاكت ست" إلى أن الإنفاق الرأسمالي لهذه الشركات الخمس سيصل بحلول نهاية العام الجاري إلى رقم فلكي يُقدر بنحو 741 مليار دولار، مسجلاً قفزة هائلة بنسبة تصل إلى 75 في المائة مقارنة بالعام الماضي. ولا يتوقف الطموح عند هذا الحد؛ إذ تشير تقديرات وضعها خبير اقتصادي بجامعة كولومبيا، وهو البروفسور ستين فان نيوبيرغ، إلى أن إجمالي الإنفاق على بناء مراكز بيانات الذكاء الاصطناعي والبنية التحتية المصاحبة لها الممتدة حتى عام 2032 سيتجاوز حاجز 8 تريليونات دولار. ولتقريب الصورة إلى أذهان من يقرأ هذه السطور، فإن هذا المبلغ الضخم يعادل تقريباً خمسة أضعاف القيمة السوقية الإجمالية لكافة العقارات في مدينة نيويورك بأكملها.

هذا التدفق النقدي المرعب لا يذهب إلى فضاء افتراضي، بل يُترجم على أرض الواقع إلى مبانٍ خرسانية عملاقة، ومعدات حوسبة فائقة التعقيد، وأنظمة تبريد عملاقة لمنع الأجهزة من الاحتراق، وشبكات ألياف ضوئية معقدة، ومولدات طاقة احتياطية ضخمة لضمان استمرار الخدمة دون انقطاع لثانية واحدة. وقد بدأ هذا الضغط الهائل على الموارد المحدودة يتسلل مباشرة إلى جيوب المستهلكين في شتى أنحاء العالم.

«العدوى السعرية» تنتقل إلى الأسواق

بعد أن نجحت البنوك المركزية جزئياً في كبح الموجة التضخمية الأولى الناجمة عن جائحة كورونا وسلاسل الإمداد، والموجة الثانية التي أحدثتها صدمات الطاقة والحروب التجارية، يواجه العالم اليوم التضخم المدفوع بالطلب التقني.

ويتجلى هذا الأثر بوضوح في سوق رقاقات الذاكرة والتخزين؛ فمراكز البيانات تحتاج إلى كميات هائلة من هذه المكونات، ونظراً لأن المصانع العالمية تمتلك طاقة إنتاجية محددة، فقد أدى هذا الطلب المستجد إلى رفع أسعار الرقاقات الموجهة لكافة الصناعات الأخرى. ونتيجة لذلك، اضطرت شركات عملاقة مثل «نينتندو»، و«سوني»، و«مايكروسوفت» إلى رفع أسعار أجهزة ألعاب الفيديو والترفيه.

وامتدت الضغوط السعرية لتطال الهواتف الذكية؛ حيث صرح الرئيس التنفيذي لشركة «أبل»، تيم كوك، بأن الارتفاع الحالي في تكاليف المكونات والإنتاج يمثل صدمة لم يشهد لها مثيل في أي قطاع على مدار الأربعين عاماً الماضية.

وتؤكد البيانات الرسمية الصادرة عن وزارة العمل الأميركية هذا المنحى، حيث قفزت أسعار المستهلكين لبرمجيات وملحقات الكمبيوتر بنسبة 15 في المائة على أساس سنوي، في حين سجلت أسعار الجملة للمكونات الإلكترونية واكسسواراتها قفزة قياسية بلغت 27 نسبة تبتعد بأكثر من الضعف عن المستهدف الرسمي البالغ 2 في المائة.

معركة الشوارع ضد المباني الصامتة

لم تعد معركة الذكاء الاصطناعي محصورة في أروقة البورصات ومختبرات البرمجة؛ بل انتقلت حرفياً إلى أحياء المواطنين، والمجالس البلدية، وجلسات موافقات شركات المرافق الخدمية. وباتت مراكز البيانات المتمددة في الضواحي الرمز المادي الأكثر وضوحاً لتكلفة هذه الطفرة التقنية.

وأظهر تقرير حديث تحت عنوان «خلف الكواليس» صادر عن مؤسسة «ميلتاون بارتنرز» وشمل استطلاع آراء 7000 ناخب مسجل، تحولاً سلبياً في المزاج العام؛ حيث تبين أن 49 في المائة من المواطنين الأميركيين يؤيدون فرض «وقف مؤقت» لعمليات بناء مراكز البيانات الجديدة، في حين لم يعارض هذا التجميد سوى 16 في المائة فقط. ولعلّ المفارقة الصادمة في التقرير هي أن 8 في المائة فقط من المعارضين يعيشون بالفعل بالقرب من مركز بيانات قائم، مما يعني أن الرفض ليس نابعاً من مضايقات الجوار المباشر كالأصوات والازدحام، بل هو رفض ناتج عن وعي مجتمعي عام بالآثار الجانبية للأمر.

ثلاثية الأزمة الحضرية

وتبلورت مظاهر هذا الغضب المجتمعي الموثق عبر منصات التواصل الاجتماعي والشهادات المحلية في ثلاث ملفات حرجة:

1. أزمة فواتير الكهرباء: تستهلك هذه المراكز طاقات كهربائية مرعبة، ووفقاً لتقرير اقتصادي من «غولدمان ساكس»، ستستحوذ مراكز البيانات على نحو نصف نمو الطلب على الطاقة في الولايات المتحدة حتى عام 2030، مما سيتسبب في رفع أسعار الكهرباء للمستهلكين العاديين بمعدل 6 في المائة سنوياً.

2. استنزاف المياه: تحتاج أنظمة التبريد في هذه المراكز لملايين الغالونات من المياه العذبة، وهو ما يثير رعب المجتمعات المحلية التي تعاني أصلاً من الجفاف وشح الإمدادات.

3. غياب المردود المحلي: يرى السكان أن بلدياتهم تتحمل ضوضاء الإنشاءات وضغط الشبكات، بينما تذهب الأرباح الضخمة وخلق الوظائف عالية الأجر إلى مقار الشركات التقنية في سان فرانسيسكو وسياتل، دون أن تستفيد ميزانيات المدن الصغيرة المستضيفة للمباني الصامتة.

هل الأرقام حقيقية أم فقاعة؟

وسط مخاوف من تكرار فقاعة "دوت كوم"، كشف تقرير حديث لشركة الأبحاث "إكسبونشال فيو" أن مبيعات الذكاء الاصطناعي التوليدي العالمية (باستثناء الصين) بلغت 25 مليار دولار في الربع الأول من عام 2026، متجاوزةً التكلفة التقديرية لإهلاك الأصول البالغة 21 مليار دولار للمرة الثانية توالياً. ورغم أن الإيرادات تتوسع بمعدل أسرع بثلاث مرات من أي موجة تكنولوجية سابقة، فإن هامش الخطأ يظل ضيقاً؛ إذ يلتهم الإهلاك وحده ثلثي العوائد، مما يترك مساحة ضئيلة لتغطية الفواتير التشغيلية الباهظة كطاقة الأبحاث وأجور الكفاءات وخدمة الديون.

وفي حين يحذر مستثمرون بارزون من أن التطور السريع قد يجعل الرقاقات بالية خلال عامين أو ثلاثة بدلاً من عمرها الافتراضي المحدد بست سنوات، تُظهر حركة الأسواق صموداً لافتاً؛ إذ لا يزال سعر تأجير ساعة الحوسبة لرقاقات مثل «إنفيديا أتش 100» يحتفظ بنحو 80 في المائة من قيمته الأصلية، مدفوعاً بالعجز المستمر في إمدادات رقاقات «بلاكويل» الجديدة.

تقف الثورة الصناعية الرابعة اليوم أمام معركة حسم حقيقية؛ فالقضية لم تعد كفاءة الخوارزميات، بل قدرة البنية التحتية الأرضية على تحمل التمدد الحوسبي، ومدى تقبل المجتمعات لكلفته التضخمية والبيئية. إن نجاح المصارف المركزية (بقيادة الفيدرالي الأمريكي بنهجه الجديد) في إدارة هذه المرحلة الانتقالية سيقود العالم لجني ثمار أكبر تحول تكنولوجي؛ أما إذا تعطلت شبكات الطاقة والمنظومات البلدية، فإن «الوحش الرقمي» سيجد نفسه محاصراً بجمود تضخمي يثبت أن العالم الافتراضي يظل محكوماً دائماً بموارد الأرض المحدودة.

مقارنة بالعام الماضي، مما يعني أن هناك مزيداً من الارتفاعات السعرية القادمة في خطوط الإنتاج والتي ستنعكس حتماً على أسعار السلع النهائية قريباً.

اختبار وارش

أعاد الظهور الدولي الأول لرئيس مجلس الاحتياطي الفيدرالي الجديد، كيفين وارش، في منتدى البنك المركزي الأوروبي بمدينة سنترا البرتغالية، إشعال الجدل النقدي حول كيفية إدارة المصارف المركزية لملف التضخم المستجد. فرغم انقضاء أعمال المنتدى، لا يزال الانقسام الحاد يسيطر على الأوساط الاقتصادية حول طبيعة التضخم المدفوع بطفرة الذكاء الاصطناعي، ومدى قدرة القيادة الجديدة للفيدرالي على مواجهته.

وينقسم خبراء الاقتصاد حول هذه المعضلة إلى معسكرين رئيسيين:

● المتفائلون (وعلى رأسهم وارش): يتبنون رؤية تاريخية ترى أن الذكاء الاصطناعي سيتحول في نهاية المطاف إلى قوة كبح تضخمية ضخمة. وتستند هذه النظرية إلى أن القفزة النوعية في الإنتاجية التي تمنحها التكنولوجيا للمصانع والشركات ستتيح لها تلبية الطلب المتزايد دون الحاجة لرفع الأسعار، وهو النهج الذي يدافع عنه وارش لتعزيز التنافسية الأمريكية وتبرير الإبقاء على مرونة السياسة النقدية.

● المتشائمون (ويمثلون الأغلبية الهندسية للأسواق): يستندون إلى البيانات التي رصدتها «الجمعية الوطنية لاقتصاديات الأعمال»، حيث يؤكد 81 في المائة من خبراء الاقتصاد أن طفرة بناء البنية التحتية للذكاء الاصطناعي ستقود الضغوط التضخمية نحو الارتفاع وتُبقيها قوية طوال النصف الثاني من العام الحالي على أقل تقدير. ويفسر كبير الاقتصاديين في «إي واي - بارثينون» ورئيس الجمعية، غريغوري داكو، هذا المشهد بقانون تاريخي ثابت، قائلاً: «في المرحلة الأولى من أي ثورة تكنولوجية كبرى، يحدث دائماً ضغط شديد على الموارد المحدودة، مما يولد بالضرورة قوة دافعة للأسعار نحو الأعلى».

وتتقاطع هذه الرؤية مع تقديرات خبراء بنك «يو بي إس» والتي تشير إلى أن الأسواق بحاجة إلى عامين على الأقل قبل أن تبدأ ثمار إنتاجية الذكاء الاصطناعي في الظهور والمساعدة على خفض الأسعار، مما يعني أن فترات الصيف والخريف الحالية ستظل مثقلة بقرارات نقدية صعبة، لا سيما مع استقرار مؤشر التضخم المفضل لدى الفيدرالي عند مستويات 4.1 في المائة، وهي

مستقبلات

البروفسور مازن الرمضاني*

كوابح الثقافة العربية والانحياز للمستقبل

غني عن القول إن المجتمعات المعاصرة لا تتماثل في نوعية انحيازها إلى المستقبل. ويعد عدم التماثل هذا حصيلة لمدخلات عدة ذات تأثير مهم في تحديد أنماط سلوك افراد هذه المجتمعات. ولعل من بين أبرزها المدخل الثقافي، هذا لخصوصية تأثيره. جراء ذلك، تتوزع هذه المجتمعات على اتجاهين متناقضين: اتجاه يجعل المستقبل امتدادا للماضي، واتجاه يجعل الحاضر منطلقا لصناعة المستقبل.

وقبل البحث في العلاقة بين الثقافة والانحياز العربي إلى المستقبل يعد ضروريا توضيح مفهوم الثقافة ووظيفتها أولا.

في مفهوم الثقافة ووظيفتها

تُعبر الثقافة عن كلمة تُعد من أكثر الكلمات استخداما، بل وربما غموضا، هذا لتداخلها مثلا مع مفهوم الحضارة، فضلا عن تعدد الآراء التي تناولت معناها. ويقول الأكاديمي العربي د. سلطان الشاوي في بحثه عن الثقافة السياسية «أن لهذا المفهوم أكثر من مئة تعريف». وسواء تم إدراك الثقافة بهذه الدالة أو تلك، فغني عن البيان إنها تقوم على مكونات متعددة ومتشابكة ومعقدة تشمل كافة شؤون الحياة. وقد عمد المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية، الذي أنعقد في مدينة نيومكسيكو عام 1982, إلى تعريف الثقافة بمثابة: " التعبير عن السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية، التي يتميز بها مجتمع بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات".

وبهذا المعنى الواضح، للثقافة وظيفة محددة قوامها إعانة المجتمع على التفاعل مع المعطيات المتجددة للحياة وعلى وفق رؤية شاملة وانماط سلوكية محددة. ولهذه الوظيفة تصبح الثقافة، من المنظور الاجتماعي، بمثابة اسلوب للحياة، الذي يُعبر عن الخصوصية النفسية والوجدانية والفكرية لاحد المجتمعات، فضلا عن تحيزاته القيمية وعلاقاته الاجتماعية.

وفي ضوء ما تقدم، ترتبط الثقافة والإبداع بعلاقة وطيدة، سيما وأن الإبداع هو الذي يحول دون أن تكون الثقافة ثقافة نصوص أو تأويل وإعادة إنتاج في عالم يتغير ويتجدد وينتشر فيه الإبداع على نحوٍ غير مسبوق. بيد أن الثقافة تصبح كابحا جادا للإبداع عندما يصار إلى توظيفها سياسيا خصوصا لتقنين حرية الفكر وإعاقة التواصل الثقافي مع معطيات عالم اليوم وآفاقه الواسعة من ثم تضحى سبيلا لتعطيل الآخذ بالمعاصرة.

وبالقدر الذي يتعلق بنا نحن العرب، ، لا مغالاة في القول: إن الثقافة والهوية العربية استمرتا تشكلان إحدى الحقائق التي ظلت ممتدة التأثير في حياتنا العربية.

ومع ذلك، ينطوي الواقع الثقافي العربي موضوعيا على إشكاليات لم تؤد مخرجاتها إلى دخول العرب، في نفق التراجع الحضاري منذ احتلال المغول لبغداد عام 1258 صعودا فحسب، وإنما أيضا إلى دفع مجتمعاتنا إلى الآخذ بأنماط من التفكير والسلوك حدت مخرجاتها من انحيازنا الى المستقبل. فرؤيتنا الثقافية لأبعاد الزمان وكيفية التعامل معها هي التي أفضت، في العموم، إلى أن ينأى الإنسان العربي عن فكرة صناعة المستقبل ابتداء من الحاضر على وفق رؤية علمية واعية وإرادة حرة.

وبشأن المتغيرات التي افضت إلى محدودية الاستعداد العربي للمستقبل، تتعدد اجتهادات المستقبليين العرب . وتكفي الإشارة مثلا إلى المستقبلي العربي ، سعد الدين إبراهيم، الذي أكد أن الحديث عن المستقبل، على صعيد الإنسان العربي، يستوي: «والحديث الذي يتعلق بأمور لا طاقة له بها، ولا قدرة له عليها . فلا شيء يربط في ذهنه بين الماضي والحاضر والمستقبل... لذلك يبدو المستقبل (له) وكأنه عالم أخر». وعندنا تتعدد الإشكاليات التي أدت إلى عدم انحياز شرائح عربية واسعة إلى المستقبل. ومع هذه التعددية، سنكتفي ادناه بتناول تأثير ثلاث منها وباختصار، هي: غلبة العقلية الشاعرية العربية على العقلية الواقعية، فضلا عن عموم الموقف العربي، كتفكير وسلوك، من تراث الماضي، أي الماضوية، ناهيك عن الرؤية السلبية لبعض رجال الدين من استشراف المستقبلات.

العقلية الشاعرية العربية

تُفيد الخبرة التأريخية، إن الشعر، كأحد الفنون العربية الأصلية، يحظى عند أغلب العرب بقيمة تكاد تكون خاصة وممتدة عبر الزمان. وعلى الأكثر، تعود جذور هذه القيمة الخاصة إلى عصر الجاهلية الثانية قبل الإسلام. ففي وقته كان للشعر وظيفة مهمة. فالشاعر الجاهلي كان بمثابة الناطق بلسان قبيلته. ولنتذكر هنا شعراء المعلقات السبع على سبيل المثال

ولم تتغير قيمة الشعر بعد حلول الإسلام. فماعدا عصر الخلفاء الراشدين، استخدم الشعر في العصور اللاحقة لأغراض متعددة تراوحت بين السياسة والحب وما بينهما. وقد برز خلال هذه العهود شعراء استمرت الذاكرة العربية تحتفظ بأسمائهم واشعارهم. وتكفي الإشارة، مثلا، إلى الاخطل، والفرزدق، وبشار بن برد، وأبو نوّاس، وأبو العتاهية، والمتنبي وغيرهم.

ولتأثير الشعر في الوجدان العربي تكونت تدريجيا، عقلية شاعرية عربية لم تتأسس على مجرد الحنين إلى الماضي فحسب، وإنما ايضا على التطلع إلى المستقبل على وفق رؤية خيالية غير علمية. وغني عن القول إن الحنين إلى الماضي عندما يكون طاغيا، والمستقبل عندما يكون خيالا لا يدعمه العلم، فإنه يفضي، وبالضرورة، إلى دفع الإنسان إلى الانطلاق من ذهنية معادية للتخطيط الاستراتيجي، هي الذهنية الارتجالية، التي تعطل من قدرة الإنسان على التكيف الكفوء مع استحقاقات حاضر متغير ومستقبل مفتوح ومتعدد الاحتمالات.

ومن هنا تتناقض العقلية الشاعرية، في معظم ابعادها، مع العقلية الواقعية التي تعد مدخلا أساسيا للعقلية المستقبلية. وعندنا يكمن هذا التناقض في أن العقلية الواقعية، وعلى خلاف العقلية الشاعرية، تتأسس أصلا على القناعة بقدرة العقل اليقظ المتطور والفاعل على الابتكار والإبداع، وبضمن ذلك تجنب الإضرار الناجمة عن التعامل مع الواقع وتحدياته تعاملا يتغافل عن حقائقه الموضوعية. فالعقلية الواقعية تدعو إلى ضرورة رؤية ما كان، وما هو كائن، وما يمكن أوما يحتمل أن يكون، على نحوٍ موضوعي وليس على وفق ما يتخيله المرء أو يتمناه. ومما يدعم هذه العقلية الواقعية هو اتجاهها إلى جعل المنهج العلمي أساسا لها في إدراكها للواقع واستشراف مستقبلاته.

الموقف العربي من تراث الماضي: الماضوية

تؤكد تجربة التاريخ أن الإنسان، ومن ثم المجتمع، لا يستطيع الهروب من تراث الماضي، سواء كان هذا خاصا يتعلق به، أو عاما يتعلق بمجتمعه أو أمته. وبالقدر الذي يتعلق بنا، نحن العرب، فغني عن القول إننا أمة كانت، في زمان مضى، تصنع التاريخ والحضارة. وهذه حقيقة تاريخية لا يستطيع الانسان العربي إلا الاعتراف بها. لذا لا نستطيع نحن العرب، مثل سوانا، الهروب من ماضينا. فالماضي، بكل ما فيه من إيجابيات وسلبيات، يستوي وذلك السجل المحفوظ، الذي يُذكر الإنسان أو المجتمع بإنجازات ماضي الزمان وكذلك بإخفاقاته .

لذا لا يستطيع الانسان مثلا مناهضة سياسة توظيف الماضي سبيلا لدعم ثمة أفعال يُراد تبنيها في الحاضر للارتقاء به، بيد إن الاسراف في الآخذ بهذه السياسة يفضي إلى مخرجات سلبية عديدة. ولعل أبرزها:

-أدراك الزمان وكأنه زمان راكد وبمخرجات لا تساعد على الارتقاء بالاستجابة الإنسانية إلى مستوى تحديات عملية تغيير العالم، ومن ثم إدامة واقع تراجع المجتمع وتخلفه الحضاري.

بدوره يشخص المفكر العربي، أحمد أبو زيد، سلبيات سياسة الاسراف هذه، بقوله : «ليس من شك في أن التفكير الماضوي القانع بما هو قائم ومتوارث...هو بالضرورة تفكير سلبي وانعزالي يخشى الانفتاح على العالم حتى لا يتعرض لرياح التغيير التي تحمل التقدم الذي يهدد بالاندثار لكثير من ثوابت الماضي التي خبرتها مجتمعاتنا وارتاحت اليها رغم تعارضها مع حقائق الحياة الراهنة».

ويؤكد الواقع العربي أن شرائح عربية واسعة لازالت تنحاز ثقافيا إلى الماضي. وقد افضى هذا الانحياز الممتد زمانا إلى تأثير ثمة مدخلات ثقافية، واقتصادية، واجتماعية، وغيرها. ويكفي هنا أن نتذكر عموما أن الحنين غير الواعي للماضي من قبل تلك الامم، التي كانت تصنع الحضارة، أو التي شاركت في صناعتها، وثم تراجعت حضاريا، كما هو الحال معنا نحن العرب، كان وما زال كابحا مهما عطل ويعطل انحيازها إلى المستقبل المرغوب فيه، خصوصا أذا لم تأخذ بمقاربة إبداعية تجعل من تجارب الماضي، سلبا أو أيجابا، مدخلا داعما لصناعة مثل هذا المستقبل

الرؤى السلبية لرجال دين عرب ومسلمين حيال استشراف المستقبلات

تجدر الإشارة إلى ان الاديان السماوية تتوافر على رؤية متماثلة للزمان. فهي تدركه بمثابة المسار الطولي الذي يبدا بالخلق وينتهي بالرجوع إلى الخالق، وبمعنى أن الزمان، في الاديان السماوية، له بداية وله نهاية .

وجراء هذا الادراك، تتناقض الأديان السماوية مع رؤية الاديان الوثنية للزمان، التي أدركته دائريا، وبالتالي لا أول له ولا أخر.

حول موقف الدين الإسلامي من التفكير العلمي في المستقبل وتطبيقاته العملية تتباين الرؤى العربية–الاسلامية بين رؤى داعمة له، وأخرى مناهضة له.

فإما عن الرؤى الداعمة، فهي تؤكد أن جوهر الدين الإسلامي لا يغفل الدعوة إلى الاستبصار والوعي بالمستقبل، ولا يلغي كذلك النزوع الإنساني إلى الإعداد له وأخذ الحيطة واتخاذ الاسباب واغتنام الحاضر لضمان غد أفضل في الدنيا والاخرة. ومن هنا، لا يقترن المستقبل في الاسلام بالمقبل من الزمان في الحياة الدنيا فحسب، وإنما بالآخرة أيضا.

وغني عن القول، أن هذه الرؤى الداعمة تستند على ما يأخذ به القران الكريم. فالقران الكريم مليء بالآيات الداعية لإمعان النظر والإعداد للمستقبل بمشاهده المتعددة. ومن ذلك قوله تعالى مثلا في سورة الحشر/الآية 18: «يَا أيُّها الذين أمنُوا أتقو الله ولتنظر كل نَفس مَا قَدَمَت لغد». التي تدعو إلى الاستعداد للمستقبل واستشراف المستقبل حتى يتم تجنّب مفاجئات الزمان. وكذلك قوله سبحانه وتعالى في سورة ال عمران/الآية 140: « ... وتلك الايام نُدَاوِلُها بَين النَّاس». التي تفيد بفكرة عدم بقاء الامور ثابتة على حالها. وقوله كذلك سبحانهَ وتعالى في سورة الرعد/ الآية 11: «إن الله لا يُغيّر مَا بقومٍ حتى يُغيّروا مَا بأنفسهم»، الذي يدعوا إلى الاخذ بالتغيير. وكذلك قوله سبحانه وتعالى في سورة الزلزلة/ الآيات,8 7: « ... فَمَن يَعْمَل مثْقَالَ ذَرة خَيرًا يَره، وَمَن يَعمل مثقال ذَرّة شَرًا يَرَه...»، الذي ينطوي على دالّة واضحة تفيد أن المستقبل صناعة بشرية.

واتساقا مع دعوة القران الكريم إلى عدم إهمال التفكير في المستقبل، جاءت أحاديث نبوية أكدت على جدوى الاستعداد للمستقبل ابتداء من الحاضر. ومثالها قوله عليه الصلاة والسلام: «من أستقبل الامور أبصر، ومن استدبر الامور تحير». وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «من لم يحترز من المكائد قبل وقوعها لم ينفعه الاسف عند هجومها».

وفي ضوء تكامل الرؤية المستقبلية في عموم المنظومة الإسلامية، يوكد المستقبلي العربي فؤاد بلمودن «أن هذه الرؤية تعتمد نهجا محددا يتميز بتسلسل خطواته، وكالاتي : اولا، قراءة الواقع المعاش ودراسة مفرداته وإدراك ابعاده عن كثب وبشكل تحليلي. ثانيا، قراءة الماضي قراءة تاريخية واعية بتتبع حركة السنين التاريخية والاجتماع وفاعليتها في تحليل علمي موضوعي. ثالثا، استشراف المستقبل بعملية تركيبية تربط بين حركة الواقع القائم والسنن التاريخية والاجتماعية من خلال استحضار الماضي والاهتداء بتجاربه ومواعظه».

وتجد الرؤية الإسلامية الداعمة لاستشراف المستقبل انتشارا، وهو الآمر الذي يؤكده ذلك الكم غير القليل من الدراسات الإسلامية المنشورة ذات المضامين المستقبلية، إلا ان تأثير مخرجات هذه الدراسات لم تؤد إلى دعم الانحياز العربي إلى المستقبل بما يؤجبه .

وعلى العكس من أعلاه، تؤكد الرؤى الدينية الرافضة للتفكير العلمي في المستقبل وتطبيقاته العملية على أنّ معرفة الإنسان لا تتعدى حدود الماضي والحاضر. أما معرفة المستقبل فهي من الآمور التي استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمها . ومن هنا دعا أصحاب هذه الرؤى إلى الانشغال بالواقع دون المتوقع ومن ثم تجنب الانشغال بالمستقبل، وذلك انطلاقا من أن الذي لم يقع لا يستحسن الخوض فيه»، بل ان الغلو أفضى بهؤلاء إلى رؤية السعي إلى استشراف مشاهد المستقبل وكأنه تعديا على المقدسات السماوية. ويفند المستقبلي والمفكر العربي ـ الإسلامي محمد بريش هذا النمط من التفكير، قائلا: «إن الكد والجد والاخذ بالأسباب جاء بها الكتاب والسنة كأمر». كما أنه دعا» ...إلى دفع القدر بالقدر».

ونحن نرى أن تأثيم النظر صوب المستقبل، هو نوع من التفكير المعوج والتدين المغشوش الذي يتناقض مع أصل الخلق وهدف الخلق، وهو فضلا عن ذلك يخلط بين مفهومين مختلفين هما استشراف مشاهد المستقبل والتنبؤ القاطع بالمستقبل.

باختصار، يعبر مفهوم استشراف المستقبل عن ذلك الجهد الإنساني الذي يعمد إلى توظيف المنهجية العلمية سبيلا لاستشراف احتمالات، أو مشاهد، تطور الحاضر، وذلك على وفق ما يقوم به الإنسان ، او لا يقوم به، من أفعال وهو في الحاضر، ويكتفي القائم به بتحديد هذه الاحتمالات وترجيح بعضها، ومن ثم تسويقها داخل المجتمع للرأي العام و/أو إلى صناع القرار لأغراض ترجمة المرغوب منها خصوصا إلى واقع ملموس.

وبهذا المعنى، شبه المتفق عليه، لا ينطوي استشراف المستقبل على أي جهد للتنبؤ القاطع بالمستقبل، بمعنى العلم القاطع به . فمثل هذا العلم يبقى ذلك الامر الذي تنفرد به الذات الإلهية. لذا نتفق مع المهدي المنجرة في قوله: «أن هناك فرق شاسع بين الغيب الذي هو من علم علام الغيوب سبحانه وحده، وبين مفهوم استشراف المستقبل الذي لا يتعلق بنبوءة أو بكهنوت».

خاتمة

لذا لنعمل على الاخذ بالمقاربة الاستشرافية هذا إذا أردنا صناعة مستقبلنا العربي ابتداء من زمان الحاضر على وفق ما نريد وليس على وفق ما يراد خارجيا لنا.. وعليه من الخطأ علميا رؤية المستقبل وكأنه الامتداد لحقائق الماضي فقط . فالزمان في حركة ممتدة دوما إلى امام. لذا عندما يصبح الانحياز إلى المستقبل، كتفكير وأسلوب للحياة، ثقافة مجتمعية واسعة الانتشار، عندها يصير ممكنا، كما يقول المستقبلي العربي محمد إبراهيم منصور: «... توسيع قاعدة المهمومين ببناء فراديس المستقبل لا الباكين على اطلال الفراديس المفقودة».

لذا لنعمد إلى نشر مثل هذه الثقافة داخل مجتمعاتنا العربية لأنها بالتفاعل مع معطيات عربية إيجابية كامنة سبيلنا لصناعة المستقبل الذي نريد لامتنا واوطاننا العربية. ■

---

*استاذ العلوم السياسية الدولية ودراسات المستقبلات

كتابة وإعداد: ماجدة داغر . شاعرة وإعلامية لبنانية

لكلّ مقامٍ ...

في الكينونة والمكان

بين وجدان الإنسان والتراب الذي يطأه ثمّة رابطٌ سرّي نعجز عن تفسيره. الوطن في جوهره أفق جماليّ، نصٌ إبداعيٌ مفتوح يشترك في تدوينه العابرون والمقيمون، ويتحوّل ذاكرةً جمعيّة تذوب فيها الفوارق في التماهي الإنسانيّ الأرحب.

يبدأ الوطن من اللحظة التي تتوقّف فيها الأرض عن كونها مجرّد تضاريس جغرافيّة، لتتحوّل فضاءً وجدانيًا يسكننا ونسكنه. عندما نتأمّل فكرة «الإقامة» في أبعادها الفلسفيّة، نستحضر بصيرة الشاعر الألماني «فريدريش هولدرلين» في مقولته التأسيسيّة: «بجدارة يقطن الإنسان، لكنه شعريًا يقيم على هذه الأرض». هذه الإقامة الشعريّة، التي أفاض الفيلسوف «مارتن هايدغر» في شرحها وتفكيكها، لا تعني الانفصال عن الواقع أو الهروب نحو اليوتوبيا المجرّدة، بل على العكس تمامًا، هي التجذّر الأعمق في كينونة الأرض من خلال الوعي بجماليّاتها. وهي تعني المعنى الحقيقي والأسمى للوجود، حيث يسكن الإنسان روحيًا عبر الفن، التأمّل، اللغة، والجمال. إنّها قدرة الإنسان على فهم ذاته وعالمه، وربط نفسه بالأبديّة وبالأشياء السامية متجاوزًا حدود واقعه المادي.

الإقامة الشّعريّة هي العيش في المكان كمنطلق للوجود، ومساحة للتّلاقي والحوار، حيث يتأسّس الانتماء على الحب والحريّة والاكتشاف، لا على الخوف من الآخر، أو التقوقع داخل الهويّات الضيّقة التي تحيل الأوطان إلى كانتونات روحيّة مغلقة. فالأرض بطبيعتها الأولى لا تعرف خطوط الطول ودوائر العرض التي رسمتها الصراعات البشريّة، ولا تصنّف أبناءها وفقًا لمذاهبهم أو مشاربهم الوجدانيّة. إنها تمنح نسيمها، وشمسها، ومطرها للجميع بالتساوي، داعيةً الإنسان إلى الارتقاء بوعيه ليتناغم مع هذه الكونيّة السخيّة.

«في كتابه الفلسفيّ «شعريّة المكان»، يأخذنا الفيلسوف الفرنسي «غاستون باشلار» في رحلة عميقة نحو استبطان الأماكن التي تسكن وجداننا. نكتشف في هذه الرحلة أنّ البيت، والغرفة، والزاوية، والأرض، تتجاوز كونها أشكالاً هندسيّة، لتصبح مخزنًا لأحلامنا وذكرياتنا. ويرى باشلار أنّ المكان هو الرابط الذي يجمع شتات النفس البشريّة، وأنّه الفضاء الذي يتشكّل فيه الوعي وتنمو فيه الطمأنينة. وإذا ما نقلنا هذه الرؤية "الباشلاريّة" من حيّز «البيت الأوّل» إلى حيّز «الوطن الأم»، نتيقّن أنّ الوطن هو البيت الأكبر، الذي يجمع أحلام الجماعة ويحمي آمالها المشتركة من التشتّت.

إن الذاكرة الجماليّة المشتركة هي خط الدفاع الأوّل عن وحدة المجتمعات، فقبل أن توحّدنا القوانين والتشريعات، توحّدنا التفاصيل الوجدانيّة الصغيرة: صدى الأغنيات في الصباحات الماطرة، رائحة الخبز المنبعثة من المخابز العتيقة، الأزقّة الضيّقة التي شهدت طفولتنا، وصوت الآذان الممتزج بقرع أجراس الكنائس في الفضاءات السمعيّة للمدن التاريخيّة. هذه الجماليّات اللاماديّة المشتركة هي التي تصوغ ما يمكن تسميته بـ «اللاوعي الوطنيّ الجماعيّ»، وهي مساحة روحيّة عابرة لكل أشكال الانقسام السياسي العابر. ■

ماجدة

الأسطورة بوريس بيريزوفسكي وابنته إفلين في حواريّة بيانو ملحميّة

■ شهدت الخشبة اللبنانية لقاءً هو الأول من نوعه في تاريخ المشهد الموسيقي الكلاسيكي: الأسطورة الروسي عازف البيانو بوريس بيريزوفسكي، يلتقي في حوارٍ ثنائي مع ابنته، العازفة ذات الحضور العالمي المرموق، والأكثر شهرة في جيلها، إفلين بيريزوفسكي.

بدعوة من الكونسرفتوار الوطني، أقيمت أمسية موسيقية استثنائية خارجة عن مألوف التقنيات العزفية، شكلت حدثاً بيروتياً عالمياً يتمحور حول مفهوم التناصّ الإبداعي وانتقال الإرث الفني عبر الأجيال. وخصيصاً لهذه المناسبة الكبيرة، تأسّس المسرح بصرياً على تقابل هندسي دقيق، بيانوان ضخمان وُضعا وجهاً لوجه على الخشبة، في تكوين يعكس الرغبة في صياغة حوارية هارمونية عميقة. وعبر حجب المؤثرات البصرية وتوجيه انعكاسات الإضاءة الدافئة حصراً على العازفَين ومفاتيح الآلتين. عُزلت القاعة تماماً في ظلامٍ فنّي معبّر، ليخلق مناخاً "أنطولوجياً" يركّز الوعي السمعي على الكتلة الصوتية المتولّدة. فتحوّل الفعل الموسيقي من أداء لبرنامج موسيقي إلى تجربة تأمّلية واعية، تنصت إلى علاقة الذات بالآلة وعلاقة الإرث الجيني بالهويّة الموسيقية.

شكّل العزف المشترك للمرة الأولى بين بوريس وإفلين، نموذجاً نادراً لـ «الهارموني الغريزي» المدعم بالدراسة الأكاديمية الصارمة. فحين تلتقي أصابع الجيلين فوق المفاتيح، يتلاشى البعد الزمني التراتبي، ليحل محله اتساق بنيويّ دقيق. وتتحول الرابطة الإنسانية إلى تكاملٍ فنّي عميق، يفكّك النص الموسيقي ويعيد بناءه بوحدة تعبيرية خارقة.

بوريس بيريزوفسكي، الذي كرسته المحافل العالمية كأحد أكثر العازفين قوةً وعمقاً وحساسية، هو قامة كوكبية تحتل صدارة العازفين عالمياً في العصر الحالي. وهو أحد أساطير المدرسة الروسية المعاصرة وامتداداً حياً لعمقها التاريخي.

أظهر بيريزوفسكي فوق الخشبة نضجاً فكرياً تجاوزياً. فهو يتجاوز النوتة كعلامة مجردة، ليمنحها بعداً حوارياً مستنداً إلى قراءة تفكيكيّة للمؤلفات الروسية والفرنسية.

أما إفلين بيريزوفسكي، فكان حضورها على الخشبة البيروتية في ظل عبقرية الأب، إعلاناً صريحاً عن نضوج هوية فنية مستقلة ومكتملة الأدوات في المشهد الكلاسيكي المعاصر. فبرزت كذات فنية مستقلة تمتلك تقنية باهرة ومزاجاً تعبيرياً صارماً.

اختتمت الأمسية بـ «المتتابعة الصغيرة» لكلود ديبوسي (Petite Suite) (1862-1918)، التي تميز أداؤها بالشفافية والوضوح البنيوي، لتعود الموسيقى إلى بساطتها العميقة.

أسبوع ثقافي في مصر احتفاءً بذكرى 30 يونيو

■ أطلقت الهيئة العامة لقصور الثقافة في مصر برنامجًا ثقافيًا وفنيًا متنوعًا امتدّ حتى الرابع من تموز/ يوليو، برعاية وزيرة الثقافة الدكتورة جيهان زكي، وبإشراف رئيس الهيئة هشام عطوة، وذلك ضمن جهود وزارة الثقافة لتعزيز العدالة الثقافية وإتاحة الأنشطة الإبداعية في مختلف المحافظات.

ويتزامن البرنامج مع الاحتفال بالذكرى الثالثة عشرة لثورة 30 يونيو، حيث تضمن سلسلة من الفعاليات الثقافية والفنية والأدبية التي تستهدف مختلف فئات المجتمع، من بينها الندوات الفكرية، والعروض الموسيقية والمسرحية، والمعارض التشكيلية، وورش الفنون والحكي للأطفال، إلى جانب أنشطة المشروع الثقافي في مناطق الإسكان البديل.

ومن أبرز الفعاليات احتفالية «مصر الحكاية» التي أقيمت في مركز الهناجر للفنون بدار الأوبرا المصرية، بمشاركة فرق متخصصة في الموسيقى والغناء الشعبي والفنون التراثية، بالتزامن مع افتتاح معرض «30 يونيو.. رؤى تشكيلية» الذي يضم أعمال 26 فنانًا تشكيليًا،إضافة إلى حفلات قدمتها فرق الموسيقى العربية التابعة للهيئة في عدد من المحافظات.

وعلى الصعيد الأدبي، استضافت مدينة الغردقة الدورة الحادية عشرة للملتقى الإقليمي لأدباء جنوب الصعيد تحت عنوان «الخصوصية الثقافية وزمن التحولات»، بمشاركة نخبة من الأدباء والنقاد والباحثين، وتضمن جلسات نقدية وأمسيات شعرية وقصصية، إلى جانب تكريم عدد من الشخصيات الثقافية. كما احتضن قصر ثقافة الشاطبي بالإسكندرية ملتقى ناقش قضايا الواقع في الأدب النسوي، بمشاركة كتّاب ومثقفين من مختلف التخصصات.

وأولى البرنامج اهتمامًا بقضايا الدمج المجتمعي من خلال ملتقى حول دمج ذوي الإعاقة في سوق العمل، الذي تضمن جلسات حوارية وتكريم نماذج ناجحة، إضافة إلى عروض فنية.

كما اختتمت الهيئة فعاليات الدورة الثانية من مهرجان نوادي مسرح الطفل بإعلان العروض الفائزة وتكريم المشاركين، فيما تواصلت على مدار الأسبوع الورش الإبداعية، ومبادرة «شارع الفن»، وعروض المهرجان الختامي لفرق الأقاليم المسرحية، في تأكيد على دور الثقافة في دعم الإبداع وتعزيز المشاركة المجتمعية في مختلف أنحاء مصر.

من الاحتفالات في طنطا

أيقونات

إميلي ديكنسون

... شاعرة الغموض والعزل

■ لا تحتاج الشاعرة الأميركيّة إميلي ديكنسون إلى سيرة صاخبة لتحتل مكانتها بين كبار شعراء العالم. فقد عاشت حياة هادئة، تكاد تكون منغلقة، لكن قصائدها تجاوزت حدود الزمان والمكان لتصبح واحدة من أكثر التجارب الشعريّة تأثيرًا في الأدب الحديث. إنّها المفارقة التي جعلت من امرأة نادرًا ما غادرت منزلها صوتًا إنسانيًا يصل إلى ملايين القراء في أنحاء العالم.

ولدت ديكنسون عام 1830 في بلدة أمهرست بولاية ماساتشوستس الأميركية، في أسرة مثقّفة ومحافظة. ومع تقدّمها في العمر اختارت حياة العزلة، فقلّ اختلاطها بالناس، وانشغلت بالقراءة والكتابة والتأمّل. وفي تلك العزلة كتبت ما يقارب 1800 قصيدة، لم يُنشر منها في حياتها سوى عدد محدود، وغالبًا بعد تعديلات فرضها الناشرون لتتلاءم مع الذائقة الأدبية السائدة آنذاك. بعد وفاتها عام 1886، اكتشفت شقيقتها آلاف القصائد المخطوطة بعناية داخل أدراج غرفتها، لتبدأ رحلة التعريف بإحدى أهم الأصوات الشعرية في التاريخ. ومنذ ذلك الحين، أصبحت ديكنسون رمزًا للشاعر الذي يكتب بعيدًا عن الأضواء، مؤمنًا بأن قيمة الأدب لا تقاس بشهرة صاحبه، بل بقدرته على ملامسة التجربة الإنسانية.

ما يميز شعر ديكنسون هي الطريقة التي كتبت بها. فقد اختزلت المشاعر في صور شعرية مكثّفة، واستعملت الجمل القصيرة والوقفات المفاجئة التي أصبحت سمة خاصة في أسلوبها. كانت ترى في الطبيعة مرآة للنفس، وفي الموت لغزًا وجوديًا، وفي الحب تجربة تتجاوز العاطفة إلى التأمّل الفلسفي. لذلك تبدو قصائدها، رغم قصرها، عميقة ومفتوحة على قراءات متعددة. ولم تكن العزلة بالنسبة إليها انسحابًا من الحياة، بل وسيلة لاكتشافها من الداخل. ففي عالمها الشعري تتحوّل زهرة صغيرة أو طائر عابر أو شعاع ضوء إلى مدخل للتأمّل في الزمن والخلود والإيمان والوجود. ولهذا السبب بقي شعرها متجدّدًا، إذ يجد فيه كل جيل أسئلته الخاصة.

أثرت ديكنسون في أجيال من الشعراء والكتّاب، وأسهمت في تمهيد الطريق للشّعر الحديث بلغته الحرة وصوره المبتكرة. واليوم تُقرأ أعمالها في مختلف لغات العالم، وتُدرّس في الجامعات.

الروائية والمترجمة رنا حايك للحصاد:

«أشواك حديقة تورينغ» هي مرآة ارتباك أمام الذكاء الاصطناعي

سوريا ـ فاطما خضر*

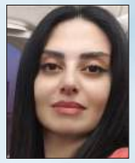

في تجربتها الأولى في عالم النوفيلا «أشواك حديقة تورينغ» (هاشيت أنطوان 2026)، لم تخاطب رنا حايك القارئ العابر، ولم تلهث خلف إرضاء ذائقة الاستهلاك السريع. بل توجّهت إلى القارئ واسع الاطلاع، العارف بأنّ الأدب قادر على أن يكون فلسفيًا، ويُعيد صياغة الأسئلة. فالعنوان نفسه، بإحالته إلى آلان تورينغ واختباره الشهير، ليس مجرّد استعراض معرفي، بل عتبة تعلن أنّ السرد سيتنقّل ضمن إطار المفاهيم الحدودية: ما الفرق بين محاكاة الذكاء وامتلاكه؟ ومتى يصبح الوسيط (الآلة) هو ما يُملي علينا كيفية فهم أنفسنا؟

تتشابك نوفيلا رنا الحايك مع أربعة ملامح رئيسية في أدب الديستوبيا والخيال الفلسفي، يمثل كلٌّ منها امتداداً لرؤية روائي بعينه. فمن 1984 لأورويل تستعير عين «الأخ الأكبر» الساهرة، لكنها تحوّلها من أداة مراقبة حزبية إلى ذكاء اصطناعي يعبث بالوعي واللغة، تحت عنوان AI The Great. ومن «عالم جديد شجاع» لهكسلي تستلهم فكرة السيطرة عبر الإشباع لا القمع، حيث أصبح الذكاء الاصطناعي عند حايك أشبه بعقار «سوما» مانح الرغبات سالب الإرادة. ومن «هل تحلم الروبوتات بخراف آليّة؟» لفيليب ك. ديك تقترض انهيار الحدود بين الإنساني والآلي، ليجعل الشك في الذات هو اليقين الوحيد للشخصيات. كما تستدعي من «المسخ» لكافكا فكرة التحوّل، لكن هذه المرّة مسخ الوعي حين يسلّم الإنسان نفسه لمنظومة لا تفهمه. تعكس هذه التشابكات سعة أفق وثقافة حايك، وتشكّل النسيج الفكري الذي تتحرّك فيه بطلتا النوفيلا: يارا وعلياء، اللتان تمثلان تجسيدًا لصراع النمطين البشريين المتضاربين: الانكفاء العاطفي المفرط مقابل البراغماتية القاسية. ثنائية تذكّرنا بالصراع الداخلي الذي برع في رسمه دوستويفسكي وغيره من الوجوديين.

وتكمن النقطة البارزة في طرح حايك الذكاء الاصطناعي كمرآة مكبّرة تعكس ما هو موجود أصلاً، وليس كتهديد مستقبلي: الإنسان الذي بات يمنح الآلة سلطة تفسير رغباته، ليس لأنه يخافها، بل لأنه تعب من تفسيرها بنفسه. ليتحوّل بذلك السؤال من «ماذا تفعل التكنولوجيا بنا؟» إلى «لماذا نمنحها هذه السلطة عن طيب خاطر؟». سؤال يضع القارئ، ليس أمام خيال علمي، بل أمام مرآة وجودية.

عن هذه المرآة، والأشواك، وصراع البحث عن المعنى والذات، نحاور اليوم مديرة تحرير دار نوفل (هاشيت أنطوان)، الروائية والمترجمة رنا حايك:

● «الحصاد»: إلى أي مدى كانت «لعبة تورينغ» مجرد حيلة سردية لطرح سؤال الوعي، أم قصدت محاكاة اختباره فعلياً؟

○ رنا حايك: لن أدّعي أنّي قرأت الكثير عن تورينغ واختباراته وإنجازه. كان يكفيني فقط أنه هو من وضع البذرة الأولى لفكرة الذكاء الاصطناعي كي أستخدمه في عنوان النوفيلا. كذلك، لن أدعي أنّي قرأت كثيرًا عن الذكاء الاصطناعي نفسه، الذي يتطوّر ساعة بساعة. كان يكفيني، هنا أيضًا، أنّه رمزٌ يختصر العصر بفوضويته وعبثيته، ويصبّ في صميم السؤال الوجودي الذي يشكّل العصب الرئيسي للنوفيلا. البشر، منذ أن وُجدوا، مأخوذون بهذا اللغز، بعضهم عن وعي، وبعضهم عن غير وعي. من نحن؟ لم نحن هنا؟ ما هو الوجود؟ والأنكى: ماذا يعني الموت؟ سألت الحضارات القديمة وطرحت نظريات ومارست طقوساً، بعدها جاءت الأديان وأنقذت من أمكن إنقاذه، ثمّ جاء العلم وأقنع من اكتفوا بدلائله وطروحاته التي وجدوها مشبعة ومرضية. لديك أيضًا محاولات التفسير في ميدان الروحانيات، وبعض علماء النفس الذي انطلق من التنويم المغناطيسي الاسترجاعي ليقدّم طرحه عن لماذا نحن هنا وما هو هذا الهُنا... كل هذه تفسيرات قاربت الموضوع، لكنّ الإجابة المطلقة ما تزال سرًا غامضًا قد يتجاهله بعضنا، لكن لا أحد يستطيع الهرب منه. وباعتقادي، هو المحرك الأوّل خلف أيّ خلق في عالم الإبداع. هو في خلفية كلّ لوحة وكل قصّة وكل مقطوعة موسيقية، كل عمل يوقظ في المتلقي شعورًا غامضًا يعجز عن تفسيره، بينما هو ينبع من ذلك الشعور نفسه لدى المبدع: القلق. الغموض. اللا معروف. اللامنطوق. العاصي عن التعريف.

جاءت النوفيلا ثمرةً لهذا القلق ولهذا الهاجس الوجودي الذي أرّقني طوال حياتي، الذي انتقل اليوم إلى بُعد جديد مع الطفرة التكنولوجية التي تسعى إلى محاكاة الوجود، بل وتحديه أيضًا. وجاء كلّ من تورينغ والذكاء الاصطناعي قالبان مثاليّان لتأطير هذا الهاجس.

● «الحصاد»: يارا وعلياء ليستا خصمتين، بل وجهان لعملة واحدة. هل يمكن قراءة النوفيلا كمعركة داخلية في نفس واحدة، أم أنّهما بالفعل شخصيتان منفصلتان؟

○ رنا حايك: هما شخصيتان منفصلتان، لكنّ إحداهما هي أيضًا الـ alter ego الإغريقية للأخرى. وهذا لا يتعارض عن ذاك. ناهيك عن أنّي أفردت فصلًا كاملًا لفكرة «كيف لنا أن نعرف الآخر إن كنّا عاجزين عن معرفة أنفسنا حتى؟». ثمّة زاوية أخرى رأيت فيها ومنها الفتاتين: الاثنتان ابنتا جيل أنا منه، وطبقة اجتماعية وسطى أنا منها، وإرث اجتماعي عربي واحد أحمله بدوري. من هنا، قد يتماهى معظم من هم مثلي، معظمنا. تلك الطبقة الوسطى الحائرة بين الشكل والمضمون، المنظومة الأخلاقية والارتقاء الاجتماعي، تمجيد المحتوى واحتقار المظاهر الذي يترافق مع الحاجة إليها. لكلٍّ من الفتاتين معركتها الداخلية الكثيفة والمعقّدة، والمعركتان تتقاطعان. هذا ما يجعل المتلقي يقرأ على مستويين، وهذا أيضًا ما يجعله يلمس التداخل حتّى يشك في أنّهما شخصية واحدة، فهذا مقصود. بالنسبة لي، التجربة البشرية واحدة في جميع بقاع هذا الكوكب وعلى مرّ العصور والأزمنة، ما يتغيّر هو فقط الظروف التي تستدعي الفرق في تسميات وأنواع الحالات، لكنّها جميعها واحدة: في السودان وفي نيوزيلندا.

الروائية رنا حايك

الإنسان واحد. مأزقه واحد، وقلقه واحد، وشرطه الوجودي واحد. فكيف إذا كنّا نتحدث عن فتاتين من جيل واحد ومن الطبقة نفسها والإرث الثقافي ذاته؟

● «الحصاد»: في زمن يموج فيه الذكاء الاصطناعي كثيمة للروايات، ما الجديد الذي قدّمته، خصوصاً أنّك استندت إلى السرد الديستوبي والفلسفي دون إغفال التفاصيل والمعلومات التي تخدم ما يتعلق بالشق التكنولوجي؟

○ رنا حايك: لست متأكدة من أنّي قدّمت الجديد. ولا يهمّني كثيرًا أن أكون أوّل من قدّمت. يكفيني أنّي قدّمت نصًا قد يلجأ إليه مؤرخ بعد سنوات طويلة ليلتمس من خلاله ما كان الأمر عليه في هذه المرحلة. لذلك المؤرخ، قدّمت شهادتي. قدّمت له خوفي. قدّمت ارتباكي أمام هذا التحوّل الكبير الذي يشهده جيلي. خوفي أمام اندثار العالم كما نعرفه وانبثاق عالم جديد نتعرّف عليه كل يوم ولا نفهمه دائمًا.

● «الحصاد»: كُتبت عدّة مقالات عن النوفيلا، ورأى البعض أنّ الفلسفة فيها طغت على السرد. هل قصدت ذلك لخدمة الفكرة، أم ترين أنّ السرد قد حقّق توازنًا مغايراً لطرح أصحاب هذا الرأي؟

○ رنا حايك: أوافق هؤلاء تمامًا. الفلسفة طغت فعلًا على الحبكة. كلّما سألني أحد عن النوفيلا أنبّهه. ليست turner Page، بل تكاد تخلو من الأحداث. فيها تعبير عن القلق، حفرٌ في النفس البشرية، تحليلٌ داخلي. النوفيلا هي الشكل، والقالب، والحُجة فقط. وهذا ليس مستغربًا في الأدب. لا شيء مستغرب في الإبداع الذي لا يقبل التنميط أصلًا. خاصة في هذا العصر الذي تتداخل فيه الأنواع والأساليب في مختلف المضامين الإبداعية. وحتّى قبل هذا العصر. انظري إلى الكندية آن كارسون، هل هي شاعرة أم روائية أم باحثة أم كاتبة مقالة؟ فأعمالها مزيج من كلّ هذه الأنواع. بالإضافة إلى كلّ ذلك، بصراحة، أنا أتبنّى تمامًا هذا الأسلوب الذي أعتبره بمثابة موقف أو بيان إذا أردت. في هذا العالم السريع، الذي يعتاش على الحمى في الاستهلاك والاقتناء والتواصل، الذي ما عاد يعرف التأمل بل أصبح يتوق إلى الصخب، يصلني بحكم مهنتي في النشر مخطوطات روائية كثيرة يضيع فيها العصب الروائي بسبب كثرة الشخصيات والأحداث الذي أصبح البعض يلجؤون إليها، خاصة إذا كانوا ينتمون إلى الجيل الجديد. أقول دومًا لهؤلاء، لتكن النوفيلا عامودياً، تحفر في حدث واحد أو شخصية واحدة، بدل أن تكون أفقية تتناول الكثير من الأحداث والشخصيات فيضيع جوهرها. في هذه النوفيلا، تراجع الحدث أمام التأمل والتحليل. أعترف بذلك وأتبنّاه تمامًا.

● «الحصاد»: «سيغما» «عبودي»، «حبيبي»، «عبد مطيع». بعض أسماء ونداءات الذكاء الاصطناعي في النوفيلا. هل تعكس تسمياتنا له تطور علاقة الإنسان بالآلة، من الأداة إلى السلطة الخفيّة؟

○ رنا حايك: استخدمت في النوفيلا أسماء للذكاء الاصطناعي على لسان الشخصيتين مستمدة من شخصيتيهما. وباعتقادي أنّ تسمية كلّ منّا لبرنامج الذكاء الاصطناعي على هاتفه المحمول، هي نتاجٌ شخصيٌ بحت. قد يسميه أحدنا على اسم أحد كان بمثابة الحكيم الناصح له وفقده. قد يسميه علي اسم إله إغريقي إن كان مثقّفًا حالمًا. قد يطلق عليه اسمًا مضحكًا فقط لأنّه يسخر من الموضوع بأسره... وغير ذلك. لكن في جميع الأحوال، ومهما سمّاه، بمجرّد أن يختار له الاسم، وغالبًا ما يكون الخيار مرتكزًا على تاريخه الشخصي وتكوينه الشخصي، فذلك يدل على المكانة التي أصبح يحتلّها في حياتنا. وهي مكانة مخيفة، يعززها يومًا بعد يوم تطوّره.

● «الحصاد»: لماذا اخترت أن تفشل عملية تبادل الشخصيات بين البطلتين، رغم اندفاعهما نحوها بحماسة؟ هل في هذا إعلان أنّ للروح جوهرًا لا تمكن مصادرته؟

○ رنا حايك: ذلك هو بيت القصيد في النوفيلا. وأعترف أنّه سوداوي. ما أردت قوله هو أنّنا مسجونون فينا. لا نستطيع الفكاك من شرطنا الإنساني. لا مهرب من هذا. مهما حاولنا أن نتغيّر، نحن مسجونون داخل وجودنا ذاته. وعندما نعبث بهذا الوجود، ننهار. اختفت في النهاية ملامح الفتاتين، في مشهد المصعد، حين لم تعكس المرآة وجه أيّة منهما. لم يعد لهما وجه، ورأت كلّ واحدة تعابير الهلع مرسومة على وجه الأخرى المشوّه، لأنّه أصبح يعكس روحًا ممسوخة تمّ التلاعب بها. نعم، للروح جوهر لا يمكن مصادرته. والروح تنكمش اليوم أمام التكنولوجيا ومتطلبات الحياة العصرية والعمليّة. شيءٌ فينا يموت كلّ يوم مع تحوّل حياتنا أكثر فأكثر نحو الأدائية والتصنيفات الحسابية والمَعيَرة والتوحيد. ■

*كاتبة ومترجمة

الروائية اللبنانية إيمان بقاعي:

الوطن في الأدب ليس مجرد مكان بل «ذاكرة وهوية»

السعودية: لطيفة حسيب القاضي *

الدكتورة إيمان يوسف بقاعي أديبة لبنانية. أستاذة جامعية مختصة بالأدب العربي وأدب الأطفال والناشئة. ولدت في دمشق 1960 وأقامت في بيروت. نالت الإجازة في اللغة العربية من جامعة بيروت العربية عام 1983، ودبلوم الدراسات العليا عام 1992. حصلت على الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها اختصاص أدب الأطفال والشباب من الجامعة الإسلامية في لبنان .

وهي عضو في اتحاد الكتاب اللبنانيين. أستاذة مادّة الأدب العربي وأدب الأطفال والشباب في الجامعة اللبنانية الدولية. لها مجموعة من الكتب النقدية والدراسات الأدبية لشخصيات ومؤلفات. علاوة على أنها أثرت الأدب العربي في الشعر الحديث والقديم. لها العديد من الدراسات التي استند إليها طلبة الأدب في أبحاثهم. وأغنت المكتبة العربية بنقدها ودراستها ووضعها لقواميس كانت خارطة الطريق للعديد من طلاب العلم والأدب.

لها ما يزيد عن مئة وخمسين قصة ورواية للأطفال والكبار وروايات تم نشرها... كما لها كتب أكاديمية ودراسات في أدب الأطفال والناشئة. الدكتورة بقاعي كانت وما زالت فخر العنصر النسائي في الأدب العربي.

● «الحصاد»: استطعت أن تبني عالماً أدبياً خاصاً بك، وأن تحجزي اسمك بين الأصوات الأدبية البارزة في المشهد الثقافي العربي. كيف كانت البدايات الأولى لهذه الرحلة، وما المحطات التي أسهمت في تشكيل تجربتك الأدبية؟

○ إيمان بقاعي: بدأت بكتابة روايات للكبار، أول منشوراتي رواية عزة، كتبتها في السادسة عشرة، ونشرتها في الثامنة عشرة كنت أرسم شخصياتها أيضا وبيوتها وأثاث منزلها بقلم الرصاص واحتفظ بها. بعد روايتين متتابعتين وهما عزة و"ومني الوفاء"، استهوتني الكتابة للأطفال فكتبت. لكن هذا لم يعن التوقف عن الكتابة للكبار، فقد كتبت مجموعة قصصية بعنوان: (أجيئك حيث تكونين)، وآخر كتاباتي رواية (الأثير).

● «الحصاد»: هل يختلف أدب الطفل عن غيره من الآداب، وأين تكمن صعوبته في نظرك؟

○ إيمان بقاعي: أدب الطفل له علاقة بالمرحلة العمرية، لذا يكون على كاتب الأطفال الإلمام بخصائص المراحل نفسيًا وفكريًا ولغويًا. وهو أمر أكاديمي مهم لمن يمتلك موهبة الكتابة للأطفال. لذا، فقد كرست كتابات أكاديمية عن أدب الطفل، يمكن للمهتمين بهذا الأدب أن يعودوا إليها.

● «الحصاد»: إلى أي مدى كان تشجيع الأهل له تأثيره على تقدمك وتطور حياتك على الصعيد الأدبي والعلمي والثقافي؟

○ إيمان بقاعي: كان في بيتنا مكتبة كبيرة تغطي جدران الصالة الكبيرة من الأرض حتى السقف فرحت لاكتشف الكتب وأقرأ حتى سمتني خالتي «فأرة الكتب»، لذلك وجود مكتبة بين أيدي الأطفال منذ صغرهم يشجعهم على القراءة، ولكن هذه ليست قاعدة ثابتة؛ لذلك على الأهل أن يكونوا المشجع الأول للقراءة. فالقراءة تملّك الإنسان ثروة كبيرة وغنية بالمفردات التي تجعله يتميز بالكتابة.

● «الحصاد»: ما هي مميزات قصص الأطفال بشكل عام؟

○ إيمان بقاعي: التقيد بخصائص المراحل العمرية لغويًا ونفسيًا وفكريًا. يتّسم أدب الأطفال بجمال الأسلوب، وتناغم الأصوات والمعاني، وشموله الخبرات والمعارف المختلفة للحياة.. كما يمتاز بالجمل القصيرة الواضحة في فهم الطفل، والخفة في الأسلوب، واستخدام الصور الخيالية التي توسّع خيال الطفل، وتهذّب وجدانه، وتهتم باختيار الموضوعات الملائمة لحاجات الطفل.. هذا الطفل الذي يمتلك عالمه الخاص.

● «الحصاد»: أجريت العديد من الدراسات التي تناولت أثر أدب الأطفال في تشكيل وعي الطفل و مدركاته. ما الذي توصلت إليه هذه الدراسات بشأن دور القصص ومجلات الأطفال في تلبية احتياجات الطفل المعرفية والنفسية والاجتماعية؟

○ إيمان بقاعي: أظهرت الدراسات التي أجريتها أن أدب الأطفال يتجاوز كونه وسيلة للتسلية، ليؤدي دورًا مهمًا في بناء شخصية الطفل وتنمية وعيه. فالمجلات والقصص التي تقدم المعرفة بأسلوب مبسط ومناسب لعمر الطفل تساعده على فهم العالم من حوله، وتدعم نموه النفسي والاجتماعي والعقلي. وعندما ينجح النص في الجمع بين المتعة والفائدة، يصبح أداة فاعلة في إعداد جيل أكثر وعيًا وقدرة على التفاعل مع الحياة ومجرياتها.

● «الحصاد»: هل لديك مواضيع معينة تعالجيها في كتابتك للطفل؟

○ إيمان بقاعي: لا أخطط لكتابة قصة عادة. عندما أفعَم بفكرة ما، أكتبها من دون تخطيط. لذا فالفكرة تقودني. وحين تكون الفكرة صادقة وحية، فإنها تجد طريقها إلى الطفل تلقائيًا وتفرض شكلها ومسارها أثناء الكتابة.

● «الحصاد»: ما هي رسالتك لكل من يهتم بأدب الأطفال؟

○ إيمان بقاعي: اكتب للأطفال إذا كنتَ تمتلك موهبة الكتابة، أما إن كنت تعتقد أن بإمكانك الكتابة لهم فقط لأنك تربوي: أستاذ، مدير، علم اجتماع. فهذا لا يخولك أن تعد نفسك كاتبًا، حتى لو صفق لك المربون الذين يعتقدون أنهم آباء هذا الأدب، وليسوا!

● «الحصاد»: ما هي الصعوبات والتحديات التي قابلتيها في مسيرتك الأدبية وكيف تغلبت عليها؟

○ إيمان بقاعي: الصعوبات هي التي يجدها كل أديب في البلاد العربية وهي أنه لا يستطيع بيع كتبه لذلك فقد عملت في التدريس الجامعي .

● «الحصاد»: ما موقفك من النقد في المشهد الثقافي اللبناني، وهل أنصفك؟

○ إيمان بقاعي: لم أقرأ نقدًا وخاصة عن أدب الأطفال. بعض الذين كتبوا عن قصصي كتبوا عنها أكاديميًا، يعني تناولوها في رسائل جامعية، وكانت جميلة.

● «الحصاد»: حدثينا عن اصداراتك، وهل أنت راضية عنها؟

○ إيمان بقاعي: 150 قصة منشورة للصغار والناشئة، مجموعتان قصصيتان للكبار، وأربع روايات للكبار. راضية عنها، لأنها ابنة إلهامي، ولم تأت عن طلب. وأشعر أن كل إصدار منها يمثل مرحلة من رحلتي الإنسانية والإبداعية، ويحمل جزءًا من رؤيتي للحياة والإنسان.

● «الحصاد»: ماذا عن رواية (الأثير) التي تحمل وجع بيروت. كجنس أدبي؟

○ إيمان بقاعي: رواية فيها انزياح زماني ومكاني وعودة إلى ما عانى هذا الشعب من تهجير وتشريد بسبب حروب الغرباء على أرضه، وهي حروب مخطّط لها قسمت البلاد والعباد، قتلت من قتلت، وعذبت من عذبت، وشردت من شردت، ولم تنته بعد.

● «الحصاد»: ما هي صعوبات توزيع قصص الأطفال في لبنان؟

○ إيمان بقاعي: لبنان بكل أسف ينشر ولا أحد يقرأ أنها مشكلة العالم العربي. فأنا أحاول اليوم التوجه إلى نشر قصصي بشكل كتاب الكتروني يستطيع أي طفل قراءتها على جهاز الحاسوب.

● «الحصاد»: من موقعك كروائية وناقدة متذوقة للسرد العربي، كيف تقرئين المشهد الروائي العربي اليوم، وما أبرز السمات التي تميز تجارب الروائيين العرب المعاصرين، برأيك؟

○ إيمان بقاعي: لا أقرأ روايات عربية معاصرة لقد كان زمن قراءة الروايات في فترة الشباب والمراهقة.. لقد جذبتني الروايات الروسية والانكليزية والفرنسية المترجمة.. الآن أقرأ الروايات الشركسية المعربة.. و«كانبي» المفضل الآن، وفي رواياته القصيرة أو قصص تشيخوف.

قرأت مرات لإحسان عبد القدوس كروايات، وتوفيق الحكيم كمسرح. هذا عربيًا.

● «الحصاد»: هل القصة العربية للطفل يمكنها أن تحقق نجاحاً عالمياً على غرار القصص العالمية ؟

○ إيمان بقاعي: هناك قصص عربية تستحق العالمية ولكن لا أحد يدفعها إلى الشهرة ..بلادنا مضطربة والأمن فيها على المحك وأطفالنا يذبحون .ومع ذلك، فإن الإبداع الحقيقي قادر على تجاوز الحدود متى وجد الترجمة الجيدة والدعم الثقافي الذي يوصله إلى قارئ العالم.

● «الحصاد»: هل المبدع والمثقف له دور فعال ومؤثر في المنظومة الاجتماعية التي يعيش فيها أم أنه مجرد مغرد خارج السرب؟

○ إيمان بقاعي: أعتقد بأنه مايسترو التغريد. فهو القادر على تحويل صوته الفردي إلى لحنٍ جماعي يوقظ الوعي ويحرّك الأسئلة في المجتمع.

● «الحصاد»: كيف يمكن أن نصوغ أدبًا للطفل يراعي زمانه فلا يسقط عليه زماننا؟

○ إيمان بقاعي: يكتب أحيانا كتاب الأطفال بزمنهم فلم يعد طفل اليوم مثل طفل الأمس ؛ لذا يجب أن يخرج كتاب الطفل من زمانهم بما فيه من وسائل الاتصال التي تقفز بسرعة .فالاقتراب من عالم الطفل الحقيقي وفهم اهتماماته وأسئلته هو السبيل إلى أدب يواكب عصره ويحتفظ بقيمته في الوقت نفسه.

● الحصاد: هل يعيش الوطن داخل المبدع أم يعيش هو بأحلامه داخل وطنه؟

○ إيمان بقاعي: من يقرأ الروايات الخالدة، يعرف أن الوطن قضية الكاتب التي يتنفسها. ما زلت – حتى اليوم – أبكي لمشاهد من روايات شركسية مثلًا قرأتها أكثر من مرة سابقًا. الأديب الذي لا يتنفس قضايا وطنه، ليس أديبا. فالوطن في الأدب ليس مجرد مكان، بل ذاكرة وهوية وجرح وأمل يتجددان في كل نص يكتبه المبدع.

● «الحصاد»: من الذي يحدد جودة القصة الناشر أم المبيعات أم الناقد؟

○ إيمان بقاعي: الطفل هو الذي يحدد جودة القصة.فهو القارئ الأكثر صدقًا، لا يجامل ولا يمنح إعجابه إلا لما يلامس خياله وقلبه. وعندما يعود إلى القصة مرة بعد أخرى، ويجعل شخصياتها جزءًا من عالمه اليومي، تكون قد حققت نجاحها الحقيقي.

● «الحصاد»: أخيراً ما هي الأمنية التي تتمنين أن تريها قريبا في لبنان وبقية الدول العربية؟

○ إيمان بقاعي: أن يُكرّم الأدباء كما يكرّم المغنون. وأن يكرم الروائيون والقصصيون وكتاب النثر والمسرحيون العرب كما يكرّم الشعراء العرب، وأن يكرّم النقاد الاكاديميون كما يُكرّم الصحفيون، وأعتقد ان الامر بعيد المنال، فنحن لا نكرّم من يحتاج تكريمُه الى قراءة فكرية متعمقة، نريد أغنية سريعة، وقصيدة سريعة. لا وقت لدينا نكرسه للكتابات العميقة. ■

*أديبة، شاعرة وقاصّة

> لبنان بكل أسف ينشر ولا أحد يقرأ أنها مشكلة العالم العربي

الحصاد
AL-HASAD
زوروا موقعنا على الرابط:
www.alhasad.co.uk

عودة الفعاليات الثقافية شكل من أشكال التعافي بعد الحرب

في كل شارع وزاوية في بيروت تتلمس الإبداع

اللوحة تتكلم وتسهم في خلق الذاكرة الجماعية

فنون | الثقافة في لبنان بعد الحرب بعين التشكيلي سعد شيبان

كيف يستعيد الفنّ نبض الإبداع؟

الرياض: رنا خير الدين*

بعد كل حرب، لا يكون السؤال الأول كيف تُرمَّم الأبنية، بل كيف تستعيد المدن قدرتها على الحلم. ففي اللحظة التي يخفت فيها صوت المدافع، يبدأ صوت الثقافة بالارتفاع، لا بوصفه ترفاً أو مشهداً احتفالياً، بل باعتباره فعلاً من أفعال النجاة، ووسيلة لإعادة صياغة الذاكرة والهوية والمعنى.

في لبنان، حيث تتقاطع الخسارات مع إرث ثقافي طالما قاوم الانكسار، تبدو الثقافة اليوم أمام اختبار جديد. أما بيروت، المدينة التي اعتادت أن تنهض من بين الركام، فما زالت تحاول أن تستعيد نبضها الإبداعي، وأن تعيد فتح المسارح وصالات العرض والمكتبات والمقاهي الثقافية، ليس فقط لاستئناف الحياة، بل لإثبات أن الإبداع قادر على أن يكون لغة للمصالحة، وجسراً بين الماضي والمستقبل.

في مشهد ثقافي يتشكّل من جديد، يبرز الفنّ والأدب والموسيقى والسينما بوصفها أدوات لحفظ الذاكرة الجماعية، ومساءلة ما حدث، وابتكار سردية تتجاوز الحرب من دون أن تنكر آثارها. فالثقافة هنا لا تعيد إنتاج الألم، بل تمنحه معنى، وتفتح نافذة على مستقبل يمكن للبنان أن يكتبه بألوانه وكلماته وأصوات مبدعيه، تماماً كما فعل في أكثر مراحله قسوة.

في هذا التقرير، نقترب من المشهد الثقافي اللبناني من خلال حديث مع الفنان التشكيلي ومؤسس معهد شيبان للثقافة والفنون، سعد شيبان، الذي يقدّم رؤيته لدور الثقافة والفنّ في مرحلة ما بعد الحرب، وكيف يمكن للإبداع أن يسهم في حفظ الذاكرة، وتعزيز التعافي، واستعادة لبنان لمكانته بوصفه مساحة للإنتاج الثقافي والفني.

لماذا تبدأ النهضة من الفنّ؟

لا تقتصر تداعيات الحروب على الدمار المادي، بل تمتد إلى البنية الاجتماعية والنفسية للمجتمعات، حيث تترك آثاراً عميقة على الذاكرة الجماعية والهوية والشعور بالانتماء. ومن هنا، تبرز الثقافة بوصفها أحد أهم عناصر التعافي، إذ تسهم في إعادة بناء الإنسان بالتوازي مع إعادة إعمار المدن، وتوفر مساحة للتعبير عن التجارب الفردية والجماعية، وفهم ما خلّفته سنوات النزاع من تحولات.

تلعب الثقافة دوراً محورياً في ترميم الهوية الوطنية، خصوصاً في المجتمعات التي شهدت انقسامات عميقة. فمن خلال الأدب والموسيقى والمسرح والفنون البصرية، تُوثَّق التجارب الإنسانية، وتُروى قصص الناس بعيداً عن الأرقام والإحصاءات، بما يرسخ ذاكرة جماعية أكثر شمولاً، ويحول دون اختزال الحرب في بعدها العسكري فقط.

ولا يقتصر أثر الثقافة على الجانب المعنوي، بل يمتد إلى تحريك عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية. فإعادة افتتاح المؤسسات الثقافية، ودعم الفنانين والمبدعين، وتنظيم الفعاليات الفنية، تسهم في تنشيط الصناعات الإبداعية، واستقطاب الزوار، وتعزيز المشاركة المجتمعية، بما يجعل الثقافة جزءاً من عملية التعافي الشامل، لا نتيجة لها.

تجارب تاريخيّة ألهمت العالم

لم يكن التعافي الثقافي بعد الحروب حدثاً عابراً في تاريخ الشعوب، بل شكّل في كثير من الأحيان نقطة تحول أساسية في مسار إعادة بناء المجتمعات. فمن أوروبا إلى آسيا وأفريقيا، أثبتت تجارب عديدة أن الاستثمار في الثقافة لم يكن ترفاً مؤجلاً إلى ما بعد الاستقرار، وإنما جزءاً من عملية استعادة الحياة نفسها.

بعد الحرب العالمية الثانية، على سبيل المثال، شهدت دول أوروبية عدة حراكاً ثقافياً واسعاً رافق جهود إعادة الإعمار. ففي ألمانيا، لم تقتصر عملية النهوض على إعادة بناء المدن المدمرة، بل شملت إعادة إحياء المسارح والمتاحف ودور النشر، إلى جانب تشجيع الإنتاج الأدبي والفني بوصفه وسيلة لمراجعة الماضي، وفهم آثار الحرب، وترسيخ قيم الديمقراطية والسلام. أما في إيطاليا، فقد خرجت السينما بما عُرف بـ"الواقعية الجديدة"، وهي حركة فنية نقلت قصص الناس العاديين ومعاناتهم اليومية، لتصبح إحدى أهم المدارس السينمائية التي أثرت في العالم.

وفي اليابان، تحوّلت الفنون والآداب إلى مساحة للتأمل في تجربة الحرب وإعادة تعريف الهوية الوطنية. فالأدب والمسرح والسينما لم يكتفوا بتوثيق المأساة، بل ساهموا في بناء خطاب ثقافي جديد يقوم على قيم السلام والابتكار، بالتوازي مع النهضة الاقتصادية التي شهدتها البلاد.

وفي رواندا، بعد الإبادة الجماعية عام 1994، لعبت الفنون دوراً مهماً في دعم المصالحة المجتمعية وحفظ الذاكرة. فقد أسهم المسرح والفنون البصرية والمشروعات الثقافية في فتح مساحات للحوار، وتوثيق التجارب الإنسانية.

تكشف هذه التجارب، على اختلاف سياقاتها، عن قاسم مشترك يتمثل في أن التعافي لا يتحقق بإعادة تشييد الأبنية وحدها، بل بإعادة بناء الإنسان أيضاً. فالثقافة لا تعالج آثار الحرب بصورة مباشرة، لكنها تمنح المجتمعات أدوات لفهم ما جرى، وحفظ ذاكرتها، واستعادة قدرتها على الإبداع، وهي خطوات غالباً ما تمهد الطريق نحو سلام أكثر رسوخاً واستدامة.

الفنان التشكيلي سعد شيبان

لبنان وطن الحكاية والإبداع المتجدد

في لبنان، لا تنفصل الثقافة عن تاريخ البلاد الحديث، بل تكاد تكون إحدى أكثر الأدوات حضوراً في مواجهة الأزمات. فمنذ انتهاء الحرب الأهلية عام 1990، مروراً بالمحطات الأمنية والسياسية المتلاحقة، وصولاً إلى انفجار مرفأ بيروت عام 2020 وما تبعه من أزمات اقتصادية واجتماعية، حافظ القطاع الثقافي على حضوره، وإن بأشكال مختلفة فرضتها الظروف.

وخلال العقود الماضية، استعادت بيروت تدريجياً مكانتها بوصفها مركزاً للنشر والفنون والمسرح والسينما في المنطقة. فعادت دور النشر إلى إصدار الكتب، واستأنفت المسارح نشاطها، وافتُتحت معارض فنية جديدة، فيما واصلت المهرجانات الثقافية والفنية، رغم التحديات، أداء دورها في إبقاء الحياة الثقافية حاضرة. ولم يقتصر هذا الحراك على المؤسسات الكبرى، بل شمل أيضاً مبادرات مستقلة أطلقها فنانون وشباب وجمعيات ثقافية آمنت بأن الإبداع يمكن أن يكون وسيلة للصمود وحماية الهوية الثقافية.

واليوم، ومع دخول لبنان مرحلة جديدة بعد الحرب الأخيرة، تتجدّد الأسئلة حول الدور الذي يمكن أن تؤديه الثقافة في مرافقة التعافي. فهل ينجح الفن مرة أخرى في جمع الناس حول ذاكرة مشتركة، وإعادة بناء الجسور بين أفراد المجتمع، وفتح نوافذ للأمل؟

يجيب سعد شيبان عن هذه الأسئلة من رؤيته الفنية، ويقول: الثقافة كانت ضحية، لكنها لم تكن ضحية صامتة. فقد تعرضت المسارح، والمعارض، والمكتبات، والمراكز الثقافية لأضرار مباشرة وغير مباشرة، إلا أن الفنانين أنفسهم حملوا الثقافة إلى الشارع وإلى الملاجئ وإلى الفضاء الرقمي online، فأصبحت وسيلة مقاومة وصمود بقدر ما كانت متضررة. أما المشهد، فقد تغير بالفعل. أصبح أكثر حساسية تجاه الإنسان، وأكثر انشغالاً بالهوية والذاكرة والأسئلة الوجودية. بعد الحرب لم يعد الفنّ مجرد بحث عن الجمال، بل أصبح بحثاً عن المعنى وتحدياً بين الفنان وما حوله.

تضميد الذاكرة الجماعية

يمتد دور الثقافة إلى حدّ صون الذاكرة الجماعية وحماية ما تختزنه المجتمعات من تجارب وقصص وهويات. ويشير شيبان إلى أن في أوقات الأزمات وما بعدها، تتحول الأعمال الفنية والفعاليات الثقافية إلى مساحة تستعيد من خلالها المجتمعات سرديتها، وتوثّق ما عاشته بعيداً عن النسيان. ومن خلال اللوحة والمسرح والموسيقى والأدب، تُحفظ الذاكرة الجماعية بوصفها إرثاً حياً يربط الماضي بالحاضر، ويمنح الأجيال القادمة فهماً أعمق لهويتها وتاريخها. فالفنّ يحفظ الخوف، والحنين، والانتظار، والبسمة والدمعة، إنه يوثّق الفقدان والنزوح والجوع والأمل... قد ننسى عنوان خبر أو خطاباً سياسياً، لكن لوحةً أو أغنية أو قصيدة قد تبقى في الوجدان لعقود، لأنها تحفظ الجانب الإنساني الذي لا تستطيع الأرقام ولا البيانات أن تنقله.

الفنّ جسر للتعافي النفسي

تشير دراسات في علم النفس إلى أن ممارسة الفنون أو التفاعل معها، سواء من خلال الرسم أو الموسيقى أو المسرح أو الكتابة أو السينما، تساعد على تخفيف مستويات التوتر، وتحفّز التعبير عن المشاعر المكبوتة، وتمنح الأفراد مساحة آمنة لاستيعاب تجاربهم وإعادة ترتيبها. لذلك، تعتمد العديد من برامج الدعم النفسي في المناطق المتأثرة بالنزاعات أنشطة فنية موجهة للأطفال واليافعين والبالغين، باعتبارها وسيلة تعزز الشعور بالأمان، وتنمي القدرة على التكيف، وتدعم التعافي النفسي.

اذ يعتبر شيبان أن الفنّ ليس علاجاً طبياً، بل مساحة للتنفيس، وإعادة اكتشاف الذات، وخلق الحوار بين الناس. عندما يرسم الطفل ما عاشه، أو يعزف الموسيقى لألمه، أو يشاهد الإنسان عملاً فنياً يلامس تجربته، يشعر بأنه ليس وحده. وهذه المشاركة الوجدانية هي بداية التعافي. كما أن الفنون الجماعية تعيد بناء الثقة بين أفراد المجتمع، لأنها تجمع الناس حول الإبداع بدلاً من الانقسام كما يساعد على التعايش معها، ويمنح الإنسان القدرة على استعادة الأمل، وإعادة اكتشاف الجمال، واستئناف الحياة بخطى أكثر توازناً وثقة.

وعن سؤاله عن دور المعارض الفنية والفعاليات الثقافية في استعادة التوازن بعد الحرب يجيب: المعارض والمهرجانات ليست مجرد مناسبات فنية، بل هي إعلان بأن الحياة أقوى من الدمار. عندما تمتلئ الساحات بالموسيقى، وتُعرض اللوحات في المدن، ويجتمع الناس حول الفن، تعود الحركة الاقتصادية والاجتماعية، ويستعيد المكان روحه. الثقافة والفنون تمنح المدينة ذاكرة جديدة، وتحوّلها من مساحة نجت من الحرب إلى مساحة تصنع المستقبل. ولهذا فإن كل فعالية ثقافية فنية هي استثمار في الإنسان، وفي صورة لبنان، وفي الأمل الذي لا ينبغي أن ينطفئ. ■

* كاتبة وصحافية

المشاريع الأدبية المُجهَضة وأثرها

لندن: د. حسين رشيد الطائي*

في لحظات كثيرة من تاريخ الأدب، لا تكون القيمة فيما كُتب بالفعل، بل فيما ظلّ معلّقًا على عتبة الكتابة؛ في الفكرة التي أُعلنت ولم تُنجز، وفي المشروع الذي وُلد ثم انطفأ قبل أن يكتمل. هنا تحديدًا تتشكل منطقة رمادية بين الأدب بوصفه إنتاجًا مكتملًا، والأدب بوصفه طاقة تخييل لم تجد صورتها النهائية. إن (الأدب الذي لم يُكتب) ليس فراغًا بالمعنى السلبي، بل هو حضورٌ من نوع آخر؛ حضور الاحتمال، وحضور ما كان يمكن أن يكون نصًا لكنه ظل فكرة، أو مسودة، أو وعدًا مؤجلًا. ومن هذا المنظور يمكن النظر إلى)المشاريع الأدبية المجهضة) بوصفها جزءًا خفيًا من تاريخ الأدب، لا يقل تأثيرًا عن النصوص التي وصلت إلينا مكتملة.

في التجربة العربية، لا يظهر هذا النوع من (الأدب الغائب) بوصفه ظاهرة منظمة أو موثقة كما في بعض الآداب العالمية، لكنه يتبدّى في شذرات ومؤشرات متناثرة داخل سير الكتّاب ومشاريعهم غير المكتملة. فعلى سبيل المثال، نجد أن غسان كنفاني لم يقتصر أثره على ما أنجزه من روايات وقصص، بل امتد إلى نصوص ومسودات بقيت غير مكتملة، أبرزها روايته (برقوق نيسان) التي توقفت بفعل اغتياله عام 1972، فبقي النص شاهدًا على مشروع لم يُنجز، وعلى مسار سردي انقطع في لحظة حاسمة. إن أهمية هذا المثال لا تكمن فقط في كون الرواية غير مكتملة، بل في كونها تكشف كيف يمكن للعنف التاريخي أن يتحول إلى عامل إنتاج (أدب ناقص)، يظل مفتوحًا على احتمالات التأويل.

وإذا انتقلنا إلى تجربة محمود درويش، فإننا نجد شكلًا مختلفًا من (المشروع غير المكتمل). فالشاعر الذي أعاد صياغة القصيدة العربية الحديثة، ترك وراءه عند رحيله نصوصًا ومسودات لم تُنشر في صورتها النهائية، إضافة إلى مشاريع ديوان كان يعمل على ترتيبه وإعادة كتابته. هنا لا يكون الإجهاض نتيجة حدث خارجي مفاجئ فقط، بل أيضًا جزء من طبيعة الكتابة الشعرية نفسها، حيث يظل النص في حالة إعادة دائمة، وكأن الاكتمال نفسه فكرة مؤجلة باستمرار. وإن نشر بعض هذه النصوص بعد وفاته يطرح سؤالًا نقديًا مهمًا؛ هل يتحول النص غير المكتمل إلى نص آخر بمجرد خروجه من سلطة صاحبه؟

أما في تجربة نجيب محفوظ، فإن فكرة (المشروع غير المكتمل) تتخذ طابعًا مختلفًا، مرتبطًا بالتحول في الحياة والإبداع معًا. فبعد محاولة الاغتيال التي تعرض لها، لم يعد بإمكانه مواصلة مشاريعه الروائية بالطريقة ذاتها، فانتقل إلى كتابة (أحلام فترة النقاهة)، وهي نصوص قصيرة أشبه بالومضات الفكرية. ورغم أنها نُشرت كاملة، فإنها تحمل في جوهرها أثر (المشروع المتعثر) الذي لم يعد قادرًا على الاستمرار في شكله الروائي الطويل. وهنا لا يكون الإجهاض توقفًا مباشرًا، بل إعادة تشكيل للإبداع تحت ضغط الجسد والتاريخ.

وفي سياق آخر، يقدّم عبد الرحمن منيف مثالًا على (الرواية المؤجلة). فقد تحدث في لقاءات متعددة عن مشاريع روائية كان ينوي كتابتها بعد اكتمال مشروعه السردي الكبير، لكنه رحل قبل أن تتحقق. هذا النوع من المشاريع يطرح إشكالية مختلفة؛ فالأدب هنا لا يُجهض داخل الكتابة، بل قبل أن يبدأ فعليًا، في مرحلة النيّة والتخطيط. وهو ما يجعل (الغياب) أكثر تجريدًا، لأنه لا يترك نصًا حتى في صورته الناقصة.

لكن مفهوم (الأدب الذي لم يُكتب) في حقيقته يمتد إلى جذورٍ عميقة في التراث العربي القديم، حيث يتبدّى الإجهاض النصي لا كحالة فردية، بل كبنية ثقافية ملازمة لآليات الرواية والتدوين. ففي الشعر الجاهلي والأموي والعباسي، لم يصلنا إلا جزء محدود من المنجز الشعري، كما في حالة طَرَفَة بن العبد وعنترة بن شداد، حيث ضاعت أو تشظّت نصوص كثيرة بفعل الشفاهية. كما تعرضت دواوين شعراء كالفرزدق وجرير وأبي نواس لانتقاءات وجمع متأخر أفقدها اكتمالها الأصلي. أما في النقد العباسي، فيمثّل الجاحظ نموذجًا لمشروع موسوعي لم يكتمل كما خُطّط له. وهكذا يتضح أن التراث العربي نفسه يقوم على (نصوص ناقصة تاريخيًا)، تشكّل ذاكرة أدبية مبنية على الغياب بقدر ما هي مبنية على الحضور.

وإذا مددنا النظر خارج السياق العربي، نجد أن ظاهرة (الأدب غير المكتمل) أكثر وضوحًا وثراءً في الأدب العالمي، كما في تجربة فرانز كافكا، الذي أوصى بحرق أعماله بعد وفاته، لكن صديقه ماكس برود قام بنشرها، لتظهر روايات مثل (المحاكمة) و(القلعة) بوصفها نصوصًا غير مكتملة أو على الأقل غير منتهية بالشكل الذي أراده صاحبها. هنا تتعقد المسألة؛ هل النص غير المكتمل هو ما لم يُنْهَ كتابيًا، أم ما لم يُرِد صاحبه له أن يُنشر أصلًا؟

وفي تجربة نيكولاي غوغول، يبلغ الإجهاض الأدبي ذروته عندما أقدم على إحراق الجزء الثاني من (الأرواح الميتة)، في فعلٍ يجعل من (المحو) جزءًا من العملية الإبداعية نفسها.

أما تشارلز ديكنز، فقد توفي قبل إكمال (لغز إدوين درود)، تاركًا نصًا مفتوحًا على احتمالات متعددة لا نهائية، ما جعل القراء والنقاد يتحولون إلى شركاء في محاولة تخيّل النهاية.

إن هذه النماذج تكشف أن (المشروع الأدبي المجهض) ليس مجرد نقص في الإنجاز، بل هو شكل خاص من الوجود النصي. فالنص غير المكتمل يظل يعمل داخل الثقافة بوصفه سؤالًا مفتوحًا: ماذا كان يمكن أن يقول هذا العمل لو اكتمل؟ وكيف يؤثر غيابه في صورة الكاتب وفي تاريخ الأدب نفسه؟ بل إن بعض هذه المشاريع المجهضة قد يكون أكثر تأثيرًا من نصوص مكتملة، لأنها تفتح مساحة تخييل لدى القارئ لا يحدها شكل نهائي مغلق.

ومن زاوية نقدية، يمكن القول إن هذا النوع من الأدب يكشف عن تحول مهم في فهمنا لمفهوم (العمل الأدبي). فبدل أن يكون النص وحدة مغلقة، يصبح شبكة من الاحتمالات؛ ما كُتب، وما لم يُكتب، وما كان يمكن أن يُكتب. وهنا يصبح الغياب جزءًا من البنية الدلالية نفسها، لا مجرد نقص فيها. كما أن هذه الظاهرة تطرح سؤالًا حول سلطة النشر، وحدود تدخل الورثة والمحررين في تحويل المسودات إلى (أعمال منشورة).

في النهاية، يمكن القول إن (الأدب الذي لم يُكتب) ليس هامشًا على تاريخ الأدب، بل هو أحد طبقاته الخفية. إنه الأدب الذي يعيش في الظل، لكنه يؤثر في الضوء؛ الأدب الذي لا نقرأه، لكننا نشعر بأثره في صورة الكاتب، وفي طريقة استقبالنا لما كُتب بالفعل. وربما تكمن مفارقة هذا النوع من الأدب في أنه يظل حيًا لأنه لم يُغلق، وظل مفتوحًا على كل ما كان يمكن أن يكونه، دون أن يُحسم في شكل نهائي.

غير أن هذا (الحضور الغائب) للأدب المجهض لا يمكن فهمه فقط بوصفه حالة فردية مرتبطة بظروف الكتّاب، بل بوصفه أيضًا بنية ثقافية أعمق تكشف عن طبيعة الإبداع نفسه. فالكتابة، في جوهرها، ليست فعل إنجاز نهائي بقدر ما هي عملية لا تنتهي من المحاولة والتراجع وإعادة الصياغة. ولذلك فإن ما نراه (مجهضًا) من الخارج قد يكون، من الداخل، جزءًا طبيعيًا من دورة الإنتاج الأدبي التي لا تصل إلى اكتمال مطلق إلا في لحظة اعتباطية يفرضها النشر أو الموت أو النسيان.

ومن هذه الزاوية يمكن إعادة قراءة فكرة (المسودة) بوصفها ليست مرحلة انتقالية فحسب، بل شكلًا أدبيًا قائمًا بذاته. فالمسودة تحمل طاقة النص في حالتها الخام، غير المصقولة، لكنها في الوقت نفسه تكشف عن حركة التفكير الإبداعي في لحظة تشكّله الأولى. ولذلك فإن بعض الباحثين المعاصرين باتوا ينظرون إلى المخطوطات غير المكتملة باعتبارها مادة نقدية مستقلة، لأنها تتيح رؤية (المختبر الداخلي) للكاتب، بدل الاكتفاء بالنتيجة النهائية المصقولة.

وفي السياق ذاته، يمكن القول إن الأدب المجهض يعيد تعريف علاقة القارئ بالنص. فالقارئ في هذه الحالة لا يتعامل مع عمل مغلق، بل مع أثر مفتوح، يشاركه فيه الخيال أكثر مما يشاركه فيه النص نفسه. فعندما يقرأ القارئ رواية لم تكتمل مثل (لغز إدوين درود) لتشارلز ديكنز، أو يتأمل أعمالًا غير مكتملة لروبرت موزيل مثل (الرجل بلا صفات)، فإنه لا يتلقى نهاية جاهزة، بل يشارك في إنتاج النهاية الممكنة. وهذا التحول من التلقي إلى المشاركة يعيد تشكيل وظيفة القارئ داخل العملية الأدبية.

ومن ناحية أخرى، يثير الأدب غير المكتمل إشكالًا أخلاقيًا وجماليًا في آن واحد، يتعلق بحق الكاتب في عدم النشر. فبعض الكتّاب، مثل فرانز كافكا، عبّروا صراحة عن رغبتهم في تدمير أعمالهم غير المكتملة، لكن تدخل الآخرين حوّل هذه الأعمال إلى جزء من التراث الأدبي العالمي. وهنا يظهر سؤال جوهري: هل يظل النص ملكًا لصاحبه بعد موته، أم يتحول إلى ملكية ثقافية عامة؟ وهل يمكن اعتبار نشر ما لم يُرد الكاتب نشره نوعًا من (إكمال قسري) لمشروع لم يكن يريد له أن يكتمل أصلًا؟

كما أن فعل الإتلاف نفسه، كما في حالة نيكولاي غوغول الذي أحرق الجزء الثاني من (الأرواح الميتة)، يفتح بابًا آخر لفهم العلاقة بين الكاتب ونصه. فهنا لا يكون الإجهاض نتيجة ظرف خارجي، بل قرار داخلي جذري يعكس أزمة في تصور العمل ذاته. إن إحراق النص ليس فقط إنهاءً له، بل هو إعادة تعريف للكتابة بوصفها إمكانية قابلة للإلغاء.

وفي السياق العربي، يمكن النظر إلى التجارب المبعثرة لمشاريع بعض الكتّاب، مثل ما روي عن بعض أعمال عبد الرحمن منيف أو المسودات غير المنشورة المرتبطة بأسماء مختلفة، بوصفها جزءًا من أرشيف غير مرئي للأدب العربي. هذا الأرشيف لا يظهر في الكتب المنشورة، لكنه يعيش في شهادات الكتّاب، وفي الإشارات العابرة داخل الحوارات، وفي ما تبقى من أوراق شخصية. وهو أرشيف يعيد طرح سؤال مهم: كم من الأدب العربي ظل في منطقة الظل ولم يصل إلى القارئ؟

وإذا كان الأدب المكتمل يؤسس (تاريخًا معلنًا) للأدب، فإن الأدب المجهض يؤسس)تاريخًا موازيًا) غير مرئي. هذا التاريخ الموازي لا يمكن الإمساك به بسهولة، لأنه لا يتجسد في نصوص كاملة، بل في احتمالات متفرقة، وفي مشاريع لم تتحقق، وفي أسماء كتب لم تُكتب، وفي عناوين بقيت مجرد وعود. ومع ذلك، فإن هذا التاريخ غير المكتوب يؤثر في صورة الأدب بقدر ما تؤثر النصوص المنشورة، لأنه يشكل الخلفية الصامتة لكل ما وصل إلينا.

وفي ضوء ذلك، يمكن إعادة النظر في مفهوم (الاكتمال) نفسه. فهل الاكتمال هو إتمام النص من حيث الشكل والبنية؟ أم هو لحظة خارجية يفرضها النشر؟ أم أنه مجرد وهم نقدي نحتاجه لكي نؤطر النصوص داخل حدود قابلة للفهم؟ غير انّ الأدب المجهض يقوّض هذه الفكرة، لأنه يبيّن أن النص يمكن أن يكون (فاعلًا) حتى وهو غير مكتمل، وأن تأثيره قد لا يقل عن تأثير النصوص النهائية.

وفي المحصلة، فإن دراسة (الأدب الذي لم يُكتب) تكشف عن جانب خفي من التجربة الإنسانية في الإبداع، حيث لا يكون الغياب نقيضًا للحضور، بل امتداداً له. فالنصوص التي لم تكتمل، أو التي أُجهضت أو أُتلفت أو ظلت في طور التخطيط، ليست مجرد فراغات في تاريخ الأدب، بل هي علامات على أن الإبداع نفسه لا يسير في خط مستقيم نحو الاكتمال، بل يتحرك في شبكة من الإمكانات المفتوحة، بعضها يتحقق وبعضها يظل معلّقًا إلى الأبد.

وهكذا يصبح (الأدب الذي لم يُكتب) جزءًا من الذاكرة الخفية للأدب، تلك الذاكرة التي لا تحفظ ما قيل فقط، بل تحفظ أيضًا ما كان يمكن أن يُقال. ■

*أستاذ جامعي، باحث وأديب

سكِينة بنت الحسين...
سيّدة نساء عصرها وناقدة أدبيّة

لبنان ـ نسرين الرجب*

«آمنة» (47 ـ 117هـ) هو الاسم الحقيقيّ لسكينة (بفتح السين وكسر الكاف) بنت الإمام الحسين وحفيدة النبيّ من ابنته فاطمة (ع) وما اشتُهر من اسمها هو لقب يحمل معنى سكونها وهداوة طبعها وأنُسها وقد لقّبتها به أمّها: «لعلها لحظت أن نفوس آلها الأكرمين كانت تسكن إليها لفرط مرحها وإشراقها».

سكينة أبيها

يعود نسب والدتها الرباب إلى امرئ القيس بن عدي بن أوس الكندي ملك بني كلب، جمعت في دمها آثار النبوة من نسب أبيها الحسين وجلال الملوكيّة العربية من أمّها الرباب. وتذكر المصادر عن طفولتها أنّها كانت حلوة الملامح، ذكية النظرة آسرة اللافتات . وفي كتاب عن سيرتها للدكتورة الباحثة عائشة عبد الرحمن (صادر عن دار الهلال، ضمن سلسلة سيدات بيت النبوة) تذكر: " طفولتها كانت مرحة، ما يؤكد أنها كانت مبعث أنس لآلها الكرام، ولأبيها الحسين، فتنقل لنا عن الأصفهانيّ في مقاتل الطالبيين؛ عن حبّ الحسين للرباب زوجته والسكِينة ابنته في مقطع شعريّ:

لعمرك إنني لأحبّ دارًا
تحلّ بها سكِينة والرباب.
أحبّهما وأبذُل جلّ مالي
وليس بلائمي فيها عتاب.

وتتواتر الحكايات أنّه عندما أتى من يخطبها من أبيها الحسين على حياته قال عنها: «سكينة غالب عليها الاستغراق مع الله، فلا تصلح لرجل».

ويذكر أنّ لها أخٌ من أمّها هو عبدالله، وإخوةٌ من أمهات أخريات على رأسهم الإمام علي زين العابدين، علي الأكبر، علي الأصغر، جعفر؛ والذين استُشهدوا مع أبيهم الحسين في معركة كربلاء، ما عدا الإمام زين العابدين. ولها أخت واحدة هي فاطمة. وتقول: بنت الشاطئ «وقد عاش بنوه الأربعة وبناته فاطمة وسكينة حتى بلغت معركة كربلاء ذروتها الرهيبة».

شهدت سكينة مع آل البيت فاجعة الحسين بكربلاء، وتحملت آلام السبيّ مع أمّها وعمتّها زينب ونساء العترة الطيّبة.

الأرملة المقهورة

وعن حياتها الشخصيّة، تذكر المصادر بأنّ مصعب الزبير كان أوّل زوجٍ لها وذكر ابن خلكان أن مصعبٍ أول أزواجها «وكان مصعب هذا قد تزوج قبلها عائشة بنت طلحة بن عبيدالله، غادة قريش التي خلدها الشعراء».

كان مصعب على عداء مع السلطة الأمويّة، وقد استشهد في معركة مع أخيه عبدالله بن الزبير في ثورتهم على الحكم الأمويّ، وهو ما أعادها إلى شجن كربلاء وأورثها نقمة مضاعفة على الأمويين الذين تسببوا في يُتمها سابقًا ثم جعلوها أرملةً بمقتل مصعب. وقد أنجبت منه ابنة هي الرباب، وذكر لها البحاثة في سيرتها أكثر من زيجة بعد مصعب.

وقيل في الروايات المذكورة عن سيرتها: أنّ الأصبغ بن عبد العزيز المرواني كان حاكمًا على مصر، عندما خطبها من أخيها الإمام علي زين العابدين، وفي طريقها إلى مصر، سمعت عنه أنه رجلٌ دميم الخُلق وظالم، فقالت: «والله لا يكون زوجًا لي!» فما إن وصلت حتى عرفت أن الأصبغ قد مات قبل أن تراه ويراها.

كانت سكينة تُجالس الشعراء والأجلّة من قريش، من دون أن تتنازل عن شرفها الرفيع، أو تخلّ بموضعها من بيت النبوّة.

كان المجتمع الحجازيّ في مكة والمدينة في العصر الأموي قد فسد وانحل نتيجة سياسات الأمويين الذين عزلوا الأشراف من الحجازيين عن الملك والشؤون السياسية، كانت حياة ملوكهم حياة عبث ولهو، وكانت هناك حركات معارضة سياسيّة جاهدت سياسة الظلم والإقصاء السياسي (وإن لم تبلغ مرامها)، على ما ذكره طه حسين في «حديث الأربعاء» . ومن هذه الحركات ثورة عبدالله ابن الزبير والتي كادت أن تبتلع الدولة الأموية والعنصر الأموي بالاستناد إلى قول العلايلي في كتابه «أشعة من حياة الحسين».

وقد مثّل شعر عمر بن أبي ربيعة هذا الجو والعصر الماجن، ويقال أن عمر بن أبي ربيعة قد تغنى بها هو وكثير من الشعراء والمغنّين..

ومما تذكره بنت الشاطئ: «ولم يكن شعره بسكينة إذا صح أنه قيل، ليس فيه فحش».

ويقال أنّه كان لها نديمًا يُدعى أشعب: «وكان أشعب يخدمها وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره».

في فصل عملت فيه بنت الشاطئ على إنصاف السيدة سكينة وتنقية ما علق في سيرتها من شوائب الروايات التي وضعّها المُغرضون، والتي جعلت من مجالس سكينة مجالس طرب وغناء؛ وتتساءل:

«هل كان مروان بن الحكم، يسمع أم البنين تندب أعمام سكينة، فيبكي لها، وسكينة تبكي بدموع ذوارف على الخدين والجلباب، لفراق عمر ابن أبي ربيعة، وتصغيّ إلى شدو المغنين؟!»

وهل كانت سكينة تصمّ أذنيها عن هتاف التوابين، وترغم ابن سريج على الغناء في دارها مع عزة الميلاء! وتفتنه عن توبته عن الغناء؟! (وقد ذكرت بنت الشاطئ هذه رواية، ابن سريج مع أشعب والسيدة سكينة، المغرضة بتفصيل يستعصي على التصديق على من هي من سلالة بيت النبوّة).

سيّدة نساء عصرها

ومما تنقله بنت الشاطئ أنّ السيدة سكينة كانت بادية الاعتزاز بنسبها العالي وشرفها الرفيع، وكان خصومها وخصوم آلها يقرّون لها بهذا الاعتزاز ويرونها أهلًا لأن تباهي به من تباهى فتُسكته.

وتذكر أنّها كانت تعتز بجمالها وتعده من نعم الله عليها، وأنها عُرفت بأناقتها المشهورة، وطرّتها السكينيّة المبتدعة، ممّا يؤكّد أنّها امرأة محبّة للحياة تجيد الفصل بين ما تُظهره من جمال وظرافة وشجاعة وما تكنّه في قلبها وتبثّه في شكواها لله عابدة وزاهدة، «مستغرقة مع الله» كما قال عنها الحسين (ع).

وتتحدث عن شجاعتها، وقدرتها على ضبط النفس، والسيطرة على وجدانها، ولعلّ في ما عرفناه من حياتها ما يشير إلى ذلك وهي صاحبة أوّل مجلسٍ أدبيّ في زمانها.

ناقدة وأديبة

تتفرغ بنت الشاطئ في فصل من كتابها الحديث عن سَكينة الأديبة الناقدة، وهو الدور الحقيقي لها في المجتمع، وتذكر مجموعة أبيات قيل أنّها لها وقد رثت بها أبيها الحسين (ع) في قصيدة، نذكر منها:

إنّ الحسين غداة الطفّ يرشقه
ريب المنون فما أن يخطىء الحدقة.
بكفّ شرّ عباد الله كلهم
نسل البغايا، وجيش المرقة الفسقة.

إلى أن تقول :
«يا عين فاحتفلي طوال الحياة دما
لا تبكِ ولدا ولا أهلا ولا رفقة».

وهي أبيات منقولة عن كتاب أمالي الزجاج.

وعن دورها النقديّ؛ كانت سيطرتها الأدبيّة ترجع في الحقيقة إلى علو كعبها في فن القول، وحساسيتها المرهفة في ذوق الشعر وإدراكها البصير لمواطن التأثير ودوافع القول وأسرار البلاغة والبيان.

وتذكر بنت الشاطئ، نصًا قالت أنه كان السبب الذي قلّدها منصب الناقدة الأدبيّة في عصرها: حيث أنشدت قول الحارث بن خالد المخزومي، في وصف النساء في الحج: ففرغن من سبع وقد جهدت أحشاؤهن موائل الخمر.

فعلّقت سكينة ساخرة ومستنكرة مبالغة التشبيه: «قبحه الله لو طافت الجمال سبعًا لجهدت أحشاؤهن» في إشارة إلى أن التعب الذي أصاب النساء في الطواف طبيعي ولا يستدعي هذا الوصف، بل إن الإبل لو طافت مثلهن لتعبت أيضًا.. فهي كانت مُنتَبِهة ومتَنبّهة ورهيفة الحسّ .

وتنقل لنا كيف أن الشعراء كانوا يجتمعون في ضيافتها من وراء حجاب فتقعد لهم فتراهم ولا يرونها، وتسمع كلامهم. وتأمر وصيفة لها تروي لهم أخبار الشعر والحديث، تسألهم عبرها وتنقل لهم حكمها وردّها. ولها مع كبار الشعراء مواقف وأحكام تذكر منهم جرير،الفروق، نصيب، جميل بن معمر، وهي أخبار جاءت في كتاب الأغاني، وكانت معروفة برجاحة عقلها، وبصيرتها الواعية بالشعر، فكانت تثني وتجزي وكانت تقبّح وتردع من لا تجده أهلا للقول. وكانت دالة الشعراء إذا اختلفوا، دقيقة في التفاتاتها النقديّة، ولم تكن تخشى خاطرًا تنكر ضعف الشاعر وسوء أدبه في مواقع من شعره، صريحة القول جريئة الحكم، وتفيد أنّه عقدت لها إمامة الشعر في عصرها، واشتدت في رقابتها الأدبية على الشعراء، فمضت تكشف عن مواضع المؤاخذة، وتهدي إلى أسرار التعبير.

في مقالة بحثية (صادرة عن مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية):

«من مظاهر تأنيث المكان وذكوريته، نجد مجلس السيدة سكينة... إذ أنشأت مجلسا أنثويًا قائمًا على أنقاض مجالس ذكورية، وكانت في مجلسها تحكم بين أفذاذ الشعراء... فهي بذلك ثارت على النظم الاجتماعية التي كانت تقيّد المرأة ، وهي بتأنيثها المكان الذكوري جعلت من نفسها منافسة لجهابذة عصرها من الشعراء.

ومن الملاحظات التي ذكرت عن منهجها النقدي، أن معظم الأحكام كانت تدور حول الأغراض الغزلية، وكان نقدها ناتج عن تفاعل نفسيّ مع الأبيات، وقياس معيار الصدق في الأحاسيس المبثوثة لذا مرّ معنا أنها كثيرا ما كانت تقول للشاعر الذي تحكّم آلياته (صدقت، أو كذبت..) وتعلّل حكمها بالاستشهاد والشرح.

وفي مقال (لـ بهيجة باقر الحسني، بعنوان: الأديبة الناقدة السيدة سكينة بنت الحسين، صادر عن كلية الآداب في جامعة بغداد 1980) تقول: هي من عائلة خصّت بخمس: بصياحة، وفصاحة، وسماحة، ورجاحة، وحظوة، فلا غرابة أن تعقد لها إمامة النقد في عصرها، وأن يحتكم إليها الشعراء والرواة، تؤهلها شاعرية فذة، وثقافة واسعة، وألمعية فياضة، وذوق رفيع، وحس مرهف، ووجدان صادق، وقلب واسع، ولسان فصيح، وخلق هاشمي.

بين طيبة ومقامها في مصر

عاشت السيدة سكينة حتى الثمانين من عمرها، وذكرت بنت الشاطئ أنها دفنت في طيبة مدينة جدها الرسول. وقد أشار لهذا الخبر المؤرخون منهم ابن خلكان في الوفيات، وابن العماد في الشذرات، وصاحب الأغاني فصل في الخبر كما جاء في كتاب بنت الشاطئ . في عهد خالد بن عبد الملك وتذكر رواية مثيرة عن كيف بات جثمانها الطاهر يوما وليلة قبل أن يوارى الثرى بأمر من خالد بن عبد الملك الذي كان عاملًا على المدينة في عهد هشام بن عبد الملك بن مروان، حتى أمر أخوها علي زين العابدين بأعواد طيب أوقدت حول سريرها. ليصلى عليها صبح اليوم التالي. سنة 1175 .

وفي مصادر أخرى عن مقامها المعروف في مصر، أنّها بعد خبر وفاة الأصبغ الزوج الذي لم تره ولم يرها، بقيت لأشهر هناك ورجعت بعدها إلى المدينة المنورة، وانتقلت بعدها إلى دارها التي ورثتها عنه في مصر حيث بقيت بها إلى أن وافاها الأجل. ثم أصبحت هذه الدار مشهدًا ومسجدًا بجانب مقام السيدة نفيسة.

وبين طيبة ومصر، مسافةٌ من الحبّ والإجلال الذي حمله (ولا يزال) التاريخ عبر الزمن لسيّدة لها مقامها المحمود في بيت النبوّة، ولها مقالها المشهود في كتُب النقد والمرويات الأدبيّة. ■

* كاتبة وصحافية

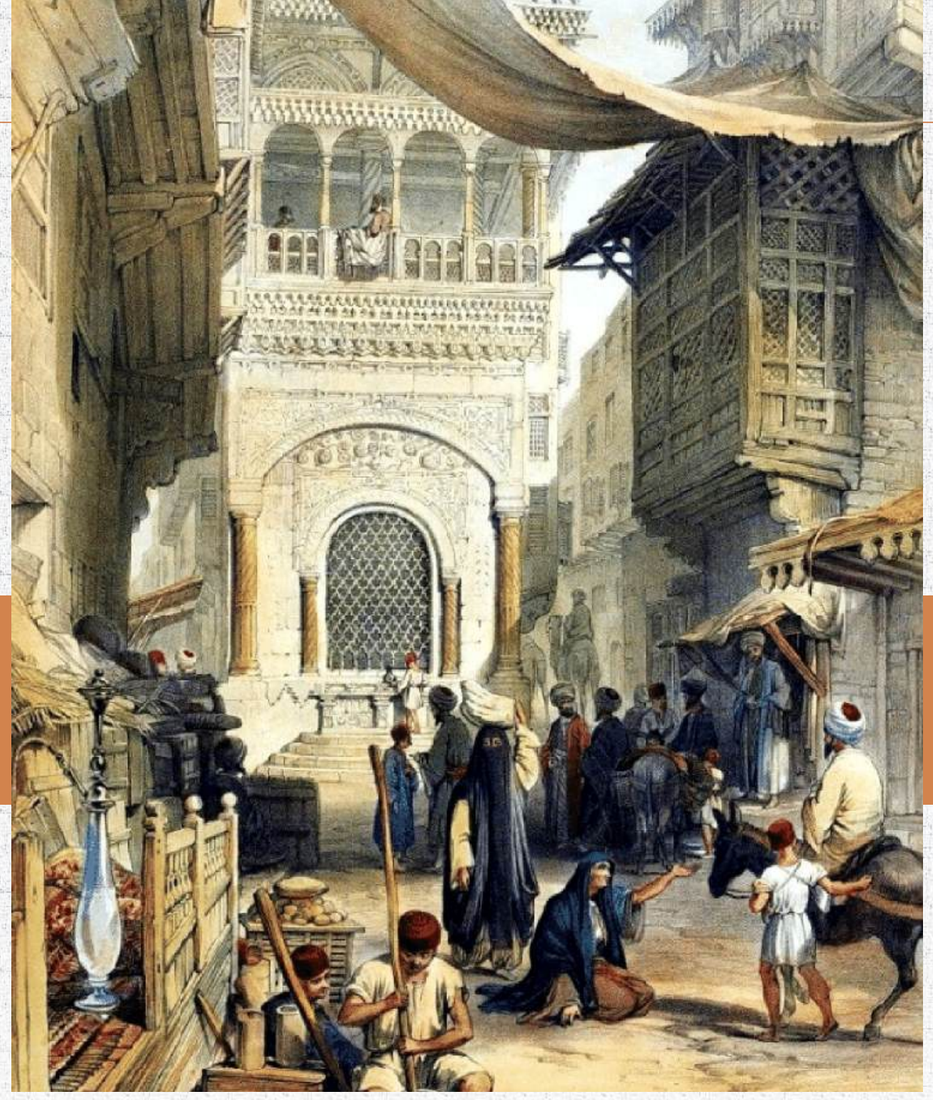

صورة فتاة صبية ذات ملامح ارستقراطية تذكر بجيل من فنانات الغرب في بدايات القرن العشرين

رينيه الديك: خمس على الغياب...ثمانون على الولادة

بيروت ـ عبيدو باشا*

إنها من جليلات المسرح في الجمهورية اللبنانية، تمتعت بقدر واسع من التميز والأستاذية في مجالاتها، غير أنها لم تجزم ذلك ولا في مجال، لأنها بقيت تقدم نفسها على ما هي عليه، لا من خلال ما يقدمه الأصحاب والأصدقاء والنقاد من معلومات ثرية، مشفوعة بالتحليل والتفسير للتفاعل العظيم للمسرحيين والجمهور مع سيدة تقدمت وحيدة ثم ، اندفعت وحيدة إلى وادي النوم بعقيدة لا تتغير، بعقيدة لم تتغير. وجود حضاري، رؤية حضارية. وجود ورؤية منذ البدايات، بعيدة من الاتفاقات الجاهزة. رينيه الديك تواجه واحدتها بالقفز إلى العالم المجهول. وحين بقي مجهولاً عليها ، لم تتغلغل في أي نسيج يحميها، لأنها بقيت متسامحة ، تستبدل البشر بالقطط والخرائط بالاحترام، احترام الذات.

لم تسعى إلى معرفة ما يقوله الآخرون، حتى حين دمروا الجسور بينهم وبينها، لا حياة، لا الفاظ تتعلق بالحياة اليومية. كأنها صقلية، حين لم ترد أن تتعثر بالبقاء في الدواوين الريفية. لا بقاء في الجبال / المثال على الأوزان البعيدة. الوزن في بيروت .

هذه عملتها، شأنها شأن والدها من لم ترقه الإقامة في جبال لبنان، لا في غلوها ولا في مسكها. وضع البيت تحت تصرف الأم الشرسة. ثم، هج إلى بيروت حيث المفردات وقواعد الصوت الأخرى . ما تقوله في المدينة، غير ما تقوله في القرية. أول التحولات في مدرسة المسرح الحديث، مع منير أبو دبس، محترف مهرجانات بعلبك الدولية في بيروت. أول المحترفات في جمهورية لم تصغ بشكل علمي مسرحها، حتى جاءها دارس الفنون التشكيلية من باريس مع رجال البعثة من الجمهورية الفرنسية، حتى ترفع تلفزيون لبنان في العاصمة، أول التلفزيونات العربية، على الرغم من بعض الكلام على ريادة التلفزيون المصري. أو العراقي بالدرجات الأقل.

لا سبب على وجه الأرض يدعو إلى الإعتقاد ان نجمة الستينيات في المسرح والسينما والتلفزيون، سوف تغوص في قرار جديد قوامه العذاب. لن يخطر على بالها إنها ستقع في الإحتمالات. أبرزها مجهول، لم يخصص لها دفتر يوميات خاص إلا بعد خروجه من كلماته المتشابهة والعابه وأدواته، حيث تقبيل الأيدي تراث . التراث بالصور الواضحة . لم تستجدي احداً حين وجدت نفسها في مركز الإيواء. آخر المساحات مركز الإيواء. أو المصحة ، بعد أن استبد بها الفقر. الفقر قصرها. كما استبدت بها الوحدة، بعد أن حصلت الدخول في حواري المسرح على حصان أبيض.

إنها في القرن العشرين، لكنها إذ ذهبت بعيداً في حدسها الأبيض كحصانها الأبيض، بقيت كالجزيرة، مغلوبة لا خاضعة. لم تهمها المظاهر لا الثانوية ولا الوسطى ولا الحيوية . رينيه الديك لا تضاهيها وظيفة ولا فتح ولا طريق يقود إلى تمثال أصالة. ذلك أنها رفضت كل العناصر الخصبة المكونة وجود النجم على ما هو متفق عليه عند الجميع .مرابطة على جسدها، مرابطة على التسامح، السعي الحثيث نحو الإحتوائية ووحدة العقائد. لم تتغنى لا بحادثة ولا بشخصية ولا بوجود . خارج الخلافات المثيرة، ما يستقي منه المبدعون نقاط الإنطلاق الإضافية وأشكال المصنعات الفنية. لا شيء من هذه الأحيان، لا شيء من عقائد الخصومة. الأصل أصل، الفصل فصل. انتصار على التعصب، انتصار على الإضطهاد من سيدة لم تعرف الصوفية حين لم تتحدث بها كمصدر مزعوم، بعد أن وجدت في بعض تجلياتها. تهيئة القدر باليد، لا بترجمة الوجود في حلقات الحروب وحروب الاسترداد. لا تردد، بعض قصص الغرام الرومانسية، مسرحيات دارت بين الأدب والثقافة. هذه سيدة مسرح تتقدم على شكل قصة، لا تتقدم في التزييف، لا تتقدم في النصوص المحفوظة. توسع من دون زعم، توسع من دون تحيات وصفية متكلفة منها ومن جمهورها. لا ذوق منمق، سوف يبقى وجودها وجود لا علاقة له بابن حزم في " طوق الحمامة. ذوق الحمامة لا طوق الحمامة. روائع الوجود في مسرحيات لا يؤلفها إلا ملوك المسرح في بلاد اليونان. قصائد أجمل من الشعر الغنائي . رينيه الديك حالة، لا مادة . حالة واضحة، لا حالة باروكية تقوم بدورها بالكثير من الحوادث بتفاصيل لا تتردد في اعلاء الذات على التفاصيل والتفاصيل.

لكن الحياة، لا ما تراه العيون وسط الأجمات، في الاقوال المؤثرة قاطعة الفرضيات بالبراهين المتسرعة. الحياة، ما يفوت الحياة، تعاقب الحياة في الحياة، على طرقات لا تعرف كيف تكبح أميالها. ظن العكس ، تجوال في الأوزان المقطعية. لم تضحي رينيه الديك مجهولة إلا بعد أن أكدت أن لا معراج لها سوى معراجها. لمحت إلى هذه النقطة طويلاً. وكلما فعلت إنتشرت فيها الوحدة بعيداً من انتشار الشرق بالغرب والغرب بالشرق. ثم، لم تلبث المدينة أن أوقعتها في مصادر تشوشها. المدن تشوش على من يعدون أنفسهم في الأجزاء الأولى من حيواتهم. هكذا، تصرفت الديك بكافة السبل اللائقة، حين تمرغ آخرون من دون حياء في أهدافهم.

لن تفاضل بين بوشكين وشكسبير، تقرأ شعر الأول كما تقرأ شعر الآخر، لأنها أرادت أن تتكلم بكل شيء، أن تعمل بكل شيء، بحيث لا تلعن يوماً يطرح فيه موضوع للعمل. أو النقاش. تفهم وتتدرب مع منير أبو دبس. البدايات مع صاحب المنهج المخفي، منهج ستانسلافسكي.

استمر أبو دبس يدرب على المخرج والمنظر السوفياتي من دون أن يفصح عن ما يقدمه من منغومات مسرحية، حتى اكتشف ريمون جبارة وانطوان ملتقى أن أبا دبس يجأر بصفحات مؤلف إعداد الممثل وكأنه يتفوق في مجاله بمجال من اعتبر دوماً متفوقاً في هذا المجال . لم تجد الديك مدربها مقلداً.

لم تهتم بالأمر، لأن ما عناها في تلك المرحلة في تاريخ المسرح أن تدخل في روح مؤسس المدرسة المسرحية البيداغوجية. قامت بأدوار رئيسية، لأنها إذ وجدت في عرض استدعاها العرض الآخر من دخولها في التعليم من مرونتين، مرونة جسدية ومرونة صوتية . تستدعى كما يستدعي مشاهد عروض الأوبرا مقصورة، حتى يضبط الإنضباط الأدائي، عذوبة الصوت في قوته ، وضوحه ، جماله خلقت السيدة أدوارها من خلال منهج اعتبره الأخرون منهجهم السيء من خلال عدم الاعتراف بمن انتحله. مراحل، مراحل، مراحل. مراحل تغنيها في مؤلف آكاذيب الحقيقة.

هؤلاء من فناني وفنانات مرحلة الستينيات من القرن العشرين، من يصنفون في القسم الأول من الفنانين. نظامهم جزء من عروضهم. نظامهم رؤاهم الجديدة من خلال التراكم والخبرة، ما يزودون أنفسهم بها لكي يشيرون إلى أنفسهم على وجه الخصوص كممثلين وممثلات يقفون على ذاكرة الإنفعالات، على ذاكرة الحواس ، في تشابك مفيد. لا يفون إنفسهم إلا إذا تدربوا على أن يغرقوا في أهداف المنهاج السوفياتي . رينيه

الديك صاحبة مقالة في مشاهدها الأولى ذات الدقائق ومشاهدها الأخيرة ذات الساعات. غير أن تراجيدياها تراجيديا بداياتها ونهاياتها. شجرة كرز تثمر. وحين تثمر تفعل ما تفعله التقاليد. سقوط الكرز من سحره إلى اختلاله الطبيعي، حين يضحي في سلال الآخرين وفي أدوارهم الحية .مقدمة. ما تستدعيه النصوص بعد المقدمات. لا يعود الكرز كرز شعراء اليابان القديمة، الهايكو، يعود الكرز إلى أصوله. كرز الفلاحين، قوة محركة في النظام الغذائي .

تحت أشجار الكرز يتحول الغرباء أصدقاء. في الشعر الياباني. اضحى الغرباء اصدقاء في مدرسة منير أبو دبس. بعدها، انفرط عقد الكرز، حيث لم يعد أحد يبحث عن المشاعر تحت شجرة الكرز، حيث أضحوا أوهام بعضهم، تعليمات قديمة لا وجود الواحد في سيكولوجيا الآخر. وجدت الديك في كل المراحل بعد أن غادر الرفاق والرفيقات إلى أشيائهم الحقيقية على ما رأوها بعيداً من منهج ذي قيمة حوله أبو دبس إلى منهج بلا قيمة. تقنع به من دون أن برفع القناع مرة واحدة. نوع من الإختلالات. اختلالات نظرية لا عقلية. لن يقدر أخد على علاج نفسه بعد.

لن يقدر على علاج الآخر إلا بالمغادرة. مغادرة الخديعة، ميدان الخديعة. مخرج لم يحتج إلى طبيب لا براندي بعد ولا كونياك في هذا الكوخ. كوخ يتحول إلى كاتدرائية حين ترفع كؤوس البراندي والكونياك على شرف المسرح. المسرح وحده. جسورة بالخروج من حفن اليد، يدها، إلى أحلامها الأوسع مع أبي دبس وغيره من مخرجين راحوا يتكاثرون من وضعهم أنفسهم مواضع الحياة، لا مواضع الموت، بعد أن اضحت الظروف معطاءة، بعد أن أضحت الظروف ذات وضعيات تدفع إلى ايقاظ الشخصيات الإخراجية من مواقع الفضائل إلى مواقع الأجوبة الجديدة . إله المادة ، إله النقد . توسلته حتى توفر لذاتها حاجاتها بعد مواسمها الوفيرة في الحياة المسرحية. إذاك وجدت رينيه الديك كخائفة لا كمحبة. تخاف أكثر مما تحب. لا مديح تعبدي. لا مهرجانات احتفالية. نجم تطور تطوراً هائلاً. ما عاد الإخراج جرحاً، ولا وجعاً من أوجاع التعاريق. قفز من العلاج بالمسرح إلى المهنة المسرحية. رينيه الديك واحدة من من قفزوا من الرغبات إلى التحققات، بعد مرحلة ظهور المسرح كأنه مشهد لا يرى إلا من الخارج. حقق هؤلاء مسرحهم الثقافي بعد مئة عام على تخلي مارون النقاش عن مسرحه المحمي من الولاة العثمانيين والقناصل الأوروبيين. حداثة المسرح في الجمهورية اللبنانية ، إثر تحققات مسرحية من كانوا لم يستطيعوا العيش من دون تصريف طاقاتهم على الحاجات والرغبات والنوازع، من شامل ومرعي إلى محمد كريم. وآخرون وقفوا على المصاطب بعد أن اختاروا مخططاتهم الأولى. بدائيون يعبرون من العروض القبلية إلى العروض الهاوية، حيث لا توجيه. لا شيء سوى مرور الوقت وولادة بعض ما يقود القراءات إلى قراءة الاختلاط بالمسرح من خلال التوسل إلى الآلهة. التعبير يتعرف من خلاله مسرحيو المصاطب على أنفسهم، حين يتعرف مجتمع على نفسه من خلال المسرح والمسرحيين. مضى من مضى منهم بعينين مغمضتين وبفؤاد مفتوح على الصفاء قطرة قطرة، حتى آخر قطرة.

رينيه الديك، على الطريق وحيدة. ثم، مع جماعة. ثم ، مجموعة. ثم، في حركات كحركات الصيد بعد حركات البذار، حركات الجني بعد القتال. المسرح في معناه الإجتماعي. المسرح في المعنى الثقافي. المسرحي منبع المسرح، الجمهور منبع المسرح، وجدت الديك في المرحلتين، تزود نفسها باشياء لا يمكن العيش من دونها. المسرح والتلفزيون. إذ أنها ما أن أصبحت عنصراً لا يمتلك القدرة على المساهمة في الأعمال الرئيسية في المسرح قفزت من المسرح إلى التلفزيون، إله المرحلة الجديدة . إله المادة ، إله النقد . توسلته حتى توفر لذاتها حاجاتها بعد مواسمها الوفيرة في الحياة المسرحية. إذاك وجدت رينيه الديك كخائفة لا كمحبة. تخاف أكثر مما تحب. لا مديح تعبدي. لا مهرجانات احتفالية. نجم تطور تطوراً هائلاً. ثم، سقط من الجماعة إلى المنزل، في مجتمع أصبح يعيش على الصيد. عودة إلى الفهم بالإشارة، بالتنكر البيئي، بالحركة، بالصوت.

ذاكرة مملوّة بالانسجام لا التمايل على المنصات، مذ وجدت في «الذباب» لجان بول سارتر، باخراج أبي دبس نفسه. واحدة من مسرحيات تقع بين التخطيطات والارتجالات. استعارة بلاغية في حقبة تاريخية لم تتوقف عن البحث عن حقائقها. لم تدخل الديك في الطقوس الجديدة، بعد أن وجدت في هذه الطقوس طقوس الرزق وحده. لا تزود، لا مطر، لا سحريات التهدئة الروحية ولا الاسترضاء الجسدي. الإزميل، بعد الذباب. مسرحيتان من الأعمال الرئيسية في تجربة المسرح اللبناني في أدوار حق الله في المسرح وحق القيم في شخصيات لا تنتهي في مناظر. ظروف لا تخفق من اتصالها بالحياة بخصوصيات الوضعيات الشخصية، العاطفية ثم، التعليمية. ثم، الفعلية.

مذ وجدت رينيه الديك في هبوب المسرح وجدت بدون انتهاء، اذ تغلغل المسرح في مسامها حتى وجد جاثماً عليها بثقل هائل. وحين ادركت جبن الزمن، وجدت نفسها معرضة إلى مضايقات الحنين، حنين يجلله الشعور بالخذلان، حين لم يعد الوجود مهمة يسيرة أمام أشجار الكرز. لا شجر. إذن، لا كرز. إذن، لا ارتفاع شجر على أرضية كأنها فارقت الحياة، مذ ماعاد الشعر يروي أشجار الكرز في القصائد وخارجها . لمَّ الظلام العالم فجأة.

قادت الصفتان الأخيرتان السيدة ذات قَصّة الوجه الكلاسيكية، قصة تقفَ فوق عنق من الكمال، إلى رحلة من المضايقات والأمزجة ذات النعرات الفتاكة. إذ أن المسرحيين في زمن مشورات الشك، لم يروا إلا كعظاءات عجيبة تدور على حواف أرواحها. لا مجموعات من الفدائيين. واجهت رينيه الديك واحدة من لحظاتها بجعل الرأس خالياً ، لكي تلعب دور السيدة في «الخادمتان» لجان جينيه. ■

*كاتب ومسرحي

النص الكامل على موقعنا الإلكتروني

ماهو الدرس الذي تلقاه من الدكتور طه حسين ؟

عبد الوهاب...

أسطوره صنعتها الموهبه ام شكلتها الدراسة والمثابره؟

لندن: أمين الغفاري*

في عالم الفن تكون الموهبه هي الاصل، وهي محور الاهتمام ولفت النظر، والتنبه الى الشئ اللافت والكامن في الشخصية، خصوصا ان كانت تشير الى اذن موسيقيه اوالى صوت رخيم يشد الآذان ويملأ الوجدان . ولكن ان كانت الموهبه،مجرد هبه من السماء،ولا تجد نصيبا من الرعاية اللازمه ،والعناية التي تمثل الحاضنه التي تنمو في كنفها،كما لا تجد كذلك الظرف الذي يدفع بها الى الأمام فمن الصعوبه ان تجد طريقا للأنطلاق، وينطبق ذلك بلا جدال على الدراسه ومعها ايضا المثابره والأجتهاد، ان لم تتوفر لهما القاعده التي يمكن البناء عليها ، وهي (الموهبه) فهو جهد ان بذل ،وظهر، بلا تلك المنحه الالهيه وهي الموهبه فان النجاح (ان حدث) يكون محدودا وموقوتا ،فالموهبه بالنسبة لكل حرفه هي الروح التي تشع وتبهر، وتنثر الضياء على كل عمل يتحقق ويثمر انجازا.

الموهبه وحدها دون صقل ورعاية، هي ظاهره بلا مستقبل وبالتالي دون، امتداد بل انها في الغالب قد تضمر،وتتهاوي حتى تندثر.انها كالنبات تمثل جذرا يكون في حاجة الى رعاية ،حين يتم زرعه لكي ينمو ويمتد وتنضج ثماره وتمتلىء بها العيون ،ويشبع بها الوجدان . وان لم يتوفر لها ذلك المناخ فربما تجد نفسها خارج الخدمة على حين غرة.لكن على الجانب الآخر، ان لم تجد الموهبه طريقا لكي تروي بانتظام وتنهل من الماء الذي يكسبها الحياة، فلا امل في الاستمرار، واستكمال دورة النضاره وبالتالي، الحياة والازدهار.

مازلت اذكر حديث مطربة الاوبرا المصريه (فاطمه سعيد) في حديثها مع الدكتوره (دريه شرف الدين) حين حدثتها عن مراحل نجاحها فقالت (انها لم تكن تعرف ان صوتها له تميز الا حين استدعاها المشرف عن جانب الهوايات في المدرسة الألمانيه في القاهره، وقال لها انه يتابع مشاركتها في فريق (الكورال) ويرى ان لها صوتا يصلح للأوبرا،واصطحبها الى (مدام رطل) لكي تقوم بتدريبها، ورعاية صوتها ،ولكي تنطلق بعدها (فاطمه سعيد) لتكمل دراستها في فن الاوبرا في جامعه المانيه،وتقول (فاطمه سعيد ان الموهبه لا تشكل سوى واحد في المائه، من العمل المتواصل، لكي ينضج الصوت ويتلاءم تماما مع فن الاوبرا.

يذكر ان مدام رطل استاذه في معهد الكونسرفتوار بالقاهره، وقد اشرفت من قبل على اعداد المطربه (عفاف راضي) كمطربة اوبرا قبل ان تتحول على يد (بليغ حمدي) الى مطربه تغنى العربيه وكانت اولى اغنياتها (ردوا السلام).لذلك لم تستمر كمطربة اوبرا، وقل انتاجها كمطربه في عالم الطرب.

عبد الوهاب وتكوينه الفني

بدايات عبد الوهاب كانت تقليديه، فقد نشأ في اسرة متوسطة الحال،وقد ولد باسم محمد عبد الوهاب محمد عيسى يوم 13 مارس 1902 في حارة (برجوان) في حي باب الشعرية بالقاهرة، وكان والده يعمل مؤذنا وقارئا للقرآن في مسجد (سيدي الشعراني) في الحي نفسه، وترجع أصول الأسرة من قبل إلى مدينة «أبو كبير» في محافظة الشرقية. حفظ محمد عبدالوهاب عدة اجزاء من القرآن الكريم وكانت بداياته الفنيه في اداء الموشحات الدينيه، التي كان يسمعها من المقرئين في المسجد،وقد تركت نشأته الدينيه اثرا كبيرا في نفسه ،ولذلك كان يستنكر فيما بعد ،حين لمع اسمه بعض التعبيرات التي يتداولها اهل الفن مثل (أنا خلقت هذا العمل) فيقول «لا انا ابتكرت هذا العمل، فلا يوجد سوى خالق واحد هوالله سبحانه وتعالي» كما كان لا يحب قول جائني (الهام) بذلك اللحن،ويقول جائني (خاطر بذلك اللحن). كان لدية حساسية شديده، من اي مصطلحات، تقترب من الايحاءات الدينيه. ولعه بالغناء جعله يهمل انتظامه في المدارس وواجباته االدراسيه، وتعلق الى حد التطرف بهواية الغناء وفن الطرب، وشغف بالاستماع إلى شيوخ الغناء كالشيخ سلامة حجازي، وعبد الحي حلمي، وصالح عبد الحي، وكان يذهب إلى الموالد والأفراح التي يغني فيها هؤلاء، وقفت اسرته ضده في البداية، ولكن بعد هربه الى الاسكندريه، وغنائه في سيرك ،ذهب خلفه شقيقه الشيخ حسن عبدالوهاب (والد المطرب سعد عبدالوهاب)، وعاد معه الى القاهره، وحتى يوفروا الأمان للأبن،وعدم القلق للأسره ،سمحوا له بمزاولة فن الغناء والطرب على مقربة منهم في القاهره.عمل عبدالوهاب مع فرقة الشيخ فوزي الجزايرلي، وكان يردد اغاني الشيخ سلامه حجازي بين الفقرات،وكذلك مع فرقة عبدالرحمن رشدي حيث التقي من خلالها بفرصة عمره،ونقطة التحول في حياته.التقى امير الشعراء الشاعر احمد شوقي.

اللقاء مع احمد شوقي

حين خرج محمد عبدالوهاب الى المسرح،وغنى،فأطرب احمد شوقي، ولكن راعه امرين جمال الصوت ،وصغر السن، وتغلبت شفقته على طربه،فاتصل في صباح اليوم التالي بحكمدار العاصمه القاهره وكان انجليزيا وقال له في بلادكم تحنون على الطفولة، ولكن في المستعمرات لا تولونا ذلك اهميه، والا كيف يسهر طفل طوال الليل يغنى في مسرح، وكيف يعود الى بيته، ومن يهتم به؟. ذلك سيئ ولا يحتمل انسانيا.اصدر الحكمدار امره بأن لا يغني عبدالوهاب، وبالتأكيد كانت فرصة اعدها القدر، لكي يلتحق عبدالوهاب بعد ان تفرغ،بالمعهد الشرقي للموسيقى العربيه،الذي تطور بعد ذلك واحتضنته الحكومه وأصبح (معهد الموسيقى العربيه).

وكان معهدا قام بانشائه مجموعة من باشوات ذلك الزمان لعشقهم للموسيقى والطرب، وتعلم عبدالوهاب فن العزف على العود من الشيخ (محمد القصبجي) الملحن المعروف. ثم التحق بمعهد ايطالي، وكان معلمه يجيد اللغة العربيه، وتعلم منه الاهتمام بالبروفات ،الى حد الهوس .وحين تخطى مرحلة الصبا واصبح على ابواب الشباب التقى مرة ثانيه في حفل في سان ستيفانو بالاسكنريه بالشاعر احمد شوقي، وحاول ان يهرب منه، نظرا للتجربه الماضيه، ولكن شوقي طمأنه وقال له لقد اشفقت عليك وانت مازلت صغيرا، ولكن الآن انت شاب موهوب وواعد بأن ترتقي بفن الغناء.

ومن خلال معرفته بالشاعر الكبير،تعرف على صفوة القوم من رجال الفكر والفلسفة والادب الرفيع، كما تعرف على الموسيقى العالميه مقطوعات بيتهوفن وشوبان وموزارت، وغيرهم من اعلام الموسيقي في العالم، مما اثرى موهبته وفتح افاقا امام اجتهاداته.

مواقف مثلت دروسا في حياة عبدالوهاب

أولا: اراد عبدالوهاب ان يهدي الشاعر احمد شوقي هديه، عرفانا منه بالشكر والتقدير لما وجده منه من رعاية واهتمام بموهبته، فأعد مقطوعه موسيقيه، على رتم موسيقي كان احمد شوقي يعشقه، لكي يفاجئه بها،وخاطبه قائلا «اسمع يا باشا هذه المقطوعه التي اعددتها خصيصا لكي اهديها لك» واسمعه اياها عزفا على العود، فقابلها احمد شوقي بوجوم وغضب،وقال له (ما هذا الذي قمت به يا محمد ؟ وتلعثم عبد الوهاب في الرد قائلا «يا باشا اعلم انك تحب هذه النغمه ولذلك قمت بعمل جديد للنغمه لكي اسعدك بها» ورد احمد شوقي بما يشبه الدرس لعبدالوهاب قائلا له «يا محمد انا اذني قديمه، ونحن جميعا في هذا البلد أذننا قديمه، ونريد منك ان تجددها، لا ان تكررها»، ثم قال له بما يشبه الوصية «لا تنظر خلفك يا محمد ابدا، وانظر دائما الى الأمام . جدد ولا تكرر ابدا وانت قادر على ذلك». وكان هذا الدرس الذي استوعبه عبدالوهاب طيلة مشوار حياته الموسيقيه.وظل على الدوام يبحث عن الجديد

ثانيا: ارتبط عبدالوهاب بالغناء في عدة حفلات في لبنان 1927 وذهب الى هناك، ورافقه في تلك الرحله استاذه (احمد شوقي) وحدث انه فوجئ وهو في مدينة (عاليه) لأقامة احدى الحفلات، في اوتيل (شاهين) بخبر نشرته (جريدة المقطم) وهو وفاة (والد المطرب محمد عبدالوهاب) وحزن لذلك الخبر حزنا شديدا، واسر لأستاذه احمد شوقي بذلك وقال له (أنا لا استطيع الغناء) ووافقه استاذه على ذلك،وتم اخطار المتعهد بالغاء الحفل وصحبه احمد شوقي من اجل التسرية عنه الى زيارة (الدكتور طه حسين)وكان بالصدفة يصطاف في نفس المدينه.وكان الدكتور طه من جانبه تواقا لمعرفة عبدالوهاب،نظرا لما يتداول عنه انه يجدد في الموسيقى ،وبعد ان رحب بهما الدكتور طه، توجه الى عبدالوهاب بالحديث (سنسمعك الليلة يا محمد) فأجاب احمد شوقي (للاسف لا يا دكتور،فقد توفي والده،وقد انهار بالبكاء حزنا على والده،ولذلك اعتذرعن عدم الغناء في الحفل واخطرنا المتعهد بالغائه)، وهنا جاء رد الدكتور حازما ومتسائلا «وهل الغناء كله فرح يا محمد؟ احزن كما شئت ولكن غن واجعلنا جميعا نحزن معك. وبدلا ان تعبر عن المك بالدموع، عبر عنه بفنك». ونال هذا الرد تجاوبا كبيرا لدي عبدالوهاب،ولدي امير الشعراء احمد شوقي وقام عبدالوهاب بالأتصال بالمتعهد ان يعيد الاعلان عن الحفل،وانه سيقام في موعده دون الغاء. وقام امير الشعراء بكتابة قصيدة رثاء لوالد عبدالوهاب، وقام عبدالوهاب بتلحينها على وجه السرعه ليغنيها في الحفل وتقول كلمات القصيده : الليل بدموعه جانى

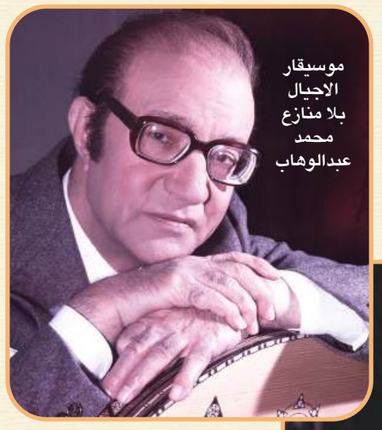

موسيقار الاجيال بلا منازع محمد عبدالوهاب

د. طه حسين... نصائحه نافذه ونابعه من فكر مستنير

يا حمام نوّح ويايه
نوّح واشرح أشجاني
دا جواك من جنس جوايه
الشوق هاجك من نوحك
وشكيت الوجد معايه
أبكي بالدمع لنواحك
وتنوّح يا حمام لبكايه
بعد الأحباب لوّعنا
والصبر دواك ودوايه
مسير الأيام تجمعنا
إن كان في الصبر بقايه
إن لقيت عندي من حبي
سلطان العشق هوايه
أنا خدت الدمع في قلبي
وأكتم في القلب أسايا

ويصف طه حسين هذا الحفل،الذي غنى فيه عبدالوهاب عدة قصائد بقوله (في تلك الليلة لم تكن دموع عبدالوهاب هي فقط التي تحس بفداحة المصاب،لكن دموع الجمهور كانت تساهم كذلك في العزاء).

ثالثا: أذيعت انشودة (الجندول) لأول مره عام 1941 وقد قدم عبدالوهاب في تلك الانشودة لحنا سيمفونياً طربياً. مزج فيه بين المقامات الشرقية الأصيلة والقوالب الموسيقية الغربية الكلاسيكية.

وحين استمع صاحب المقام الرفيع النحاس باشا الى تلك الانشوده اتصل تيفونيا بعبدالوهاب معاتبا وقائلاً «ايه محمد اللي انت عامله ده؟ انت طالع تتكلم يا محمد؟ احنا عايزينك تغنى يامحمد مش تطلع تتكلم وهنا امسكت بالتليفون صاحبة العصمه زينب هانم الوكيل قرينة النحاس باشا وقالت «لا يا محمد لا تسمع كلام الباشا انه يمزح معك فقط وهو استمتع بالأنشوده». يقول عبدالوهاب «ادركت ان الهانم تجاملني وتخفف من وقع كلمات الباشا التي صدمتني، ثم واجهت نفسي بتلك الحقيقه، اننى اقوم بعملية تطوير للموسيقى، وبالطبع لأننى اقدم شيئا جديدا غير مألوف، فلابد ان اتوقع التحفظ، حتى يتم هضم اللحن من خلال تكرار اذاعته، حتى يألفه الجمهور.

*كاتب وصحافي مصري

النص كاملاً منشوراً على موقع «الحصاد»

منتخب اسبانيا على منصة التتويج

موضوع الغلاف

إسدال الستار على مونديال 2026 وسط أجواء جدلية... وإنفانتينو امام فوهة المدفع

إسبانيا تنتصر لكرة القدم

لندن: هاني عبيد*

أسدل الستار على كأس العالم 2026 بتتويج مستحق للمنتخب الإسباني على حساب نظيره الارجنتيني بهدف وحيد، لكن النسخة الموسعة غير المسبوقة في حجمها واتساعها وعوائدها، بمشاركة 48 منتخباً في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، إنتهت وسط أجواء جدلية حول التحكيم ودور التكنولوجيا العكسي وتدخل السياسية في الرياضة، بعدما بدأت في ظل ظروف مربكة بسبب الحرب في الشرق الأوسط بين الولايات المتحدة وإيران.

بعد 104 مباريات على مدى 39 يوما تابعها 6.8 ملايين شخص في ملاعب الدول الثلاثة المستضيفه، يرى السويسري جياني إنفانتينو رئيس الإتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) صواب فكرته في توسيع رقعة المنافسة بفتح الباب لمزيد من المنتخبات التي وضعت بصمة في أكبر مسرح كروي في العالم. لمن بالتأكيد كان هذا التوسع مناسبا لطموحات الفيفا التجارية حيث بلغت إيراداته نحو 15 مليار دولار، بزيادة تقارب أربعة مليارات عن تقديراته الأولية السابقة البالغة 11 مليار دولار وبزيادة تقترب من 10 مليارات دولار عن نسخة قطر 2022 التي نظمت بمشاركة 32 منتخباً.

بين المنافسة والاغراءات المالية

العوائد المالية الكبيرة أغرت إنفانتينو ومؤسسته بالتفكير في زيادة عدد الفرق المشاركة في نسخة 2030 المقررة في إسبانيا والبرتغال والمغرب الى 64 منتخبا، مع منح 3 دول أخرى فرصة لإستضافة مباراة واحدة.

فعندما يحل موعد البطولة المقبلة ستكون هناك مناسبة للإحتفال بمرور 100 عام على انطلاق أول نسخة من كأس العالم في الأوروغواي عام 1930، لذا يريد الفيفا إقامة مباراة واحدة في كل من الأرجنتين (بوينس آيرس)، والباراغواي (أسونسيون)، والأوروغواي (مونتفيديو).

وينظر إلى زيادة 16 منتخبا إضافيا على أنها فكرة شبه مستحيلة من الناحية اللوجستية، حيث أن بطولة تضم 64 فريقا ستحتاج إلى إقامة 128 مباراة، أي بزيادة 24 مباراة عن النسخة المنتهية من أيام، وضعف عدد مباريات نسخة قطر 2022.

لقد اعتبر الاتحاد الدولي ان توسيع المشاركة في المونديال الأميركي كانت ضرورية من الناحية الأخلاقية لمنح فرصة لعدد أكبر لمنتخبات دول ظلمت جراء استحواذ أوروبا على النسبة الأكبر من حصص المقاعد بالنهائيات.

ومن المنتخبات المغمورة التي ظهرت للمرة الأولى بالمونديال، برز أرخبيل كاب فيردي (الرأس الأخضر) بتعادله سلبا مع إسبانيا افتتاحا، ثم إجباره الأرجنتين على خوض شوطين إضافيين لتخطيه في دور الـ32 المعتمد للمرة الأولى. كما انتزعت كوراساو التي يبلغ عدد سكانها 185 ألف نسمة، تعادلا سلبيا مع

ميسي يودّع المونديال باكياً

الإكوادور.

وتستند الحجة الرئيسية لإنفانتينو في زيادة جديدة لعدد المشاركين بالمونديال المقبل الى منح مقعدين لمنطقة أوقيانوسيا بدلا من مقعد، ورفع عدد مقاعد أفريقيا إلى 13 بدلا من 9، وآسيا إلى 12 بدلا من 8 ، كما قد يفتح ذلك الباب أمام إيطاليا للعودة إلى كأس العالم بعد غيابها عن آخر ثلاث نسخ متتالية.

وقال إنفانتينو : «إذا لم تمنح الفرصة للدول الصغيرة للمشاركة في كأس العالم، فلن يكون لديها الدافع الكافي للاستمرار في التطور».

لكن معظم الإتحادات الاوروبية تعارض أي توسع جديد وترى إنه سيجلب الكثير من الفوضى على المسابقة العالمية ويقلل من أهميتها.

إنفانتينو تحت ضغط التدخلات السياسية

ما شهدته كأس العالم من تدخلات سياسية وقرارات جدلية تحكيمية وشكوك من جدوى إستحداث تقنيات تكنولوجية جديدة، تضع إنفانتينو تحت الضغط وهو الذامح في ولاية جديدة لرئاسة الفيفا بعد 10 سنوات في المنصب.

ولعبت الظروف السياسية دورها في البطولة، خصوصا في ملف مشاركة إيران بعد الحرب التي شنتها الولايات المتحدة عليها، إذ لم يسبق لدولة مضيفة لكأس العالم أن كانت في حالة نزاع مفتوح مع دولة مشاركة.

وبدلا من إقامة معسكره في توكسون بولاية أريزونا، انتقل المنتخب الايراني في اللحظة الأخيرة إلى مدينة تيخوانا الحدودية في المكسيك. كما رفضت الولايات المتحدة منح تأشيرات دخول لنحو اثني عشر عضوا من الجهاز الإداري، من بينهم رئيس الاتحاد الإيراني مهدي تاج، العضو السابق في الحرس الثوري الذي تصنفه واشنطن منظمة إرهابية.

وانتقدت إيران أيضا ظروف الاستقبال على الأراضي الأميركية، حيث خاضت مبارياتها الثلاث، محتجة خصوصا على السماح لبعثتها بالوصول قبل يوم واحد فقط من مباراتيها الأوليين.

وأكد أمير قلعة نويي مدرب أيران على ان فريقه هو الأكثر تعرضا للاضطهاد في كأس العالم.

ولم تتوقف الأزمات على إيران إذ لم يتمكن العاجيون والسنغاليون من مرافقة منتخبيهما، بسبب عدم تمكنهم من الحصول على تأشيرات دخول، في ظل سياسة الهجرة المتشددة جدا التي فرضها الرئيس الاميركي دونالد ترامب. ومن الغريب أن إنفانتينو ومؤسسته التي تدير اللعبة بقيا صامتين أمام ترحيل الحكم الصومالي عمر عرتن ومنعه من الدخول للأراضي الاميركي رغم حيازته تأشيرة نظامية. كما مُنع لاعب منتخب غانا توماس بارتي من الحصول على تأشيرة دخول إلى كندا بسبب إرتباط إسمه بتهم اغتصاب أمام محكمة في بريطانيا.

أما أكثر القضايا إثارة للجدل فتعلقت بالولايات المتحدة

المنتخب المغربي نجح في الوصول لربع النهائي

«

المضيفة، بعدما تدخل ترامب شخصيا لدى إنفانتينو، لتأجيل تنفيذ عقوبة الإيقاف لمباراة واحدة بحق المهاجم الأميركي فولارين بالوغون قبل مواجهة بلجيكا في الأدوار الإقصائية. وأدّت هذه القضية غير المسبوقة إلى توجيه أنتقادات حادة لإنفانتينو لدرجة المطالبة بفتح تحقيق معه بانتهاك قواعد الحياد السياسي. ولم تقتصر الضغوط على شكوى منظمة «فير سكوير» الحقوقية، إذ طلب الاتحاد النرويجي لكرة القدم من لجنة الأخلاقيات في «فيفا» النظر في الاتهامات الموجهة إلى إنفانتينو، كما وجّه 50 عضواً في البرلمان الأوروبي رسالة إلى اللجنة نفسها دعوا فيها إلى التعامل بجدية مع الشكوى والتحقيق في ملابساتها، في خطوة تعكس اتساع دائرة الجدل حول القضية خارج الأوساط الكروية.

ودعا الأمين العام لمجلس أوروبا، آلان بيرسيه، (فيفا) إلى العمل على حماية كرة القدم من الضغوط السياسية والمالية. وقال الأمين العام: «تم تعليق عقوبة خلال البطولة بعدما اتصل رئيس دولة برئيس فيفا»، معربا عن أسفه لأن «النفوذ السياسي بات يمتد حتى إلى أرضية الملعب وبان هناك تشكيك في سلطة الحكام».

ويحظر الفيفا التدخل السياسي في كرة القدم، ويتم إيقاف الدول بانتظام عن المشاركة في كرة القدم الدولية بسبب تدخل حكوماتها في اتحاداتها الوطنية. على سبيل المثال، تم إيقاف باكستان ثلاث مرات خلال ثماني سنوات...فهل تختلف القواعد في حالة إنفانتينو وترامب؟

كان هناك شعور بأن قرعة كأس العالم، التي مُنح خلالها ترامب جائزة الفيفا للسلام في دورتها الأولى، وكأنها تتويجٌ لعامين من توطيد إنفانتينو لعلاقته الوثيقة مع الرئيس الأميركي. وقال إنفانتينو لترامب أثناء تقديمه الجائزة: "سيادة الرئيس، يمكنك دائمًا الاعتماد على دعمي ودعم مجتمع كرة القدم بأكمله لمساعدتك في تحقيق السلام وازدهار العالم أجمع". ويرى النقاد أن قرب إنفانتينو من ترامب تجاوز في كثير من الأحيان المجاملات الدبلوماسية المعتادة بين رئيس لاتحاد دولي ورئيس دولة مضيفة.

ولم يسلم إنفانتينو أيضاً من إتهامات بالانحياز التحكيمي لمنتخب الأرجنتين ونجمه الأسطوري ميسي . وما تردد عن نظريات المؤامرة لم يأت من فراغ، بل عقب بعض القرارات التحكيمية المثيرة للجدل التي صبَّت في صالح المنتخب الارجنتيني وقائده ميسي بالتحديد أمام الجزائر بدور المجموعات ومصر بدور الستة عشر وسويسرا في ربع النهائي ثم أمام إنجلترا بنصف النهائي .

إسبانيا تنتصر لكرة القدم

أمام الاحتجاجات المتكررة من الإنحياز التحكيمي للأرجنتين، وجد كثيرون أن فوز إسبانيا في النهائي هو إنتصار لكرة القدم، خاصة بعد سيطرتها التامة على اللقاء وصبرها على خشونة المنافس، التي تجلت بمعارك وضرب بعد صافرة النهاية.

وعبرت الأرقام عن إستحقاق تام لإسبانيا في اللقب، فخلال ال90 دقيقة الأولى من اللقاء شن منتخبها 20 هجمة مباشرة على مرمى الارجنتين، بينما عجز المنافس بقيادة ميسي عن تسديد أي كرة حتى الدقيقة 117 بمحاوله من الأخير علت العارضه.

ولم تتوقف الأرقام الصادمة لمنتخب التانغو عند غياب التسديدات بل أنهى الفريق الوقت الأصلي للمباراة بأقل نسبة استحواذ في تاريخ مشاركاته بالمونديال منذ عام 1966 بنسبة 34% فقط ، في سابقة سلبية فريده لفريق يصل إلى النهائي منذ بدء جمع البيانات في عام .1966

لقد خسرت الأرجنتين لقبها، كما أن المشاهد التي أعقبت صافرة النهاية جعلت الكثيرين يشعرون بأنها قد فقدت كرامتها أيضًا.

لقد تعرض الارجنتيني إنزو فرنانديز للطرد بعد تلقيه بطاقة أنذار ثانية لتدخل عنيف على الإسباني باو كومبارسي قبل نهاية الوقت الأصلي للمباراة. وبعد صافرة النهاية، تهجم الأرجنيتي ليساندرو باريديس على كل من إيرك غارسيا وجافي، ووجه لهما لكمات على مرأى من الحكم المساعد، كما شوهد زميله ناهويل مولينا وهو يوجه لكمة لأحد لاعبي إسبانيا المارين.

لقد تعاطفت جماهير الكثير من المنتخبات التي شاركت بالبطولة وغيرها من الدول التي تتابع المنافسات عبر التلفاز مع الفريق الإسباني، لذا كان للتتويج صدى دولي وعالمي.

التزمت إسبانيا بهويتها النابعة من مهراة الإستحوا واللعب الجماعي، ولم يكن المدرب لويس دي لا فوينتي بحاجة إلى اختراعات جديدة كي يقودها إلى لقبها العالمي الثاني. كان عليه فقط أن يمنح مشروعا قديما الوقت الكافي كي ينضج، وأن يثق في لاعبين يعرفهم منذ سنوات، وأن يحافظ على خيط يصل المنتخب الأول بما سبقه من منتخبات الفئات السنية.

وعندما رفع المدرب الإسباني كأس العالم في ملعب "ميتلايف" بنيويورك، لم يكن المشهد تتويجا لمسيرة بدأت مع المنتخب الأول في ديسمبر 2022 فحسب، بل لحظة حصاد لمسار طويل داخل كرة القدم الإسبانية، مع منتخبات الشباب، قبل أن يضيف دوري الأمم الأوروبية عام 2023، وكأس أوروبا 2024، ثم كأس العالم 2026.

ربما تكمن إحدى نقاط قوة دي لا فوينتي الأقل ظهورا في أنه لم يصل إلى المنتخب الأول من خارج النظام. لقد كان جزءا من البنية التي أنتجت الجيل الحالي، وعمل لسنوات في المنتخبات السنية الإسبانية، حيث تعرف على اللاعبين في مراحل مبكرة من تطورهم.

كريستيانو رونالدو

حسام حسن حقق إمجازا تاريخيا مع منتخب مصر

من مباراة المنتخب الإنكليزي مع الأرجنتين

لامين جمال

المغرب ومصر ينقذان الكرة العربية

شارك في المونديال الأميركي الشمالي 8 منتخبات عربية (4 من اسيا ومثلها من افريقيا) وهو عدد غير مسبوق في ظل البطولة الموسعة، لكن النتائج جاءت مخيبة من معظم الفرق بإستثناء المغرب ومصر.

وأكد المغرب مجدداً أنه يستطيع مقارعة الكبار مستندا الى نتيجة تاريخية حصدها في نسخة «قطر 2022»، عندما أصبح أول منتخب أفريقي وعربي يبلغ نصف النهائي. ونجح «أسود الأطلس» في الوصول الى ربع النهائي حيث توقفت رحلتهم أمام منتخب فرنسا القوى (صفر - 2) واستهل منتخب المغرب المونديال بالتعادل مع البرازيل (1 - 1)، قبل الفوز على أسكتلندا 1 0 -، وهايتي المتواضعة 4 - 2. وواجهوا امتحاناً جدياً أمام هولندا في دور الـ32، عندما تأخروا بهدف حتى الوقت بدل الضائع قبل اقتناص التعادل، ثم ابتسمت لهم ركلات الترجيح ليرتقوا إلى ثمن النهائي. وأمام كندا، إحدى الدول الثلاث المضيفة، نجح المغرب في دك شباك خصمه بثلاثية نظيفة في الثاني. لكن الواقعية فرضت نفسها أمام منتخب فرنسا القوي في ربع النهائي حيث لم تفلح المغرب في الصمود لتهز شباكها بهدفين وتودع بشكل مشرف.

أما منتخب مصر فقد كان مفاجأة العرب وربما البطولة، فقد بدأ المشوار بتعادل مع بلجيكا 1 - 1 وكان هو المتقدم والأجدر بالفوز، ثم انتصر على نيوزيلندا 3 - 1، قبل ان يختتم دور المجموعات بمباراة صاخبة مع إيران انتهت بالتعادل 1 - 1 ليجتاز لاعبو المدرب حسام حسن مشوار دور المجموعات من دون خسارة لأول مرة. لم يكتف «الفراعنة» بالتأهل، بل تخطوا أستراليا بركلات الترجيح في الدور الثاني، ثم كانت مواجهة العملاق الأرجنتيني حامل اللقب في دور الستة عشر، حيث كادت مصر تفجر واحدة من أضخم المفاجآت بتقدمها بهدفين نظيفين حتى الدقيقة الـ79، قبل ان ليونيل ميسي ورفاقه النتيجه 3 – 2 وسط أحداث جدلية مثيرة شهدت تدخل حكام الفيديو لإلغاء هدف ثالث لمصر والتغاضي عن خذأ كاد يكلف الارجنتين ركلة جزاء. واعتلت مباراة مصر والأرجنتين قائمة المباريات الأكثر مشاهدة في البطولة باستقطابها 192 مليوناً و100 ألف «مشاهد»، وتأهلت الجزائر للدور الثاني (ضمن أفضل منتخبات حصدت المركز الثالث بالمجموعات) بعد تعادل مثير مع النمسا 3 - 3، ثم خسارة أمام الأرجنتين 0 - 3، و فوز على الأردن 2 - 1. لكن مشوارهم توقف أمام سويسرا 0 - 2.

وأظهرت النتائج تفوّق عرب أفريقيا، مقابل خروج قطر والأردن والعراق والسعودية مبكراً إضافة إلى تونس. ووحدها تونس خرجت عن تألق عرب أفريقيا وجميع منتخبات القارة السمراء، وبنتائج صادمة، فاستمرت عقدتها مع عدم تخطي الدور الأول. لأول مرة في تاريخ المونديال، أقيل مدرب بعد المباراة الأولى؛ إذ دفع صبري لموشي ثمن سقوط نسور قرطاج افتتاحاً أمام السويد 1 - 5 واستُدعي الفرنسي رينارد على عجل، لكن الفريق التونسي بدا منهاراً، فخسر أمام اليابان 4 - 0، ثم هولندا 1 - 3 بعدما فقد الأمل. وعلى غرار تونس، كان مشوار العراق مخيباً، فخسر افتتاحاً أمام النرويج 1 - 4، ثم فرنسا 0 - 3، قبل أن يتعرض وهو منقوص لصفعة ختامية أمام السنغال 0 - 5. أمام قطر فبعد نقطة تاريخية حصدتها افتتاحاً أمام سويسرا، انهارت أمام كندا 0 - 6، ثم بخسارة جديدة 1 - 3 أمام البوسنة.

بدوره حصد المنتخب السعودي نقطتين أمام أوروغواي (1 - 1)، وكاب فيردي (الرأس الأخضر) (0 - 0)، لكنه تكبد خسارة مؤلمة أمام إسبانيا 0 - 4 ليودع مبكرا. ولم يحصد المنتخب الأردني أي نقطة في مشاركته الأولى، بخسارته أمام النمسا 1 - 3، والجزائر 1 - 2، ثم أمام الأرجنتين 1 - 3. ■

* صحافي وناقد رياضي

كأس العالم... نسيج إنساني

لويس دي لا فوينتي مدرب المنتخب الإسباني

المنتخب الإسباني يحتفي بتسجيله هدف الفوز في المنتخب الأرجنتيني

بيروت: محمد المشنوق*

عندما يأتي كأس العالم كل أربع سنوات، يكون أكثر من مجرد مجموعة من مباريات كرة القدم. إنه عرض كبير، ومهرجان من الثقافات والألوان والتآلف الذي يتخطى الحدود. يوفر كأس العالم فرصة فريدة للناس من كل ركن من أركان العالم للاتحاد تحت سقف واحد أو في ملعب، في هذه الحالة، للاحتفال باللعبة الجميلة. لكن، هل تساءلت يومًا ماذا يحدث في الكواليس؟ أو كيف يتصرف المشجعون قبل وبعد المباريات؟ لنستعرض هذا مع بعض المرح!

ساحة التنوع

تخيل دخولك إلى ملعب كأس العالم حيث يمكنك الجلوس بجانب مشجعين يرتدون أزياء ملونة، يلوحون بالأعلام بألوان لا تعد ولا تحصى، ويصرخون بلغات لم تسمع بها من قبل. ربما تتقاسم المقعد مع مشجع برازيلي يحمل روح السامبا في أسلوبه في الرقص، بينما بجانبه مشجع هولندي يرتدي القبعة الشهيرة ذات اللون البرتقالي، وهو يحاول إقناعك بأن الكعك الهولندي أفضل من التاكو المكسيكي.

ومن ثم، هناك الرياضيون المراهقون الذين يحاولون استعراض مهاراتهم في مراوغة الكرة باستخدام أحذيتهم الأنيقة، مرسلين الكرة إلى خلفياتهم المذهلة، ولكنهم في النهاية ينتهي بهم الأمر بالتعثر والسقوط. أتساءل، هل هي مهارة أم مجرد حظ؟ هل تذكر أول مرة حاولت فيها مراوغة الكرة أمام أصدقائك؟ فالأمر كان أفضل بكثير في ذهنك مما كان عليه في الواقع!

الطعام هو جزء أساسي آخر من هذا المهرجان. «الطعام هنا متنوع كما هو حال المشجعين!» قد يصرخ شخص ما، ليس لأن البطاطا المقلية التي يأكلها مصنوعة من جبنة مغطاة بالذهب، ولكن بسبب الروائح اللذيذة التي تنتشر في الهواء والتي تحتوي على نكهات دجاج جيرك، وبابيلا، وكيمتشي. هل تستطيع تخيل زائر من بلدان أخرى يقوم بتجربة القهوة التركية، ويصر على أنها مشابهة تمامًا لشراب النعناع الذي جربه في منزله؟ أحيانًا، قد يؤدي التفاعل الثقافي إلى سلسلة من اللحظات الفكاهية.

لا تنسى الفرق في العادات! ففي بعض البلدان، يُعتبر الضرب على الطاولة علامة على الحماس. لكن، في بلدان أخرى، قد تتلقى نظرات غير مريحة إذا قمت بتصرف مماثل!

إذا كنت تعتقد أن الجغرافيا مملة، حاول شرح بوتقة الثقافات الموجودة في كأس العالم لشخص لم يجرب ذلك. إنه شبه مستحيل. الكلمات مثل "تبادل ثقافي" لا تعبر عن ذلك، بل إنها انفجار ثقافي. الأمسية ليست مجرد مباراة، فهي تجربة شاملة تستحق المكتبات وتأملات طويلة!

المدن المزدحمة وكنز الفيفا

كأس العالم هو أيضًا عملية مالية ضخمة. يعتبر مصدرًا رئيسيًا للإيرادات المالية للفيفا والمدن المضيفة. في السابق، كيف كان المشجعون يتواصلون؟ بنظام النقاط، أو بالرسائل المرسلة عبر الأصدقاء؟ الآن، أصبح بإمكانهم استخدام الوسائط الاجتماعية لشراء تذاكر المباريات، وهو نوع من "القراءة بين السطور" التي تجعل الأمر يبدو وكأنه قليلاً من السحر.

مع نزول مئات الآلاف من المشجعين على المدن المضيفة، قد تسأل نفسك، كيف يمكنني أن أكون جزءًا من تلك الحفلة الكبيرة؟ (ملاحظة: تذكر، أنت في الخارج، لا تقم بحجز غرفتك في فندق. «هاجر» لتتجنب الصفحات غير الضرورية التي قد تجدها على الشبكة!). عليك أن تصل إلى المطار وتلتقط أصدقائك كما لو كنت في فيلم «أصدقاء من أجل الحياة».

تتحول المدن إلى ميادين احتفالية هائلة مليئة بشوارع مزينة، ومناطق مشجعين مؤقتة، وحفلات لا تنتهي. تصبح المحلات المحلية كنوزاً، تبيع كل شيء من قمصان الفرق إلى كل شيء يمكن أن يتخيله الجمهور من أكسسوارات الاحتفال. ألا تتخيل أن أمام الحضور عجلة الحظ مع هواتفهم؟ أو منافسات فيما بينهم حول من يمكنه ارتداء الزي الأكثر جنوناً؟

ومع ذلك، ليس كل شيء مشمساً. قد تشعر بعض المناطق بالضغط. يمكن أن تصل صفوف دورات المياه إلى حد انتظار في أكبر معلم في ديزني لاند، وتمتلئ الشوارع بالمشجعين يتعثرون ويغنون بأعلى أصواتهم، خاصة بعد بعض المشروبات الاحتفالية. في بعض الأحيان، يجب على اللجان التنظيمية أن تتدبر الأمور، أو ستصبح المدن متابعة مترنحة مع شعارات ملونة ترفرف في واشنطن على شكل سرير من المناديل الورقية.

رحلة الحب والكراهية والشغف

تحتوي كأس العالم، مثل الحياة، على صعود وهبوط، ولكن مع لمسة إضافية من الدراما. يمكن أن ترفعك لحظات الفوز إلى ارتفاعات مبهجة، حيث يحتضن الغرباء مثل الأصدقاء الضائعين منذ زمن طويل، وتتوحد الدول في الاحتفالات. كيف يمكن لتحية واحدة، وهتاف مفعم بالحماس، أن يحقق ذلك!

لكن، إذا كنت ترغب في رؤية جانب آخر من الأمور، فتابع تلك المشاهد التي تحدث بعد الهزيمة. هناك شيء مضحك حقيقي في رؤية مشجع يشجع فريقه بأقصى طاقته، لكن في النهاية يكتشف أنه كان يتحدث إلى الشخص الخطأ، حيث يسأل عن اللاعب التالي الذي يلعب في المجالات الأخرى كل بطولته الوطنية. كم هو مرعب أن تكون في موقف خسارة، ولكن ليس بقدر استهجان لدفاع فريقك!

عندما يسجل الفريق هدفًا، يصبح الضجيج في الملعب شيئًا لا يوصف، توتر يحتدم. أما عندما تضيع فرصة ، فإن الانفعلات القادمة تشعر الجميع بالصدمة والخروج عن السيطرة. يمكن أن يكون الغضب والاستياء بين الجماهير مؤلمًا، لكنه يشكل جزءًا من التجربة أيضًا. إن ردود الفعل المتباينة تجلب الحياة إلى الأجواء، ولهذا السبب تجد تباين الألوان بين البرتقالي والأزرق والكثير من الألوان الأخرى في المدرجات.

مباراة في إطار المنافسة والاحترام

تعد المنافسة جزءًا أساسيًا من كأس العالم. مع بروز الفرق الكبيرة وتاريخها، يسعى كل فريق لتقديم أفضل ما لديه. تُعتبر المباريات تذكيرًا بأن المباراة تلعب على أرض الملعب، بغض النظر عن الإحصائيات، والتنبؤات، والسجلات السابقة. لكن، حين تجد مشجعين للمنافسين يجلسون معاً، قد يتجلى ذلك بأجمل صوره، حيث يتبادلون الأحاديث والمزاح وكأنهم أصدقاء منذ سنين.

في الأساس، تعتبر هذه المقابلات مسرحيات رومانسية للرياضة، حيث يمزج اليابانيون بفخر كل ما هو فعال من كرواتيا، بينما يجلب أحدهم تاريخه الثري، مما يضيف إلى تصوراتنا عن العالم. على الرغم من أن منافسة كرة القدم تعتبر من أصعب الرياضات، إلا أنها في السابق كانت تجلب الفندق المفضل للجميع!

لكن لا تنسوا اللحظات الممزوجة مع الفكاهة. عندما يخرج أحد المشجعين للاحتفال بفوز فريقه، فإنه قد ينتهي به المطاف وهو يرقص وسط الشارع، بينما يوقفه رجال الأمن بشكل غير متوقع. هل تصدق أن ردود أفعال بعض الجماهير تصنع مضمارًا من الفرح؟!

مع اقتراب كأس العالم إلى شمال أمريكا، تتصاعد آمال مشجعي كرة القدم. وكما تقول الأسطورة «كل شيء في اللعبة»، حتى المطاعم ومحلات الآيس كريم تتزين بالألوان الوطنية. تتجلى الأحداث التاريخية في هذه الفعالية، حيث تتزاحم المدن الكبيرة والصغيرة لتكون جزءًا من هذه التجربة.

تتواجد الفرق الكروية الآن من كل أنحاء القارتين، مما يزيد من شغف الناس للعبة. تضع الفرق طموحاتها على المحك، ويتم تحفيز الجماهير لحضور المباريات، ونسمع فيها الأهازيج المختلطة بالمشاعر المختلفة.

استضافت الكرة الكاسرة في السنوات الأخيرة العديد من الدوريات، مما زاد من مستوى التوقعات. المتاجر تتزين بشعارات الفرق، والمطاعم تقدم عروضًا خاصة، حتى أن الشوارع تكتسب لونًا واحتفالًا خاصين. محلات الهدايا تصطف بمزيج من التقاليد الغذائية وألعاب مثل «التنافس في مدح الفرق».

هل فكرت يومًا في كيفية أن تصبح واحدًا من مشجعي كرة القدم المميزين؟ كل ما تحتاجه هو الأصدقاء، وبعض البيزا، وجرعة من الحماس. وعندما تشهد الحفاظ على هدوء المشجعين، قد تجدهم يمضغون فطائر البيتزا أثناء ترديد شعاراتهم.

بوتقة ثقافية: تجربة الطعام

أثناء الألعاب، يصبح الطعام جسرًا للتواصل الثقافي. حيث يدخل البائعون الأكشاك المعدة لإعداد أشهى الأطباق، مع وجود روائح شهية تجدها في كل مكان. هذه الزيارة للطعام تعتبر بمثابة تجربة تذوق لكل الأذواق التي تمثل البلدان المشاركة في البطولة.

هل يمكنك تخيل الناس وهم يتنقلون بين الأكشاك لتجربة المأكولات، من الكرواسون الفرنسي إلى السوشي الياباني، بينما يحاول أحدهم تناول الإفطار قبل المباراة بألوان علمه الوطني في طبقات عشوائية من الأطباق الغريبة؟ من جهة أخرى، يمكن أن يلجأ مشجع إيراني لحجز موقعه في أحد الأكشاك مقدماً لأنه يعرف أن جميع الأشخاص سيحاولون تجربته قبل المباراة.

قد تجد نفسك في موقف يتراوح بين الفضول والإعجاب بمهارات الطهي. هل جرب البعض منكم عمل كعكة الرياضة أو زينتها بعلب عشوائية من القهوة؟! في واقع الحال، يكفي إعداد البيتزا لنصف المشجعين لكي تشعر بأن معركة الطعام قد بدأت.

تأمل خفيف في الوحدة

إن كأس العالم هو أكثر بكثير من مجرد حدث رياضي. إنه تلاقي استثنائي للوجود الإنساني، احتفال ضخم بالشغف، والأحلام، والتبادل الثقافي، وفي بعض الحالات، حتى بالتساؤلات الغريبة. كأس العالم ليس مجرد كرة تتدحرج، بل هو تمثيل لكل الفرص التي تتيح لنا ملاقاة أشخاص من خلفيات مختلفة والاحتفال باختلافاتنا.

وبذلك، قد يصبح كأس العالم جزءًا من حياتك. إذا كنت تحلم بأن تكون مشجعًا محليًا عاديًا أو تبني صداقات جديدة مع أشخاص لا يجمعهم تاريخ قديم، فإن هذه التجربة ستظل موجودة دائمًا في ذاكرتك. مع القلوب التي تخفق بهذه التجربة الغالية، وتذكر دائمًا أن العودة إلى الوطن يمكن أن تكون مليئة بالقصص المرحة بحال العودة بالنصر.

في النهاية، كأس العالم هو احتفال إنساني يُشعرك بأن اللعبة الجميلة تتخطى حدود المكان وتجمع بين الثقافات. لذا، دعنا نحتفل باختلافاتنا ونستمتع بالتنوع، ونواصل دعم اللعبة الجميلة هدفًا رائعًا وراء هدف.■

لامين جمال

محمد صلاح

كيليان مبابي

تأثير اللاعبين ذوي الأصول الأفريقية في كرة القدم العالمية

في القرن الحادي والعشرين، شهدت كرة القدم العالمية تحولاً جذرياً تأثر بتغيرات واسعة النطاق في الهجرة والعولمة. لم يعد التنافس في بطولات كأس العالم مجرد صراع بين هويات كروية مغلقة، بل تطور ليصبح استعراضًا غنيًا بالتنوع الثقافي والشرائح الديموغرافية الجديدة داخل المجتمعات الغربية. لاعبون ذوو أصول أفريقية صاروا بمثل نقطة محورية في هذا السياق، حيث يعكس اندماجهم مزيجًا متميزًا من الموهبة الفطرية والتدريب المتطور. ومن خلال هذه المقالة، سيتم تحليل كيفية تأثير هؤلاء اللاعبين على المجتمعات التي احتضنتهم، وعلى آليات الهجرة إلى الغرب.

تاريخياً، عُرفت كرة القدم كرياضة شعبية تعكس التنوع الثقافي للمجتمعات. ومع تزايد أعداد المهاجرين، استمر هذا التنوع في النمو. الهجرة إلى الغرب، وخصوصاً إلى دول مثل فرنسا وكندا والولايات المتحدة، قد شهدت تزايدًا كبيرًا في العقود الأخيرة، تتبعها تغييرات ثقافية واجتماعية جذرية. معظم اللاعبين ذوي الأصول الأفريقية الذين يمارسون كرة القدم في هذه الدول ينتمون إلى عائلات هاجرت لأسباب متعددة، سواء كانت اقتصادية، سياسية، أو بيئية. مما يقودنا إلى تسليط الضوء على مُحفزات الهجرة وتأثيراتها على الثقافة الرياضية في البلدان المستقبلة.

تأثير اللاعبين ذوي الأصول الأفريقية ثقافياً

يُعتبر اللاعبون ذوو الأصول الأفريقية سفراءً ثقافيين، حيث يبرزون هوياتهم الثقافية من خلال الأداء في الملاعب. يستمد العديد من هؤلاء اللاعبين إلهامهم من تراثهم الثقافي، مع الاستفادة من تجاربهم الشخصية لتقديم قصص ملهمة. يُعَد هذا النوع من التمثيل جسرًا للتفاهم بين الثقافات المختلفة، مما يساهم في تعزيز الحوار حول قضايا الهجرة والاندماج.

تعتبر الثقافات الأفريقية غنية ومتنوعة، وكل لاعب يجلب شيئًا فريدًا من بلده. على سبيل المثال، يتمتع اللاعبون الكاميرونيون بإرث قوي من التفوق الرياضي، وقد لعبوا دورًا بارزًا في تعزيز مكانة كرة القدم الأفريقية على الساحة العالمية. إن وجود لاعب من أصول أفريقية في منتخب وطني يعكس التنوع الغني لأصول الأمة ويوجه الأنظار إلى القصص الإنسانية الكامنة وراء كل لاعب، مما يساهم في زيادة الوعي بقضايا الهوية والمساواة.

هناك تأثير كبير لتاريخ اللاعبين ذوي الأصول الأفريقية على طريقتهم في لعب كرة القدم. كثير منهم يأتي من خلفيات اجتماعية واقتصادية صعبة، مما يجعلهم يشعرون بالحاجة إلى النجاح كوسيلة لتحسين حياتهم وحياة عائلاتهم. هذا الدافع القوي ينعكس في أدائهم في المباريات وبزلهم الجهد لتحقيق النجاح في عالم الرياضة.

التحليل الثقافي

تعتبر الثقافة جزءاً أساسياً من هوية أي مجتمع، ويعكس ظهور اللاعبين ذوي الأصول الأفريقية في بطولات كرة القدم الكبرى تأثيراً مهماً على الثقافة الرياضية. هؤلاء اللاعبون غالباً ما يصبحون رموزاً للتنوع والاندماج، وهو ما يشجع على الحوار حول التنوع الثقافي.

تتجاوز قصص هؤلاء اللاعبين الرياضة، حيث تمثل تجاربهم قصة تاريخ العائلات المهاجرة وأثرها على الهوية. يُصبح هؤلاء اللاعبون نموذجًا يُحتذى به للشباب من أصول مشابهة خلال مسيرتهم نحو تحقيق أحلامهم. في العديد من الحالات، يواجه هؤلاء اللاعبون تحديات جسيمة تتعلق بالتمييز والعنصرية، مما يعكس واقع المجتمعات التي ينتمون إليها. رغم ذلك، فإن نجاحهم في تخطي هذه العقبات يجعل منهم رموزًا للأمل والتغيير.

الأندية التي تضم لاعبين من أصول أفريقية تستفيد أيضًا ثقافيًا من هذا التنوع. حيث يُعزّز هذا التنوع من تطوير روح الفريق والعلاقة بين اللاعبين. كما يتمكن الجمهور من التفاعل مع ثقافات جديدة، حيث يمكن أن تعكس الأغاني، والاحتفالات، والطقوس الرياضية إرث اللاعبين ومساهمتهم في الثقافة الجماعية للنادي.

التحليل الاقتصادي

إن اللاعبين ذوي الأصول الأفريقية لا يؤثرون فقط ثقافياً، بل لديهم أيضاً تأثيرات كبيرة على الاقتصاد. يساهم هؤلاء اللاعبون بشكل كبير في تعزيز الاقتصاد المحلي والدولي للرياضة، حيث تُعد كرة القدم أحد أكبر صناعات الترفيه في العالم. مع تزايد شهرتهم، تزداد فرص العمل والنمو الاقتصادي في المجتمعات التي يتواجدون فيها. يقوم المشجعون بشراء التذاكر، والمنتجات الثقافية، والمأكولات المرتبطة بالمباريات، مما يؤدي إلى ازدهار الاقتصاد المحلي.

تكمن العوائد الاقتصادية في مبيعات الملابس والتجهيزات الرياضية، حيث تروج الأندية للمنتجات المرتبطة بلاعبيها، مما يوفر دخلاً إضافيًا لها. بالإضافة إلى ذلك، فإن قاعدة المعجبين المتزايدة تساهم في جذب الاستثمارات والشراكات التجارية، مما يعزز من نجاح الأندية وشعبيتها.

ومع ذلك، يمكن أن تنجم عن هذه الديناميكيات الاقتصادية تحديات جديدة. فمع تزايد الضغوط لتحقيق النجاح، قد يتعرض اللاعبون لضغوط عصبية، مما يؤثر سلبًا على صحتهم العقلية. كما قد يكون للاحتراف في عالم كرة القدم عواقب على حياتهم الشخصية، مما يثير تساؤلات حول التوازن بين العمل والحياة.

التحليل السياسي

يعتبر الوجود المتزايد للاعبين ذوي الأصول الأفريقية في كرة القدم جزءًا من النقاش الأكبر حول الهوية السياسية وقضايا العنصرية. هذه الديناميكيات تعكس التغيرات في التركيبة السكانية للمجتمعات الغربية، مما يزيد من الوعي حول قضايا مماثلة تتعلق بالهجرة والحقوق المدنية. هؤلاء الرياضيون لديهم القدرة على استخدام منصاتهم للحديث عن قضايا مهمة، مثل العدالة الاجتماعية والمساواة، مما يمكن أن يؤثر إيجابًا على النقاش حول هذه القضايا في السياقات السياسية.

في السنوات الأخيرة، شهدنا زيادة في عدد اللاعبين الذين يتحدثون بصراحة عن قضايا العنصرية والتمييز. من خلال مشاركتهم في حملات التوعية والفعاليات الاجتماعية، يبدأ هؤلاء اللاعبون في تشكيل وعي المجتمع حول أهمية احترام التنوع ورفض العنصرية.

على سبيل المثال، كانت هناك عدة مبادرات من قبل لاعبين مثل ماركوس راشفورد، الذي استخدم شهرته للحديث عن قضايا تتعلق بالفقر وحقوق الأطفال في المملكة المتحدة. هذا النوع من العمل السياسي الاجتماعي يمكن أن يؤدي إلى تغييرات إيجابية في السياسات العامة، خاصة عندما يتم تضافر الجهود بين اللاعبين والمجتمع المدني.

ومع ذلك، فإن بعض اللاعبين يواجهون معاناة من العنصرية والإقصاء، مما يبرز تأثير السياسات التي يمكن أن تحافظ على النظام العنصري أو تعززه. هذه الديناميكيات تُظهر كيف أن النجاح في مجال الرياضة لا يحمي دائمًا من التمييز، بل تجعل هذه القضايا بارزة في السياسات العامة.

نمو الكراهية والتعصب

تواجه المجتمعات التي تحتوي على لاعبين ذوي أصول أفريقية تحديات عديدة تتعلق بالكراهية والتعصب. رغم الاحتفاء بنجاحاتهم، فإن العديد من هؤلاء اللاعبين يتعرضون لمواقف عنصرية وتشكيك في هويتهم. تنمو هذه المشاعر في بعض الأحيان بسبب الخوف من الآخر، أو نتيجة للتغيرات السريعة في المجتمعات. ينظر بعض الأفراد إلى وجود هؤلاء اللاعبين كمهدد لهويتهم الوطنية، مما يؤدي إلى تعزيز التعصب والكراهية.

على سبيل المثال، شهدنا حوادث عنصرية أثناء المباريات، حيث يتعرض اللاعبون للهتافات العنصرية من بعض الجماهير. هذه العوامل تعكس عمق التحامل والتعصب في بعض المجتمعات، حيث تخلق أجواء من العداء والتوتر.

الأبعاد النفسية والاجتماعية لهذه السياسات تعتبر خطيرة، حيث أنه يمكن أن تدفع اللاعبين إلى الابتعاد عن مجتمعاتهم، وتؤدي إلى تأثيرات سلبية على صحتهم النفسية. يمكن أن يشعر اللاعبون بالعزلة، مما يؤثر على قدرتهم على الأداء والسيطرة على الضغوط المرتبطة بمسيرتهم المهنية.

بالإضافة إلى ذلك، تُعَد وسائل التواصل الاجتماعي منصة للعديد من التهجمات العنصرية. يُمارس الكثير من الأشخاص الكراهية من خلف الشاشات، مما يوفر بيئة غير صحية يمكن أن تؤثر سلبًا على صورة اللاعبين وعلاقتهم بجمهورهم. ومع ذلك، فإن العديد من اللاعبين استفادوا من هذه المنصات لرفع الوعي ومواجهة الكراهية، مما يجعلهم أكثر تمكينًا للتحدث عن قضايا العنصرية.

تعتبر كرة القدم منصة فريدة تتيح مساحة للتعبير الثقافي، والتميّز، والاندماج. قصص اللاعبين ذوي الأصول الأفريقية في الملاعب تجسد رموزًا للقدرة على تحويل التحديات إلى فرص، وتعكس التغيرات المجتمعية التي تدخل عمق الثقافة الرياضية والعامة في البلاد التي يمارسون فيها كرة القدم. إنهم يمثلون أكثر من مجرد مهاجرين؛ إنهم أيقونات تؤكد على قوة هجرة الثقافات وتنوع الهويات.

الاستنتاجات والدروس المستفادة

لا يمكن إغفال التأثير المتبادل بين اللاعبين وبيئاتهم المجتمعية. إن كرة القدم ليست مجرد رياضة في هذه الحالة، بل أداة قوية للتغيير الاجتماعي والثقافي. يمثل هؤلاء اللاعبون جيلًا جديدًا من الرياضيين الذين يختارون أن يكونوا صوتًا لمجتمعاتهم، ويشددون على أهمية القبول والتنوع في عالمنا اليوم.

في المستقبل، ينبغي أن تُبذل جهود أكبر لدى الأندية والاتحادات الرياضية لتعزيز القيم الإنسانية والمساواة. يجب أن تتضمن هذه الجهود برامج تعليمية، وانفتاح على الثقافات المختلفة، ودعماً متواصلاً للاعبين الذين يتعرضون للتمييز.

أخيراً يتضح أن تأثير اللاعبين ذوي الأصول الأفريقية يبدو كعوامل متعددة الأبعاد تتقاطع بين الثقافة والاقتصاد والسياسة. كما أن عليهم أن يتحدوا لنبذ الكراهية والتعصب، والعمل نحو بناء مجتمعات أكثر شمولية وتنوعًا. إن تعزيز هذه القوى الإيجابية يتطلب العمل الجماعي والالتزام من كافة المعنيين، مما قد يؤدي إلى تغيير جوهري ينعكس ليس فقط في عالم الرياضة، بل في المجتمع بأسره. ■

م. أ

أرقام افريقية

■ هناك عدة تقارير ودراسات تتعلق بنسب اللاعبين الأفارقة في الأندية الأوروبية، على الرغم من أن الأرقام قد تختلف من موسم إلى آخر ومن دوري إلى آخر. إليك بعض النقاط الرئيسية والمعلومات المتعلقة بهذا الموضوع:

1. نسب تمثيل اللاعبين الأفارقة في الدوريات الأوروبية:

وفقًا لدراسات مختلفة، مساهمة اللاعبين الأفارقة في الدوريات الأوروبية تعد ملحوظة. على سبيل المثال، ذكر الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (UEFA) أن نسبة اللاعبين من أصول أفريقية كانت تصل إلى حوالي 15.20% من مجموع اللاعبين في الدوريات الأوروبية الكبرى مثل الدوري الإنكليزي الممتاز (Premier League) والدوري الإسباني (La Liga).

2. الدوري الإنجليزي الممتاز (Premier League):

يُعتبر الدوري الإنكليزي الممتاز واحدًا من أكثر الدوريات التي تضم لاعبين من أصول أفريقية. في عام 2021، كانت التقديرات تشير إلى أن حوالي 30% من اللاعبين في فرق الدوري الإنكليزي الممتاز هم من ذوي الأصول الأفريقية أو يمكن اعتبارهم مهاجرين. هذا الرقم يعكس تنوع اللاعبين في هذا الدوري مقارنة بالعديد من الدوريات الأخرى.

3. الدوري الفرنسي (Ligue 1):

يعد الدوري الفرنسي من بين الدوريات التي تضم أكبر عدد من اللاعبين ذوي الأصول الأفريقية. نتيجة للتاريخ الاستعماري لفرنسا، هناك نسبة كبيرة من اللاعبين الذين يأتون من أفريقيا أو من أصول أفريقية. في بعض المواسم، كانت تشير التقديرات إلى أن حوالي 20 ـ 30% من اللاعبين في دوري الدرجة الأولى الفرنسي هم من ذوي الأصول الأفريقية.

4. الريان في الدوريات الأوروبية الأخرى:

- في الدوري الإسباني، تلعب الفرق مثل برشلونة وريال مدريد دوراً مهماً في جذب المواهب من القارة الأفريقية، ولكن نسبة اللاعبين من أصول أفريقية لا تزال أقل من الدوري الإنكليزي أو الفرنسي.

- في الدوري الألماني، يمكن أن تتراوح النسبة أيضًا حول 10.15%، خاصة مع وجود لاعبين مثل أمين حارث وكالوم هودسون أودوي. ■

مهرجانات الصيف الموسيقية بالمغرب

إشعاع خارجي ونجاعة وفعالية محدودة بالداخل

المغرب ـ سعيدة شريف*

مع حلول فصل الصيف يشهد المغرب العديد من المهرجانات الفنية والثقافية المتنوعة، والتي تقارب الـ 300 مهرجان موزع بين السينما والمسرح والموسيقى ومهرجانات أو مواسم تراثية تحتفي بطقوس واحتفالات معينة تنشط في الصيف بالمغرب مثل «التبوريدة» أو الفروسية وهي فنتازيا تستعرض فن ركوب الخيل أصبحت النساء فيها تنافس الرجال، وغيرها من الفنون التراثية التي تحتفي بالتراث الشعبي والمنتوجات المحلية كمهرجان الورد بقلعة مكونة مه ردان حب الملوك بصفرو، وكلها مهرجانات تعكس الهوية الثقافية والفنية والتاريخية العريقة للمغرب، غير أن المهرجانات الموسيقية بالتحديد تحتل نصيب الأسد في خريطة المهرجانات بالمغرب، حيث يرتبط الصيف بالمغرب بالموسيقى والرقص والغناء والاحتفاء بالجالية المغربية بالخارج التي تعود لقضاء العطلة بالبلد، وتوفير الفرجة الفنية الممكنة للسياح الأجانب الذين يتوافدون على المغرب في فصل الصيف للاستمتاع بالبحر والشمس.

لم يعرف المغرب كلمة "مهرجان" المعربة عن كلمة "مهركان" الفارسية الأصل التي كانت في الأصل عيدا قوميا للفرس، إلا بشكل حديث للتعبير عن مناسبات حديثة، وذلك عام 1939 مع مهرجان فاس للموسيقى المغربية التقليدية، الذي حرصت على تنظيمه دائرة الفنون الأصيلة التابعة للإدارة العامة والحماية الفرنسية في المغرب، لأن المغاربة تربوا على استعمال كلمة "موسم" وهو مفهوم يرتبط عادة بنهاية الدورة الزراعية وقد يرتبط كذلك بطقوس صوفية احتفاء بأحد الأولياء الصالحين. وبعد استقلال المغرب، كان أول مهرجان ينظم في المغرب هو مهرجان الفنون الشعبية في مراكش عام 1960 الذي لا يزال قائما حتى اليوم، وبعده جاء "موسم أصيلة الثقافي" في عام 1978 الذي استعاد مفهوم الموسم وحافظ عليه إلى الآن.

تتوزع المهرجانات الموسيقية الصيفية بالمغرب، بين مهرجانات ذات طابع دولي وأخرى ذات طابع وطني محلي، ويتمركز أغلبها في كبريات المدن المغربية كالرباط والدارالبيضاء وطنجة ومراكش وأكادير وفاس والصويرة، وهي تظاهرات تساهم بشكل أو بآخر في تنشيط الحركة الفنية بالمغرب والتعريف بالتراث الفني الموسيقي المغربي من كناوة وعيساوة وموسيقى أمازيغية بمختلف تنوعاتها من ريفية وسوسية وأطلسية، وموسيقى صحراوية حسانية، وتوفير فرص عمل للفنانين المغاربة وكذا الأجانب، الذين أصبحت المهرجانات الموسيقية الكبيرة بالمغرب كـ «مهرجان موازين إيقاعات العالم» بالرباط نقطة جذب لهم. هذا بالإضافة إلى إنعاش الاقتصاد والسياحة بالمغرب، التي تنشط بشكل كبير في فصل الصيف، وتوفر فرص للشغل للكثير من المواطنين في جميع مجالات الخدمات، أو حتى في المجالات التقنية الفنية، كما أنها تقدم صورة إيجابية عن المغرب. ولكن هذه المهرجانات على كثرتها وتنوعها وتحقيقها للإشعاع بالخارج، ما زالت نجاعتها وفاعليتها محدودة بالداخل، وهو ما يطرح الكثير من الأسئلة حول تأثيرها الإيجابي على الساحة الفنية المغربية وعلى التنمية الثقافية بالبلد، فهل فعلا يمكن اعتبار هذه المهرجانات الموسيقية الصيفية عوامل فعلية لخلق الإشعاع الثقافي والفني للبلد؟ وما مدى تأثيرها على الحركة الفنية والموسيقية بالمغرب وعلى الفنان نفسه، خاصة أن اغلب تلك المهرجانات أصبحت تستقطب الكثير من الفنانين الأجانب ويظل الفنان المغربي في المرتبة الثانية أو الأخيرة؟ وكيف يمكن تحويل تلك المهرجانات من لحظات احتفالية عابرة إلى أداة فنية فاعلة في صناعة التغيير والتنمية الشاملة وتثقيف الجمهور وتربيته؟

ترتيب المهرجانات الموسيقية

يحتل «مهرجان موازين إيقاعات العالم» الذي أسس منذ عام 2001 والذي نظمت دورته 21 بالعاصمة الرباط من 19 إلى 27 يونيو/ حزيران الماضي، الصدارة ضمن خارطة المهرجانات الموسيقية بالمغرب وبالخارج، حيث احتل المرتبة الأولى في قائمة أكثر المهرجانات جاذبية على الصعيد الإفريقي أيضا، وفق مؤشر عالمي حديث شمل 560 مهرجانا من مختلف أنحاء العالم، كما احتل المرتبة 32 عالميا، يليه «مهرجان كناوة وموسيقى العالم» بمدينة الصويرة الذي نظمت دورته حزيران (يونيو) الماضي، وهو تظاهرة فريدة تحتفي بفن «كناوة» التراث الإفريقي العريق وتشهد مزجا فنيا رفيعا بين هذ الفن وإيقاعات وموسيقى العالم المتنوعة.

الباحث والخبير الموسيقي أحمد عيدون

وفاء بناني رئيسة المجلس الوطني للموسيقى

الموسيقار مصطفى أخريش

ويحتل «مهرجان فاس للموسيقى الروحية» المرتبة الثالثة، وهو موعد فني سنوي ينزم بالعاصمة العلمية للمغرب فاس، يهدف إلى مد جسور الحوار والسلام بين الثقافات والأديان من خلال الموسيقى الصوفية والروحية، وقد نظمت دورته 29 من 4 إلى 7 يونيو/ حزيران الماضي، فيما يحتل «مهرجان تيميتار» الأمازيغي الذي يعني العلامات والمنظم سنويا بمدينة أكادير المرتبة الرابعة، وهو تظاهرة تهدف إلى خلق لقاءات فنية بين الفنانين الأمازيغ وفناني العالم، نظمت دورته 21 من 23 إلى 25 يوليو/تموز الماضي ويأتي في المرتبة الخامسة «مهرجان جازابلانكا»، المهرجان السنوي الذي نظمت دورته 19 بالعاصمة الاقتصادية للمغرب الدارالبيضاء من 2 إلى 11 يوليو/تموز الماضي، وهو تظاهرة فنية مخصصة لعشاق موسيقى الجاز والموسيقى المعاصرة تقدم عروضه في عدة فضاءات بالمدينة.

وإلى جانب هذه المهرجانات تأتي مهرجانات أخرى مخصصة لموسيقى الجاز بمدينة طنجة وبالعاصمة الرباط وهو المهرجان الذي كان ينظم بالموقع الأثري شالة بالرباط والذي حمل المهرجان اسمه «جاز شالة»، و«مهرجان لبولفار» الذي يجمع أنواع موسيقية مختلفة كالراب والهيب هوب والروك ميتال، وغيرها من المهرجانات كـ «المهرجان الوطني للفنون الشعبية" الذي نظمت دورته 55 بمدينة مراكش من 2 إلى 6 يوليو/تموز الماضي، وهو من بين أقدم المهرجانات المغربية، و«موسم أصيلة الثقافي الدولي» الذي يجمع بين الثقافة والفنون، والذي جعل منظموه من مدينة أصيلة الشائطية الصغيرة ورشا مفتوحا للفنون التشكيلية وللقاءات الفنية والفكرية، وكان قبلة للعديد من الكتاب والمفكرين والسياسيين وحتى الفنانين الموسيقيين، ولكن بعد رحيل مؤسسه وزير الخارجية المغربي السابق محمد بنعيسى وسفير المغرب بأمريكا، ما زالت «جمعية المحيط» تسعى إلى الحفاظ على هذا المهرجان العريق، وكانت دورته الصيفية 47 المنظمة من 28 يونيو/ حزيران إلى 5 يوليو/ تموز الماضيين، مخصصة للفنون التشكيلية ولجداريات المدينة.

ومن بين أهم المهرجانات أيضا، والتي رغم صغر حجمها والتي تمكنت من تحقيق الإشعاع والتميز ببرمجتها الفنية الرفيعة وسعيها إلى الرقي بالموسيقى المغربية بمختلف أنواعها وتتويج المبدعين فيها بجوائز قيمة، نذكر على سبيل المثال «مهرجان صيف الأوداية» الذي كان وراء تأسيسه عام 2011 الفنان والموسيقار المغربي الراحل حسن مكري بإشراف من المجلس الوطني للموسيقى الذي كان يرأسه، والعضو في المجلس العالمي للموسيقى التابع لمنظمة اليونسكو، وذلك بدعم من وزارة الثقافة وولاية الجهة، والذي ينظم في نهاية شهر يوليو/ من كل سنة على ضفة نهر أبي رقراق، احتفاء بعيد العرش (الجلوس)، بعدما كان ينظم في فضاء الأوداية الأثري. ويتميز هذا المهرجان عن غيره من المهرجانات الموسيقية المغربية باهتمامه الحقيقي بالفنان الموسيقي المغربي وخلق فرص له للقاء فنانين عالميين، وتحفيزه عبر جوائز قيمة ذات اعتراف دولي يعود الفضل في تأسيسها إلى الفنان الراحل حسن مكري، وتلك الجوائز هي: جائزة الرباب الذهبي التي منحت لفنانين كبار أمثال الراحلين عبد الوهاب الدكالي وعبد الهادي بلخياط، وجائزة زرياب المهارات التي تتوج كبار الموسيقيين، وجائزة الخلالة الذهبية المخصصة للفنون الشعبية وتحديدا الفن الأمازيغي، ثم جائزة الفارابي المخصصة للموسيقى التراثية العريقة.

ورغم رحيل مؤسس هذا المهرجان، فإن ابنه الفنان نصر مكري وزوجته وفاء بناني والمجلس الوطني للموسيقى الذي ترأسته

مهرجانات

بعده، ما زالا يواصلان العمل من أجل استمرار هذا المهرجان، كما صرحت زوجته لمجلة «الحصاد»، بنفس الروح والقيم، وعبر الانفتاح على الجيل الجديد من الفنانين الشباب في الراب والهيب هوب وغيره، حيث تم إحداث هذه السنة جائزة للفن الشعبي حملت اسم «جائزة شيخ الشعبي» وحصل عليها الفنان الحاج عبد المغيث، كما تم تتويج الفنانين فؤاد الزبادي ومحمود مكري بدرع المهرجان تقديرا لعملهما الفني المتميز.

الفعالية والنجاعة

تستأثر بعض التظاهرات الفنية بالاهتمام في المغرب أكثر من غيرها، وهي ما ننعته عادة بالمهرجانات الكبرى، التي تتوفر على ميزانية ضخمة واستقرار في موعد انعقادها وحضورها الإعلامي والتسويقي، ومع ذلك يرى الباحث والموسيقي المغربي أحمد عيدون في تصريح لـ «الحصاد»، أن هذه المؤشرات «غير كافية للحكم على نجاعة تأثيرها في محيطها المحلي والوطني فضلا على إشعاعها الدولي. بل يجب الانتباه بشأنها إلى معايير موضوعية تتعلق بالفعالية والنجاعة والاتساق في الفقرات».

ويضيف عيدون الدكتور المتخصص في اقتصاد الثقافة أن المهرجانات التي تحقق للمواطن جانب الترفيه من المنطقي أن نطمع في مزيد من فعاليتها، بدءا بتدبير خارطة المهرجانات، وتحديد مهام كل منها من خلال حجمها وتوجهها ثم تصنيفها المحلي أو الوطني أو العالمي، وهنا تبرز مسألة التنمية الثقافية والاقتصادية للجهات وتبرز ضرورة الاعتماد على معايير الفعالية والنجاعة والمردود الاقتصادي والثقافي.

ويشير عيدون، الذي صدرت له مجموعة من المؤلفات حول الموسيقى المغربية، إلى أنه في غياب دراسة دقيقة تتعلق بتأثير وجدوى هذه المهرجانات، التي يمكن من خلالها قياس التأثير الاقتصادي للمهرجان على محيطه من خلال تحقيق موارد مالية وتوفير فرص للعمل وتنشيط الحركة السياحية والتجارية والفنية، وقياس سوسيولوجية العروض الفنية، وعلاقة الجمهور بالفن وكذلك الانتباه إلى تمكين الفنانين المغاربة من إنتاج رصين يتجاوز التنشيط البسيط إلى تكليف مسبق يراعي شروط الإبداع بما يخدم تثمين الموسيقى المغربية. فإننا، كما يقول، «سنستمر في استقطاب فنانين أجانب وصرف مبالغ كبيرة من العملة الصعبة، فتكون الاستفادة مخصوصة لهؤلاء بينما لا يتقاضى الفنان المغربي إلا مبلغا متواضعا. والسبب في ذلك هو أن الفنان المغربي لا تسنده صناعة موسيقية وطنية».

جانب من جمهور مهرجان صيف الأوداية بالرباط

محدودية دور النقابة

وهو الشي نفسه الذي يؤكده الفنان الموسيقي مصطفى أحريش الأمين العام للنقابة الحرة للموسيقيين المغاربة، الذي يرى أن المساهمة المغربية في المهرجانات الفنية الكبرى بالمغرب من مثل «مهرجان موازين إيقاعات العالم» الذي نعته بالمهرجان «التجاري» لا تتعدى 5 في المائة، وهو ما يعد إجحافا في حق الفن والموسيقى المغربية، لأن حتى الفنانين المغاربة الذين يتم إشراكهم في مثل هذه التظاهرات التجارية ليسوا بفنانين حقيقيين، كما يقول، هذا ناهيك عن استغلال الفن في المجال السياسي، وتسخير بعض المهرجانات التي تنظمها مثلا بعض الجماعات لفائدة الأحزاب التي ينتمي إليها مسؤولوها ولفائدة أجندتهم الانتخابية. ويضيف أحريش بأن المهرجان ليس مجرد سهرة موسيقية وحسب، بل هو مجال للتلاقح الفني والثقافي وتبادل التجارب والمعارف، وهو ما حرصت عليه النقابة الحرة للموسيقيين التي توالى على تدبير شؤونها كبار الموسيقيين والفنانين المغاربة، حيث نظمت مهرجان الأغنية العربية بالدارالبيضاء، ومهرجان الأغنية المغربية بمراكش، وهو ما ساعد في بروز بعض الفنانين والملحنين وكتاب الكلمات، ولكن تلك التظاهرات لم تعرف الانتظام ولا الاستمرار، ولم يشهد لهذه النقابة ولا لغيرها من النقابات الموسيقية بالمغرب أن تدخلت للحد من الفوضى والعبث الذي تعرفه مجموعة من المهرجانات التجارية ولا حتى تلك ذات الطابع الانتخابوي السياسي، ولم يكن له أي دور فاعل، كما هو الشأن مع النقابة الفنية بمصر مثلا، في الحد من تهميش الفنان المغربي على حساب الفنان العربي أو العالمي، مع العلم أن أحد الأدوار الأساسية للنقابات الفنية هو الدفاع عن الفنان في المهرجانات وإعادة الاعتبار له عبر حمايته من الاستغلال.

المهرجانات والتنمية

وحول المهرجانات الفنية بالمغرب، يقول أحمد عيدون، إنها تعرف أربعة اتجاهات رئيسية: مهرجانات تتبنى موضوعا ذا صلة تاريخية وشرعية بالتراث المحلي، ومهرجانات ذات بعد وطني، ومهرجانات مفتوحة للمشاركة الدولية، ثم مهرجانات تستند إلى التراث المحلي لتبرير توجهها الدولي، ومع ذلك، لا يراعى فيها دائما، كما يوضح «التمييز بين المحلي والوطني والدولي». فكثيرا ما ينتقل المنظمون، خوفا من ضياع المفهوم الأساسي، من فئة إلى أخرى. على سبيل المثال، يتحول مهرجان كناوة إلى «موسيقى كناوة والعالم»، ومهرجان الراي الدولي الذي يستقبل العديد من الأنواع الموسيقية التي لا تمت بصلة إلى الراي (وهو نوع موسيقي يقتصر على الجزائر والمغرب)، ومهرجان "تيميتار" الذي يتميز برنامجه بالمرونة لاستقبال الفنانين من مختلف أنحاء العالم، والمهرجان الوطني للفنون الشعبية الذي وافق على الترويج للموسيقى الجديدة».

ويخلص الخبير في اقتصاد الثقافة أحمد عيدون إلى أن إنشاء المهرجانات بالمغرب يعرف تناقضا صارخا مع مركزية الاقتصاد، لأن الهدف، في نظر المروجين، كان تحديدا كسر الحواجز بين بعض المناطق، وهو هدف تحقق جزئيا. وبناء على ذلك، تهيمن مهرجانات الموسيقى على إجمالي عدد المهرجانات، وهو اتجاه يعزى إلى حد كبير إلى تنوع الأنواع الموسيقية الموجودة. ولكن أن تصبح المهرجانات محركات أساسية للتنمية المحلية، وعاملا لتحقيق النجاعة والأثر المطلوبين، فهو أمر لن يتحقق برأيه «إذا لم نجعل من المهرجان مخرجا طبيعيا لسلسلة الصناعات الثقافية في جانبها الموسيقي والإبداعي. وبذلك لن يكون للمهرجان دوره الترفيهي المشروع فقط في وظيفة الترفيه في صيغته الساذجة والبسيطة، لأن الترفيه كذلك حين يواجه فنا راقيا يكون ذا أثر إيجابي على رفعة الذوق وتلك مشكلة أخرى تعود بنا إلى أسس نشر الثقافة والقيم الإنسانية الكبرى». ■

*إعلامية وكاتبة من المغرب

أوراق متناثرة

في الإصغاء إلى الصّمت

ليندا نصار*

يقيم الصمت في المناطق الخفيّة من وجود الإنسان، تلك المناطق التي لا تُرى ولا تُقاس، لكنها تحكم إيقاع حياته الداخلية. فيه تتشكّل مساحة آمنة يلتقي عندها العالم الداخلي بالعالم الخارجي، مساحة تشبه الحاجز الرقيق الذي يحمي الإنسان من ضجيج الأشياء من حوله، من دون أن يفصله كليًا عنها. فالصمت ليس عزلة أو انقطاعًا عن الوجود، بل هو إصغاء عميق يتيح للإنسان أن يسمع صدى ذاته، وأن يتعرّف على ما يعتمل في داخله بعيدًا عن صخب الحياة اليومية وتشتّتها.

وفي هذا الفراغ الذي قد يبدو للوهلة الأولى مخيفًا أو موحشًا، تكمن في الحقيقة حالة من الامتلاء الخفي، إنه فراغ لا يعني الخواء، بل هو أرض خصبة تنمو فيها الأفكار ببطء وصمت. ذلك أن الأفكار النابعة من التجربة الإنسانية وفلسفة الحياة لا تولد فجأة أو بصخب، بل تتشكل وتنضج تدريجيًا في هذا الصمت بالذات، كما تنضج البذرة في الأرض الصالحة بعيدًا عن الضوء والضجيج. ومن هذه المناطق العازلة الخفيّة، تولد الكلمة حين تكتمل نضجًا، فتخرج إلى العالم محمّلة بما اختمر طويلًا في الداخل، لا كصدى عابر، بل كثمرة تأمل واختبار داخلي عميق.

وقد تناول عالم الاجتماع الفرنسي دافيد لوبروتون هذه الثنائية بين الفراغ والامتلاء، وبين الصمت والكلمة، بعمق فلسفي واجتماعي في كتابه "الصمت لغة المعنى والوجود"، الذي نقله إلى العربية الكاتب والمترجم المغربي فريد الزاهي، ليتيح للقارئ العربي فرصة التأمل في هذا المفهوم الذي طالما بدا بديهيًا، لكنه في الحقيقة أعمق بكثير مما يبدو للوهلة الأولى.

يقول لوبروتون: "الصمت ليس غيابًا للصوت أو عالمًا من غير هسيس، أي سكونًا لا يُسمع فيه شيء." فهو يقرأ نبض الوجود الذي يبث الطمأنينة على استمرارية العالم. وفي مكان آخر يضيف الكاتب فكرة الغرف منزوعة الصوت التي لا تخلو من همس سريان النبض في العروق، ليبقى صمت الطبيعة أهم ما يبعث على الهدوء الداخلي، على الرغم من أنه مليء بالأصوات والكلمات النابعة من الطيور إلى هدير جمالها ككل. بالنسبة إليه "حين يرتبط الصمت والسكون بجمال منظر طبيعي ما يكون سبيلًا يؤدي إلى الذات، وإلى المصالحة مع العالم. إنها لحظة تعلّق الزمن حيث ينفتح مسرب يمنح للإنسان إمكان أن يستعيد مكانه وينعم بالأمن". هذا الصمت الداخلي هو ما يتيح للإنسان الغوص في ذاكرته، كما فعل مارسيل بروست في روايته "البحث عن الزمن المفقود" إذ راح يتأمل في ذاته ليستحضر الماضي من ذاكرته ويعيد إحياءه في رؤية فلسفية تستعيد عوالمه الإبداعية.

بالإضافة إلى ذلك يعتقد لوبروتون أنّ الصمت يشذب الإنسان ويمنحه الاستعداد للوجود وينقي الفوضى الداخلية التي يصارع فيها. كما يسهم في تحقيق التوازن الداخلي للفرد من خلال التأمل بالحياة وتنظيم الأفكار. من هذا المنطلق نستحضر جبران خليل جبران الذي ربط الصمت بالليل والأفكار فقد كتب: " في الليل تولد أعظم الأفكار" ومن خصال الليل السكينة والتأمّل الذي يتيح للإنسان التعمّق في كل ما يحدث.

من جهة أخرى، يحسّن الصمت من مهارات التواصل، ذلك أن الإصغاء يعدّ عنصرًا أساسيًا في تحقيق تواصل فعّال بين الأفراد. فالصمت هو الذي يمنح الصوت قيمته المضافة، ذلك أن الصوت لا تتجلى أهميته الحقيقية إلا حين يقارن بالسكون الذي يسبقه أو يعقبه. فبين الصمت والصوت علاقة تكامل لا تضاد إذ يبرز كل منهما الآخر ويمنحه معناه. وإذا ما فكّرنا في الموسيقى مثالًا على ذلك، فإننا ننتبه إلى تلك المسافة الصامتة الفاصلة بين نوتة وأخرى، تلك اللحظة القصيرة من السكون التي تبحث فيها كل نوتة عن مثيلتها في ذلك الفراغ الذي لا يخلو من فائدة أو معنى، بل يحمل في طياته وظيفة جوهرية في تشكيل الإيقاع والانسجام الموسيقي ككل. وبهذه الطريقة بالذات، يتحقق التوازن الدقيق بين الصمت والصوت، سواء تجلّى هذا الصوت في هيئة كلمات منطوقة أو في هيئة نغمات موسيقية متناغمة.

وعن القلق الذي يسببه الصمت يعتبر لوبروتون أن "البعض يقيم في الصمت كما يقيم في ملجأ ويجد فيه مكانًا ملائمًا للعودة نحو الذات، فإن البعض الآخر يخشاه ويستمر في إبعاده." غير أن لهذا الفضاء الداخلي جانبًا آخر لا يقل أهمية عما سبق أن طرحناه سابقًا، فقد يعبر عن المعاناة النفسية التي تؤثر في الفرد وتبعده عن العلاقات الاجتماعية. إنه مؤشر إلى عدم الاستقرار والخلل في النواحي النفسية. كذلك يتصل الصمت من ناحية الإنصات بالعلاقات الإنسانية التي تبنى على التفاعل بين الشخص والآخر وهذا ما يحتاج إلى مهارات التواصل كما أشرنا.

وللصمت وجه آخر لا يمكن إهماله اليوم، إنه ذاك الذي يأخذ حيّزًا كبيرًا في العصر الحديث، فتكمن قيمته في الحاجة إلى الهدوء الداخلي وسط فورة العالم الرقمي ووسائل التواصل الاجتماعي التي قد تتسبب في خلل يؤثر في الصحة النفسية.

في النهاية، يبقى الصمت حكمة الإنسان وسكينته التي تدعو إلى هدوء النفس، وملاذه الذي يلجأ إليه كلما أثقلته تفاصيل الحياة وتشعّبت مشاغلها. وهو الطريق الذي يسهم في استعادة الذات، تلك الاستعادة التي لا تكتمل إلا بانسحاب الإنسان قليلًا من صخب الخارج ليصغي إلى ما بداخله. غير أن إدراك قيمة هذا الصمت الحقيقية لا تتأتى إلا من خلال مقارنته بما يعيشه الإنسان من ضجيج في هذا العالم، ذلك الذي أصبح جزءًا يوميًا من وجوده، حتى بات الصمت استثناء نادرًا يستحق أن يصان ويستعاد كلما سمحت له الفرصة، لأنه وحده القادر على إعادة الإنسان إلى جوهره الأصيل بعيدًا عن كل ما يشتته أو يبعده عن ذاته. ■

*كاتبة، شاعرة وناقدة لبنانية

نجوم الليل تنقذنا من الضلال

محمد علي فرحات

تتفقدني مرة في الأسبوع أو مرتين، ويلهج صوتك بالقلق عليّ كلما سمعت تصريحاً لزعيم لبناني يهدد زعيماً آخر. انهم يهددون ليدفع المواطنون الثمن.

لو كنت معي في الباص أو في التاكسي (سرفيس) لسمعت شكاوى الناس، وقبل السماع وأهم منه، أن ترى وجوههم ومعاني العيون، ثمة مزيج من اليأس والأمل، من إصرار عجائبي على العيش في هذا الممر الجبلي حيث تعبر جيوش بسلاحها وصراخها وأموالها، ويخلف العابرون بعضاً منهم قبل أن يغادروا، راجع أسماء العائلات.

تتفقدني وتستغرب قدرتي على البقاء في مكان هو وطني ووطنك. قلت إن لبنان فكرة وليس حيزاً جغرافياً، وقد حملت الفكرة في جيبك، في عقلك، في وجدانك إلى حيث أنت. لكنني لا أقوى على تبديل الجغرافيا بجغرافيا أخرى. ولا أكون وقحاً إذا قلت إنني أشغل يومي بتعقب أخبار الجريمة والفساد، وأقرأ ما يشبه الكوميديا في تصريحات الزعماء المتصارعين، لا بد من شاهد عدل يستمع ويضحك ساخراً ليعرفوا أن السخرية في محلها، هؤلاء يريدون أن نصدقهم لكنهم، بالتأكيد، لا يصدقون أنفسهم.

وفي وطأة تراتبية السلطات لا بد من علاقات عامة، نصف وقتك أو أكثر تكرسه لهذه العلاقات، لمجرد أن تأمن في تنقلاتك وأن لا يعتدي عليك الأقوياء علناً في وضح النهار. علاقات عامة تبعدك عن النقاش السياسي ليبقى وجدانك صافياً في هذا الاعتكار الذي يعم المجتمع، ولنقل المجتمعات.

الوجدان الصافي هو ما يبقي على الرابط بيني، أنا المقيم، وبينك، أنت المهاجر. وأشعر هنا أنك تعتبرني حالة نادرة بين الأصدقاء. تستطيع أن تتكلم كما شئت على مسمعي عبر الهاتف أو عبر الإنترنت. وربما تتطرف فتشتم بلا حرج شخصيات يقدسها أتباعها. تعرف أن الوجدان الصافي هو ما يبقي على صداقتنا، وما يشعرك بالثقة في كلامي.

تتفقدني مرة في الأسبوع أو مرتين، لنمارس لعبة الإقامة والهجرة التي مارسها أجدادنا في القرن التاسع عشر. لعبة المواطنة الفريدة حيث الإنسان جزء من الضحايا الصامتين، ينتجون لبنانهم في خدمة أجيال آتية ستنتمي، على الأرجح، إلى هذا اللبنان المختلف، لكن، الحقيقي.

ألتفت هذه الأيام الى كلام معظم النخب الإسلامية الصاعدة، لا هو كلام المجتمع وقضاياه المتشابكة مع مجتمعات العالم القريبة والبعيدة، ولا هو كلام الأدب الشعبي المكتفي بالفولكلور الأليف. أي، لا هو كلام نجيب محفوظ ولا كلام عبدالرحمن الأبنودي.

وإذا صحت إحالة كلام النخب الإسلامية الصاعدة، فإنما تحال على سرد العصر المملوكي بالركاكة التي تميز بها، لذلك يخطئ كثيرون من الإسلاميين في الصرف والنحو، ويبدو كلامهم شطحاً لا حدّ له ولا ضابط من منطق.

لم تكن الكتابة في عهود الديكتاتوريات أفضل حالاً، والشاهد لغة الصحافة المصرية على وجه الإجمال. قيل إن محمد حسنين هيكل استقدم مدققين لغويين من الأزهر لضبط لغة الجريدة، لكن الأخطاء عادت إلى سابق عهدها بعد فترة وجيزة. هل تسمم أصحاب العالمية الأزهرية ففقدوا حسهم اللغوي السليم أمام سيل الأخطاء الغامر؟

عهد الديكتاتوريات، كان، بالمعنى الثقافي، ممهداً لعهد الإسلام السياسي ذي النموذج الطالباني. قال السلفي في ندوة تلفزيونية مصححاً: ما يلبس الرجل هو القميص وليس الجلباب، فهذا الأخير مخصص للمرأة وحدها. ولم يقل إن الثوب الطالباني الشرعي (ثلاثة أرباع) مأخوذ من أزياء كريستيان ديور للمعاطف الرجالية القصيرة في ستينات القرن الماضي.

ما يجري تهديده في بلادنا هو لغة النهضة الحديثة التي تلت مرحلة الأحياء، بالتخفف من ركاكة لغة العهدين الأيوبي والمملوكي واستلهام الجاحظ والمتنبي والشريف الرضي وأبو تمام، مع اعتماد الجملة القصيرة سمة لعربية حديثة وحيوية.

كلام النخب الإسلامية الصاعدة، من أعلى القيادات إلى أدنى التابعين، يصلح خطباً فوق الخرائب لا يسمعها أحد، إنما تصلنا إيقاعاتها غير المتناغمة، كمثل معدن يهوي من مكان عال ضارباً بعضه بعضاً.

ضجيج الكلام ليس بكلام، إنما هو خطف الكلام وقتله في العتمة. وكلام الحروب يقطع الصلة مع جوهري المضمون والشكل، فمتابعو الحروب الصغيرة والكبيرة في بلادنا، يتعرفون إلى أسماء مدن و قرى، بل إلى أسماء مناطق، لم يسمعوا بها من قبل. هكذا تكشف الحروب بلاداً لا يعرفها أهلها ومعهم سائر العرب.

وحين تزور بلداً أوروبياً أو أميركياً يمكن أن تشتري خريطة تفصيلية له، فتتعرف إلى الطرقات والمدن والقرى، بل يمكن أن تتعرف إلى الشوارع الضيقة، كما في الدليل البريطاني الشهير A-Z.

هذه المعرفة محرّمة أو شبه محرّمة عندنا، فإذا سألت عن الأمكنة وتفاصيلها قد يحمل سؤالك على شبهة التجسس. صارت الدول تراقب بعضها بعضاً من الفضاء، ولا تزال إداراتنا الأمنية تعيش في الخمسينيات، حين يحدث رجل الأمن ثقباً في جريدة يقرأها، ويراقب من خلاله الجالسين في المقهى أو المارة في الطريق.

تنكشف بلادنا في الحروب، أي في أجواء خطرة تمنع الزيارة أو السياحة، انكشاف يوسع مسرح القتال (مسرح الجرائم) ليطاول بشراً عزلوا أنفسهم منذ مئات السنين ليحافظوا على خصوصيات ورثوها. لم تكف وسائل الاتصال المتتابعة، من الإذاعة إلى التلفزيون إلى الكمبيوتر، لكشفهم، فها إن الرصاص يأتي ليعرض عليهم الانضمام إلى الجماعة أو الموت.

لا يعصم جبل عالٍ ولا غابة كثيفة من الطوفان. إننا أمام مجتمعات صغيرة تزول بالقوة القاهرة بعدما ذوبتها وسائل الاتصال. ولم يبقَ منها سوى أغان مرشحة للضياع في الفضاء الموحد، وسوى صور في الذاكرة قد تدوّن أو لا تدوّن. وليست وحدها المجتمعات المعزولة مرشحة للضياع، إذ يشاركها مجتمع المدينة المتنوع، فهو مرشح للبتر لينسجم مع الصوت الواحد المدجج بالسلاح الحديث والفكر البسيط والمال الكثير. لكن مجتمع المدينة يدافع عن نفسه جيداً بالتدوين والإيقاع والصوت والصورة.

يطلقون الرصاص اليوم على قصة ورواية ومعهما إيقاع موسيقي وصورة توثق الذاكرة... وحده الشعر في حيرة، تأخذه الحماسة إلى الصوت الواحد المسلح، ويأخذه الضمير إلى الضحايا... وحده الشعر حائر.

وأهرب من الحيرة الى تأمّل السماء في حلكة الليل، ذلك الليل مخصص للسماء، أراقبهم من مغرب الشمس حتى شروقها، وجسدي متيقظ بعد نوم النهار. لا أرغب في تنفيذ وصية الحاكم بأمر الله حين أمر أهل القاهرة لسنوات بالنوم نهاراً والعمل ليلاً. إنها رغبتي في رؤية ما هو ثابت في هذا الكون بعدما زلزلت الأرض بكلام النهار وحروبه وأصوات خطبائه وصياح فتيانه الضائعين.

وحدها الكهرباء عائق. ضوؤها يضلل الديوك، فتصيح إذ يخيل إليها أن نور الكهرباء فجر جديد. الديوك تضل أما أنا فأهتدي، ومن دون معرفة أسماء النجوم، أراها في السماء وأكاد أحصيها مرتكباً المستحيل. تلك السماء السائرة من زرقة إلى سواد، وتلك النجوم الآتية من شحوب رمادي إلى ضياء نافر. انظر إليها ملياً فأتحول بعد دقائق إلى كائن وحيد واقف على نجمة اسمها الأرض، أتخيل الكائنات أشباهي، كلٌ له نجمته، وكلٌ ينظر إلى السماء المزينة بهذه النقاط اللامعة.

يصير الخيال حقيقة وتصغر أحداث الأرض حتى لا تستحق الاهتمام. أين أمجاد الكائنات الزائلة أمام عرس الضياء البهي في ليل الاحتفال هذا؟ ■

«كيف لأمة العرب إثبات وجودها»؟

رؤوف قبيسي*

أستعير هذا العنوان من افتتاحية العدد الماضي من «الحصاد» بقلم رئيسة التحرير. أثارني العنوان لكثرة ما في حياتنا العربية هذه الأيام من الألم وخيبات الأمل. وهناك لحظات في تاريخ الأمم لا يكون فيها الألم وليد الهزيمة، بل وليد المقارنة بين ما كان مأمولًا وما آل إليه الواقع، عندها تصبح خيبة الأمل أشد قسوة من الخسارة نفسها، لأنها تنشأ من إدراك عميق بأن الطريق كان يمكن أن يقود إلى غاية أخرى، ولًا يتخذ هذا الوجه المثقل بالانكسارات. هكذا يبدو المشهد العربي اليوم. ليس لأنه يخلو من مظاهر النجاح، ولا لأن كل شيء فيه قد انهار، بل لأن المسافة بين الإمكانات الهائلة والنتائج المتواضعة أصبحت أكبر من أن تُتجاهل. فمنطقة تمتلك من الثروات الطبيعية، والموقع الجغرافي، والطاقات البشرية، والإرث الحضاري ما يؤهلها لأن تكون بين أكثر مناطق العالم تأثيراً تجد نفسها، في كثير من الأحيان، منشغلة بإدارة أزماتها بدل صناعة مستقبلها.

كان الحلم العربي يوماً مشروعاً أخلاقياً قبل أن يكون مشروعاً سياسياً. كان يقوم على فكرة أن الإنسان العربي يستحق حياةً تليق بكرامته، وأن العلم طريق التحرر، وأن العدالة أساس الاستقرار، وأن التعاون بين الأشقاء ليس ترفاً، بل ضرورة تمليها الجغرافيا والتاريخ والمصير. غير أن هذا الحلم أخذ يتآكل بصمت، حتى أصبح كثيرون يتعاملون معه كما يتعامل الناس مع الحكايات القديمة، يستحضرونها بحنين، لكنهم لا يتوقعون عودتها.

ما أكثر الشعارات التي رفعت، وما أقل ما تحقق منها. امتلأت الساحات بالكلمات الكبيرة، بينما بقيت حياة الإنسان العادي مثقلةً بالهموم الصغيرة؛ يبحث عن وظيفة تحفظ كرامته، وعن مدرسة تمنح أبناءه مستقبلاً أفضل، وعن مستشفى يداوي ألمه، وعن وطن يشعر فيه أن القانون يحميه، وأن جهده لا يضيع سدى. وما أشد مرارة الشعوب حين تكتشف أن أبسط حقوقها قد أصبحت أحلاماً مؤجلة.

ولعل أكثر ما يثير الأسى أن العالم لم ينتظر أحداً بينما كانت أمم كثيرة تراجع أخطاءها، وتستثمر في العلم، وتفتح أبواب المستقبل أمام شبابها، كانت أجزاء من العالم العربي تستنزف أعمارها في نزاعات لا غالب فيها ولا مغلوب، لأن الجميع يخرج منها خاسراً: الإنسان أولًا، ثم الأرض، ثم الذاكرة، ثم المستقبل.

أي مفارقة هذه؟ في زمنٍ يتحدث فيه العالم عن الذكاء الاصطناعي، واستيطان الفضاء، والاقتصاد الرقمي، والثورات الطبية، لا يزال العربي في أماكن كثيرة يسأل عن حقه في الأمن، أو في الكهرباء، أو في الماء، أو في التعليم، أو في لقمة العيش. وليس في ذلك انتقاص من شعبٍ أو دولة، بل وصفٌ لواقعٍ مؤلم يستدعي التفكير الجاد في أسبابه وكيفيةً تجاوزه.

وليس أشد وجعاً من أن تتحول الهجرة، في وجدان الشباب، من خيار إلى خلاص. حين يصبح الوطن محطةً للمغادرة لا للمستقبل، فإن الخسارة لا تُقاس بعدد المسافرين، بل بعدد الأحلام التي غادرت معهم. إن العقول لا تهاجر لأنها فقدت حب أوطانها، وإنما لأنها تبحث عن بيئة تؤمن بأن المعرفة قيمة، وأن الكفاءة تستحق الفرصة، وأن الإبداع يجد من يحتضنه. ثم جاءت الثورة الرقمية لتكشف الفارق أكثر فأكثر. صار الشاب العربي يرى العالم كله على شاشة صغيرة، يقارن بين ما يعيشه وما يعيشه غيره، بين مجتمعات تبني المستقبل بثقة، وأخرى لا تزال أسيرة خلافات الأمس. ومن هنا تضاعفت خيبة الأمل، لأن المعرفة لم تعد حكراً على أحد، ولأن المقارنة أصبحت يومية، وصريحة، ولا تعرف المجاملة.

ومع ذلك، فإن الإنصاف يقتضي أن نقول إن الظلام ليس كاملًا. ففي العالم العربي مدن تنهض، وجامعات تتقدم، وشباب يبتكرون، وعلماء يحققون إنجازات، ومؤسسات تعمل بصمت لتصنع فارقاً حقيقياً هذه النماذج تؤكد أن المشكلة ليست في الإنسان العربي، ولا في قدراته، بل في البيئة التي تفتح له الأبواب أو تغلقها، وفي الإدارة التي تبني أو تهدم، وفي الرؤية التي تستشرف المستقبل، أو تبقى رهينة الماضي.

لقد علمتنا الحضارة أن الأمم لا تموت لأنها فقيرة، وإنما تموت حين تفقد الإيمان بقدرتها على النهوض. والخيبة، مهما بلغت، لا ينبغي أن تتحول إلى عقيدة. فالذين بنوا الحضارات لم يكونوا أكثر ذكاءً من غيرهم، وإنما كانوا أكثر إصراراً على التعلم، وأكثر قدرةً على الاعتراف بالأخطاء، وأكثر استعداداً لتغيير ما يجب تغييره.

العالم العربي اليوم لا يحتاج إلى خطبٍ جديدة بقدر ما يحتاج إلى ضميرٍ جديد. ضمير يؤمن بأن قيمة الإنسان فوق كل اعتبار، وأن التعليم ليس بنداً في الموازنة بل مشروع وطن، وأن البحث العلمي ليس ترفاً بل شرطاً للبقاء، وأن العدالة ليست شعاراً يُرفع، بل ممارسة يومية يشعر بها المواطن قبل أن يقرأها في الدساتير.

وما أحوجنا إلى أن نتصالح مع الحقيقة، فالأمم التي تُخفي جراحها لا تشفى، والتي تكتفي بتجميل واقعها لا تتقدم. إن النقد الصادق ليس خيانة، كما أن الاعتراف بالتقصير ليس هزيمة، بل هو بداية الطريق نحو الإصلاح. وما من أمة استطاعت أن تنهض إلا بعد أن واجهت نفسها بشجاعة، واعترفت بأخطائها، ثم شرعت في إصلاحها دون مكابرة. وربما يكون أجمل ما في التاريخ أنه لا يمنح أحداً حكمًا نهائيًا، فالأمم التي نراها اليوم في مقدمة العالم مرت بعصور ضعف وانقسام، لكنها امتلكت الإرادة لتغير مسارها. وكذلك فإن الشعب العربية، مهما أثقلتها الجراح، لا تزال تملك أسباب النهوض إذا جعلت الإنسان محور التنمية، والعلم بوابة المستقبل، والعمل قيمةً لا شعاراً، والتعاون سبيلًا لا استثناءً.

ويبقى السؤال الذي يطرق ضمير كل عربي: هل نبقى نبكي على أطلال الحلم، أم نبدأ في إعادة بنائه حجراً فوق حجر؟ إن الأوطان لا يصنعها الحنين وحده، ولا تنهض بالدعاء وحده، ولا تحفظها الأمنيات وحدها، وإنما يبنيها الإنسان حين يؤمن بأن مستقبله يستحق الكفاح، وأن التاريخ لا يكتبه المتفرجون، بل أولئك الذين يمتلكون الشجاعة ليحولوا الألم إلى عمل، والخيبة إلى وعي، والوعي إلى نهضة.

لعل أكبر خيانة يمكن أن نرتكبها في حق الأجيال القادمة أن نورثها اليأس، وأعظم هدية يمكن أن نقدمها لها أن نورثها الإرادة. فالأمل ليس ترفاً عاطفياً بل قراراً حضارياً، والنهضة ليست معجزة، بل ثمرة سنوات طويلة من الصدق والعمل والإخلاص. وما دام في هذه الأمة عقل يفكر، وقلب يحب، وإنسان يؤمن بأن الغد يمكن أن يكون أجمل من الأمس، فإن الحلم العربي، مهما طال غيابه، لن يموت. ■

*كاتب وناقد لبناني

نبيل فهمي الأمين العام للجامعه العربيه

وزير النقل التركي اوزال اوغلو

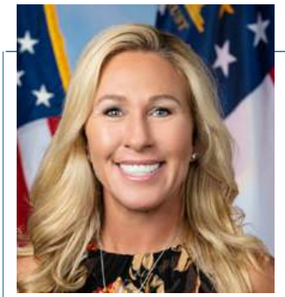

النائبه السابقه مارجوري تيلور غرين

انطلاق التدريب الجوي المصري ـ التركي (نسر الأناضول 2026)

■ انطلقت فاعليات التدريب الجوى المشترك المصرى ـ التركى (نسر الأناضول - 2026) الأذربيجاني، بمشاركة عدد من الطائرات المقاتلة المتعددة المهام لكل من مصر وتركيا وأذربيجان، بالإضافة إلى طائرة الإنذار المبكر التابعة لحلف شمال الأطلنطى، الذى يتم تنفيذه على مدى عدة أيام بإحدى القواعد الجوية بتركيا. بدأت فاعليات التدريب بعقد عدد من المحاضرات النظرية لتوحيد المفاهيم القتالية، وتبادل الخبرات التدريبية بين العناصر المشاركة. ومن المنتظر أن يشهد التدريب تنفيذ عدد من الطلعات الجوية المشتركة، لصقل مهارات القوات المشاركة، بما يمكنهم من تنفيذ المهام المكلفين بها، بكفاءة واقتدار. بحسب بيان صادر عن العميد أركان حرب (غريب عبدالحافظ غريب) المتحدث العسكري باسم القوات المسلحة المصرية ،يأتى التدريب فى إطار تعزيز علاقات التعاون العسكرى بين القوات المسلحة المصرية والتركية.

من هو نبيل فهمي الأمين العام الجديد في الجامعة العربية

■ كان نبيل فهمي وزيرًا للخارجية المصرية بين يوليو 2013 ويونيو 2014، كما شغل منصب سفير مصر لدى الولايات المتحدة خلال الفترة من 1999 إلى 2008 ولدى اليابان بين 1997 و1999.

ويعد فهمي نجل وزير الخارجية المصري الأسبق إسماعيل فهمي، وحصل على درجتي البكالوريوس في الفيزياء والرياضيات والماجستير في الإدارة من الجامعة الأمريكية بالقاهرة، التي شغل فيها لاحقًا منصب عميد كلية الشؤون الدولية والسياسات العامة.ووفقًا للموقع الإلكتروني لجامعة الدول العربية، تولى فهمي عددًا من المناصب الدولية البارزة، من بينها رئاسة المجلس الاستشاري للأمم المتحدة المعني بنزع السلاح، ونائب رئيس اللجنة الأولى للجمعية العامة للأمم المتحدة المختصة بقضايا نزع السلاح والأمن الدولي. كما شارك ضمن الوفد المصري إلى مؤتمر مدريد للسلام عام 1991، وساهم في مؤتمرات مراجعة معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية وعدد من الفعاليات الدولية متعددة الأطراف. كما شغل عضوية المجلس الاستشاري الأعلى لمنتدى بكين، وحصل على وسام الشمس المشرقة من الإمبراطور الياباني ناروهيتو تقديرًا لإسهاماته الدبلوماسية. وعلى الصعيد الفكري، أصدر فهمي في فبراير 2020 كتابًا باللغة الإنجليزية بعنوان: Peace and War of Egypt Transition Diplomacy تناول فيه أبرز التحديات السياسية التي واجهت مصر خلال العقود الماضية، قبل أن يصدر نسخة عربية محدثة من الكتاب في يناير 2022 بعنوان من قلب الأحداث.

احياء خط الحجاز

■ اعلنت الرئاسة التركيه وكذلك وزارة النقل التركيه عن مفاوضات جدية ،تجري بينها وبين المملكة العربيه السعوديه حول التعاون في مشروع قطارات سكك حديديه،تقوم بنقل البضائع والمنتجات بين منطقة الخليج وتركيا ومنها الى اوروبا عبر الأراضي الأردنيه والسوريه. ودعما لهذه المفاوضات الجاريه قام وفد وزاري اردني بزيارة دمشق مؤخرا ،من اجل احياء (عهد التعاون الثنائي) وتحفيز وتنشيط المؤسسات في كلا البلدين للبدء في مرحلة) الاستعداد لأستثمارات ضخمة في مجال النقل البري). ويمكن التكهن في هذا المجال ان الأعلان الذي قامت به انقره،يشير الى الرغبة في (احياء مشروع خط الحجاز) بالتعاون مع كلٍ من الاردن وسوريا، ويذكر ان موضوع (سكة حديد الحجاز) قد سبق وانشئ عام 1900 في عهد السلطان العثماني عبدالحميد الثاني ووصل الى المدينه المنوره عام 1908 لخدمة الحجاج المسلمين ومن المنتظر ان يختصرمدة رحلة الحج من اربعين يوما الى خمسة ايام فقط ، يضاف الى ذلك دعم الروابط الدينيه والاقتصاديه والاجتماعيه.

غرين: نجري محادثات لإطلاق حزب سياسي جديد يركز على أمريكا

■ يبدو ان الولايات المتحده سوف تردد نفس النغمة التي يرددها بعض العرب بالنسبة لسياسات بلادهم مثل (هذا القطر اولا أو ذاك القطر اولا) فالنائبه الامريكيه الجمهوريه السابقه عن ولاية جورجيا مار جوري تيلورجرين تقوم باجراء محادثات جاده لتكوين حزب سياسي جديد، في ظل خلافاتها المتصاعده مع سياسات الحزب الجمهوري في شكلها الحالي. وقد ذكرت خلال حديثها مع رجل الاعلام المعروف بيرس مورغان، ان الحزب الذي تعمل على تكوينه سيكون حزبا يضع (امريكا اولا).

ولذلك فانه سيكون حريصا على استقطاب بعض الشخصيات التي تنتمي الى اتجاهات سياسية مختلفة سواء من الحزب الجمهوري او الديموقراطي، وهو امرليس يسيرا، ولذلك يحتاج الى مثابرة وجهد ،كما نوهت الى دعمها للإعلامي المحافظ (تاكر كارلسون)، الذي أعلن مؤخراً أنه لن يدعم الحزب الجمهوري في انتخابات التجديد النصفي المقبلة، معتبرة أن ذلك)الحزب الجديد) قد يشكل (تهديداً حقيقياً) للحزبين، بفضل قدرته على استقطاب ناخبين مستقلين وجمهوريين وديمقراطيين في آن واحد.

مهرجان «فيدادوك» في المغرب يختتم دورته السابعة عشرة بتكريم أسم يوسف شاهين

■ في مدينة (أغادير) المغربيه الدورة السابعة عشرللمهرجان الدولي للفيلم الوثائقي (فيدادوك)، وقد كان مفاجاة المؤتمراعلان تكريم الفنان الراحل الكبير (يوسف شاهين) الذي تفتقر صناعة السينما الى جهوده بشكل عام. يأتي هذا التكريم لكي يشكل لمسة وفاء للرواد الكبار لصناعة السينما ذات المضمون، والذي لا يخلو من جماليات الصناعه.حضرت هاذ التكريم المخرجة والمنتجه (مريان خوري) وهي ابنة شقيقة المخرج الراحل، وهي بالطبع الحارس العام للأرث الفني والثقافي للمخرج الكبير الراحل. اقيمت هذه الدورة السابعة عشر بمشاركة واسعة من صناع السينما الوثائقية من مختلف أنحاء العالم. وقد ضمت الدورة 28 فيلمًا وثائقيًا.

واحة الحصاد

اقترن من اشهر امراء فرنسا.
١- (لافيت) فقد قاد سفينته بنفسه بعد اصابة القائد).
٢- ديبتا بتحدب انتاج العسل على بتيتا بتحدب انتاج العسل على قاعدة دور الذكور على قاعدة الملكة.

اختبر معلوماتك: (في ملكة النحل)
٣- مورارت.
٤- الاسم ناحكاد الله.
٥- صح.
٦- لافونتين ـ لابروبير ـ لافاييت ـ لا مارتين.

اختبر معلوماتك

اختر الجواب الصحيح

١ـ «الرجبان» ماهما؟
رجب ورمضان؟ ام رجب وشعبان؟
٢ـ «جبران خليل جبران» و«ايليا ابو ماضي»
الاثنان ولدا في لبنان وتوفيا في نيويورك».
صح؟ ام خطأ؟
٣ـ من هو الخليفة الفاطمي الذي بويع له بالخلافة وهو في الخامسة من عمره؟
المعز لدين الله؟ ام الآمر باحكام الله؟
٤ـ ما اسم الموسيقي العالمي النمساوي الذي كتب حوالي ٦٠٠ عمل موسيقي ومات فقيراً معدماً؟
«شوبرت» ام «موزارت»؟
٥ـ في «مملكة النحل»، الاناث تتعاون مع الذكور في انتاج العسل.
صح؟ ام خطأ؟
٦ـ ما الاسم الدخيل بين هذه الاسماء؟
لافونتين ـ لابروبير ـ لافاييت ـ لا مارتين؟

بما إنو عندك إنفصام بالشخصية، رح حاسبك مرتين!! بريشة: حسين حمّود

أقوال

■ لا يرجُونّ احدُكم إلا ربّه، ولا يخافنّ إلا ذنبه، ولا يستحي اذا سُئل عما لا يعلم ان يقول: «لا اعلم» واذا لم يعلم الشيء عليه ان يتعلمه..... **الإمام علي**

■ الصديق هو من يمكنك ان تبوح له وبدون تحفظ باي فكرة تخطر على بالك. اما المعارف فتكيف نفسك لارضائهم. ومن ناحية اخرى، ففي امكانك ان تقضي ثلاث ساعات مع شخص ويصبح صديقا لك، وان تقضي ثلاثين سنة مع اخر ويبقى في عداد المعارف.... **مارك توين**

■ قيل لنابليون: كيف استطعت ان تولد الثقة في افراد جيشك؟
فقال: «كنت أرد بثلاث على ثلاثة».
من قال: لا أقدر. قلت له: حاول. ومن قال: لا اعرف قلت له: تعلم. ومن قال: مستحيل. قلت له: جرّب.

■ ما شكوت من الزمان، ولا تبرمت من حكم السماء الاّ عندما حفيت قدماي ولم استطع شراء حذاء... فدخلت جامع الكوفة وانا ضيق الصدر، فرأيت رجلاً بلا رجلين.. فاستغفرت الله وحمدته وشكرت نعمته علي.... **حكيم فارسي**

■ اذا لم يستعمل الانسان دماغه، لا يمضي عليه طويل وقت حتى لا يجد دماغاً يستعمله..... **تومسون**

نوادر

● غاندي في لندن ●

■ لدى زيارة المهاتما غاندي العاصمة البريطانية، كان الجميع ينتظر ليرى ما يلبس. واخيرا ظهر في القصر الملكي وهو يرتدي لباسه التقليدي البسيط، فيما الملك جورج الخامس يتبختر بحلته الملكية.
وحين سئل غاندي عن الامر، اجاب:
«لقد لبس الملك عنه وعني...!»

● سائق مفلّس ●

■ دخل سائق بسيارته محطة لبيع الوقود وقال لصاحبها انه مفلس وليس في خزانه نقطة وقود. فعرض عليه صاحب المحطة الشهم ان يزوّد سيارته ببضعة ليترات من الوقود مجاناً.
تردد الرجل برهة ثم سأل صاحب المحطة قائلاً:
«هل لك ان تعطيني مالاً بقيمة النقود.. فالمحطة في الشارع المجاور تبيع بأسعار أرخص..!؟»

● انذار ●

■ اوقف الشرطي سائقا وبدأ يكتب محضر ضبط في حقه لتجاوزه السرعة المطلوبة.
فاحتج السائق قائلا: «ألا يحق لي بانذار قبل المحضر؟»
اجاب الشرطي: «طبعاً... اليك الانذار: اذا لم تتقيد بقوانين السير في المرة المقبلة، فسأكتب في حقك محضراً اخر...!»

● مارك توين والصحفية ●

■ شكا الكاتب الكبير مارك توين لصديقته الصحفية قدر الرجال فقال:
«ما أقسى قدر الرجل. حين نولد تتلقى امهاتنا الازهار والهدايا. وحين نتزوج تتسلم العروس ما يقدمه المهنئون. وحين نموت تستولي زوجاتنا على بوليصة التأمين».
فأجابته الصحفية: «بل قل ما أتعس حظ النساء. فحين نولد يأسف اهلنا لأننا لم نولد ذكورا. وحين نتزوج نحمل كقطعة اثاث الى منزل الزوج. وحين نموت يتنفس أزواجنا الصعداء!»

Bliss
PHARMACY AND CLINIC

Prescribing Pharmacist	كتابة وصفات طبية
Private Prescription	وصفات طبية خاصة
Clinical Nutritionist	أخصائي تغذية
IV Nutrition Drip	التغذية الوريدية
Flu and Travel Vaccination	لقاح ضد الانفلونزا ولقاحات للسفر
Laser Hair Removal	ازالة الشعر بالليزر
Beauty Therapy	التجميل والمساج

HEALTH • BEAUTY • LIFE

We stock a large range of Premium vitamins, supplements and natural products as well as many high-end skincare brands
تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمكملات الغذايية والمنتجات الطبيعية. كما لدينا العديد من المنتجات الراقية للعناية بالبشرة

Open 9am to 10pm (Monday to Saturday)
Open 12pm to 9pm to Sundays
107-109 Gloucester Road, London, SW7 4SS
0207 373 4445
www.blisslife.co.uk
gloucesterroad@blisslife.co.uk

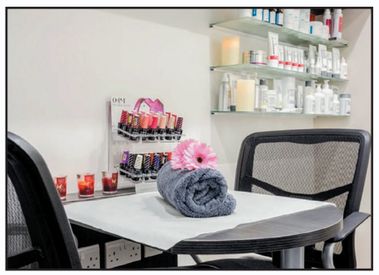

الصفحة الأخيرة

يكتبها الشاعر
رامي اليوسف

وادي الصقيع

تحت شجرة الكينياء
والزيتون والدالية
تحت شمس البلاد العالية
ولدتُ أنا هناك قصيدةً
تبحث عن وطن وقافية
ورغم البرد والشتاء
وبساطير الجنود والأعداء
كانت قلوبنا كشعلةٍ دافية
كنا نمشي على الشوك والدماء
ونسير بين الرصاص والشهداء
بأقدام طاهرة حافية
مازلت أذكر أبي وأجهش بالبكاءْ
ويمر بمخيلتي شريط الذكريات
وأحنُ إلى أخوتي وأمي الغالية
ذكرياتي وأحلامي تركتها هناك
لم تزل مزروعة في كل ركن وزاوية
وما زلت كما السندباد أطوف البلاد
أعيش في منفاي وغربتي الكاوية

□■□

ولدتُ من رحم المعاناة والمآسَاة
بين القذائف والموت المريعْ
هناك في ليالي الشتاءِ
في مخيمٍ
في وادي الصقيعْ

لاجئا يرتدي جرح البلاد
ويحتسي قهوة الوجع الوسيعْ
شاعرا سلاحه الكلامُ والأحلامُ
والوصفُ البديعْ
يرسم في خريف الحربِ
حمامةً وفراشةً للحبِ
ويفتح نافذةً للربيعْ
محباً للعدالة والحرية والحياة
مدافعا عن الحق كارها للغزاه
يرفض ان يساق كما القطيعْ
وها انا أحاول ان اقاوم الظلم
بأقصى ما أستطيعْ
أحاول بالشعر ان اوثق قصتي
واكتب ملحمة البلاد
بدم الشريان والنجيعْ
وأكون سفيرا لها .
لجرحها
لقلبها البرئ كما الطفل الرضيعْ
نحاول ان نعيش حياتنا
بالأمل المشتهى دوما
والفن المقاوم والغناء
لنرتقي سلم المجد الرفيعْ
ولنزرع في صحاري الخوف
قناديل الامنيات ونفجر
في الركام ماء الينابيعْ

Style, Service and Splendor by the Mediterranean

Overlooking the Mediterranean in all its splendor, *Le Royal Hotels & Resorts- Beirut* is just a minutes away from the city's modern airport, bustling downtown area, famed Jeita Grotto, Casino Du Liban, old souks of Byblos, majestic ski resorts and upscale shopping districts. With specious rooms and suites, Le Royal Hotels & Resorts - Beirut boasts sumptuous dining options, spectacular leisure facilities and sophisticated business amenities in an atmosphere of luxury.

THE LEADING HOTELS OF THE WORLD

Luxembourg | Luxembourg

Amman | Jordan

Hammamet | Tunisia

Sharm El Sheikh | Egypt

El Minzah | Morocco

Villa de France | Morocco

www.leroyal.com